الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلم ي

جامعة أحمد دراية – أدرار–

جامعة أحمد دراية-أدرار
Université Ahmed Draia Adrar- alger

جامعة أحمد دراية-أدرار
Université Ahmed Draia Adrar- alger

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإسلامية

موقف الشيخ رشيد رضا من الإسرائيليات وروايات الإنجيل والتوراة من خلال كتابه تفسير المنار

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

تخصص: دراسات قرآنية

إعداد الطالبة : نعيمة بن الشيخ إشراف الأستاذ الدكتور : رابح دفرور

لجنة المناقشة

د/ محمد استنبولي	أستاذ	رئيسا	جامعة أدرار
د/ رابح دفرور	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة أدرار
د/ بلخيرحدبي	أستاذ محاضر(أ)	مناقشا	جامعة أدرار
د/ عبد الرحمن العربي	أستاذ محاضر(أ)	مناقشا	جامعة أدرار
د/ عبد العزيز ابليلة	أستاذ محاضر(أ)	مناقشا	جامعة أدرار

الموسم الجامعي : 1438 / 1439هـ الموافق 2017 / 2018م

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

الإهداء

إلى والدي الكريمين اللذين كان لهما الفضل- بعد الله عز وجل- في تنشئتي على حب العلم وطلبه

إلى زوجي العزيز الذي وقف معي وقفة الرجل الكريم وأعانني إعانة الرفيق الحميم

وإلى والديه الذين زوداني بخالص الدعاء والرجاء

إلى أولادي الذين آمل أن يكونوا ذخرا للأمة والدين

إلى أختي وأخي العزيزين

إلى إخوة وأخوات أفادوني بكل ما يملكون

إلى كل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .. الذي وترعرع في صالح الدعاء والرجاء والأمل

DESIGN-WAREZ.RU

شكـر و تقديــر

أشكر الله في البدء والختام على ما أمدني به من قدرة على

إنجاز هذا العمل وإعانة على إتمامه

وأثني بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف رابح دفرور الذي تفضل علي

بالإشراف على هاته الرسالة

وإلى جميع أساتذتي بكلية الشريعة بأدرار وعلى رأسهم

الأستاذ محمد دباغ

إلى صرح العلم والمعرفة " جامعة أحمد دراية "

بكل مسؤوليها وعمالها

وموظفيها

تعريمة

مـــــــقـــدمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على المبعوث بالرحمات والآيات البينات وبعد :

فقد مثلت كتب التفسير –إلى وقت متأخر من عصور الأمة الإسلامية – تراثا إسلاميا عريقا عرف عند المتقدمين بالاحترام والتقديس، وكان مبدأ التأصيل لنقد التراث وتمحيصه مغمورا إلا عند ثلة من العلماء المحققين.

وجاءت حركة الإصلاح الفكري في العصر الحديث، فحملت مدرسة المنار لواءها، وتصدت لركوب مجراها . وفي ذلك الحين قرر الشيخ رشيد رضا — أحد أعلام هذه المدرسة رحمه الله – أن يجعل من تفسير القرآن منطلقا لجوانب من ذلك الإصلاح، فأنشأ تفسيره المعروف بالمنار. وكان من متطلبات ذلك الإصلاح: نقد تراث المسلمين وتمحيصه وعلى رأسه كتب التفسير، فنقد صاحب المنار تفسير المتقدمين في جهات متعددة من جوانبه، وأبرز آراء جديدة في تحليله.

ويعتبر نقد الروايات الإسرائيلية وأعلامها أحد تلك الجوانب التي استقل فيها رشيد رضا بالفكرة وانفرد فيها بالرأي — مقارنة بمن سبقوه من المفسرين —. فأفرز ذلك الموقف الخاص مجموعة معتبرة من الآثار التفسيرية التي اختص بها تفسير المنار وتميز بها عن غيره من التفاسير. وبالمقابل عرف رشيد رضا في تفسيره انفتاحا كبيرا على المصادر المقدسة عند أهل الكتاب من النصارى واليهود، فأخذ منها واستشهد بها وجعل منها حاكما على كثير من آراء المفسرين .ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ رشيد رضا ذاته قد بذل جهودا معتبرة في نقد تلك المصادر وتفنيدها.

ومن هنا تطرح " إشكالية التوازن " في تفسير المنار في جمعه بين هاتين الزاويتين. إشكالية تقوم على ضرورة ربط المقدمات بنتائجها، ودعم النتائج بأدلتها، ثم محاولة التزام تلك النتائج وعدم إبطال مصداقيتها بالخروج عما تقتضيه أو تدعو إليه، ذلك أن التوازن في طرح المواقف والآراء يعكس صفاء الفكر وصحة النتيجة وقوة الدليل ، والعكس في ذلك يدل على العكس أيضا.

عرض الإشكالية :

إن إشكالية التوازن تلك تطرح علينا تساؤلا محوريا يمكن اعتباره **إشكالا مركزيا** في هذا البحث وهو :" **كيف نفسر استعانة رشيد رضا بروايات الإنجيل والتوراة في تفسيره أمام نقده الشديد للراوية الإسرائيلية وأعلامها، بل أمام جهوده البارزة في نقد أسفار أهل الكتاب ومصادرهم"؟**

وبمعنى آخر: " هل كان تفسير المنار موضوعيا في جمعه بين تلك الزاويتين ؟ أم أن ذلك المنهج كان نتيجة من نتائج غياب التوازن في طرح الفكرة وتأصيلها ؟

أسباب اختيار الموضوع :

وفيما يخص أسباب اختياري لموضوع البحث فهي راجعة إلى ما أبداه بعض أساتذتنا — حفظهم الله — في قسم الدراسات القرآنية من اهتمام خاص بالروايات الإسرائيلية وتوجيه الطلبة الباحثين إلى دراستها في كتب التفسير، وكان لدي اهتمام خاص بموقف رشيد رضا من الحديث النبوي الشريف، وبالأثر الذي تركه ذلك الموقف في أوساطنا العلمية والفكرية.

وبعد قراءتي لبعض البحوث العلمية ، ظهر لي أن ثمة علاقة وطيدة بين موقف رشيد رضا من الرواية الإسرائيلية التي هي جزء من رواية الحديث — باعتبار ما — وبين كثير من القضايا والآراء التفسيرية في المنار ، فعملت على الربط بين الجانبين في محاولة للخروج بصبغة تفسيرية لهذا الموضوع. وفي خضم الدراسة ، رأيت أنه من المناسب إضافة جزئية أخرى للجانب الأول، وهي جزئية " موقف رشيد رضا من روايات الإنجيل والتوراة "، لحل الإشكالات الواردة على قارئ المنار حول مسالك رشيد رضا في توظيفها والاستشهاد بها .

أهمية هذه الدراسة :

خضع تفسير المنار لعدد من البحوث العلمية غير قليل ، ومع ذلك ؛ فإن مادته العلمية الغزيرة تجعل منه مقصدا مناسبا لمزيد من الدراسات والبحوث. ومما يدلل به على هذا : أن موقف رشيد رضا من الرواية الإسرائيلية– مثلا– قد أبرز لنا آثارا معتبرة شملت مجالات متنوعة من مجالات العلوم الشرعية كالفقه وأصوله ، والحديث وعلومه ، والعقيدة وعلم الكلام ، ناهيك عن التفسير

وما يتعلق به من علوم ودراسات ، الأمر الذي شكل لي فرصة مواتية لدراسة المنار بعمق وتوسع ، في تجاوز واضح للإطار الخارجي العام الذي شكلته مجموعة من الدراسات حول هذا التفسير ، والتي كان لها أثر فعال في الوصول إلى الإطار الداخلي الذي تستمد منه هذه الدراسة جزءا كبيرا من أهميتها .

يضاف إلى تلك الأهمية ما عالجه الموضوع من روايات الإنجيل والتوراة المبثوتة في تفسير المنار، مما يمكن الباحث والقارئ من التعرف على جوانب فكرية متعددة من فكر اليهود والنصارى، ثم التعرف على مسالك رشيد رضا في توظيفها كمفسر، إضافة إلى كثير من الموازنات التي طرحتها طبيعة الموضوع .

الهدف منها :

أما الهدف الذي يسعى الموضوع لتحقيقه فيتمثل في تمكن هذا البحث من تقديم دراسة قرآنية حول تفسير المنار متسمة بالعمق والموضوعية، قادرة على التحليل الدقيق لما يستند إليه رشيد رضا في نقده للإسرائيليات، وما يعتمد عليه في توظيف الروايات الواردة في المصادر الرسمية لأهل الكتاب، ذلك أن موقف المنار من الإسرائيليات قد ارتبط بكثير من الآراء التفسيرية الملفتة والتي كان لها – ولا يزال – أثر عميق في نتاج كثير من المفكرين والباحثين.

إن هذه الدراسة – رغم تقاطعها مع كثير من البحوث السابقة في مواضع معينة – لم تأت –بتاتا– لطرح ما انتقد عليه الشيخ رشيد رضا في كثير من مواقفه تلك, ولكن لمعالجة كثير من اللبس الذي تميزت به تلك الآراء, والذي لم يزُل حتى بعد تعرضها لكثير من الدراسات والانتقادات، ذلك أن قوة الحجاج عند الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – قد جعل من تلك الآراء الملفتة قضايا مقبولة ومسلما بها – عند بعض الدارسين – من شأنها أن تضرب كثيرا مما اتفق علماء المسلمين منذ عصور، فجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على العمق الداخلي لتلك الحجج وتضعها في موضعها الصحيح، فما كان حقا منها أثبتناه وأيدناه، وما كان غير ذلك بيناه وأدحضناه.

الدراسات السابقة :

تحدثت عدة أبحاث – في ثناياها – عن موقف رشيد رضا من الرواية الإسرائيلية ، وعن كثرة نقوله من مصادر أهل الكتاب ، فشكلت تلك الدراسات إطارا عاما يمكن من خلاله الولوج في دراسة متعمقة لتفسير المنار ، ذلك أن الكتابات السابقة حول تلك النقطتين في المنار كانت ضمن دراسات أعم في ذلك التفسير، كدراسة منهجه التفسيري، أو موقفه من السنة والحديث، وقد اعتمدت في هذا الموضوع على مجموعة من الدراسات والأبحاث أهمها:

الدراسة الأولى: دراسة حول المنهج التفسيري للمدرسة العقلية عموما ، قدمها الدكتور فهد الرومي في كتابه "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير " ، وهو كتاب ظهرت طبعته الثانية سنة 1403هـ / 1983م بالسعودية، قسمه الباحث إلى تمهيد وستة أبواب .

تحدث في التمهيد عن نشأة التفسير وتطوره، وعرج في حديثه عما أسماه " المدرسة العقلية القديمة"– أي المعتزلة– ، لبيان الروابط التي تربطهم بالمدرسة العقلية الحديثة. وتحدث في الباب الأول عن أرباب المدرسة العقلية الحديثة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وآخرين. وتحدث في الثاني عن المنهج الذي سلكته تلك المدرسة في تفسيرها للقرآن الكريم، وعد من أسس ذلك التفسير أحد عشر أساسا. وتحدث في الثالث عن بعض آراء تلك المدرسة العقلية في بعض علوم القرآن.أما الباب الرابع فخصصه للحديث عن آراء تلك المدرسة في بعض القضايا القرآنية. وأما الخامس فتكلم فيه عن نماذج من تأويلهم لآيات من القرآن الكريم .وفي السادس كان كلامه حول أثر هذه المدرسة في الفكر الإسلامي الحديث وموقف علماء المسلمين منها.

وقد تحدث الرومي عن تحذير المدرسة العقلية من التفسير بالإسرائيليات ضمن حديثه عن أسسها في الباب الثاني، وتطرق إلى ما أقحمته في كتاب الله من روايات النصارى واليهود، فكان حديثه عن تفسير المنار تبعا لحديثه عن المدرسة . ونظرا لطبيعة الموضوع فقد كان ذلك الطرح متسما بالشمولية والعموم ، حيث اكتفى فيه الرومي غالبا بطرح أفكار المدرسة والتدليل عليها بأقوالهم دون الخوض في مناقشتها أو تحليلها إلا فيما ندر.

الدراسة الثانية: هي عبارة عن رسالة ظهرت طبعتها الأولى سنة 1998م بعنوان: موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف – دراسة تطبيقية على تفسير المنار- للدكتور شفيق بن عبد بن عبد الله شقير، قدمها صاحبها استكمالا لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بإسلام آباد (الباكستان) .

تقع هذه الدراسة في ثلاثة فصول، تحدث الكاتب في الفصل الأول منها عن" المدرسة العقلية وتفسير المنار "، فتناول ضمن ذلك حديثه عن الشيخ رشيد رضا وجهوده في الإصلاح، كما تناول الحديث عن تفسير المنار وأهميته وذكر منهجه وتطرق لبعض آرائه في التفسير. وفي الفصل الثاني تحدث عن " موقف المدرسة العقلية من الحديث النبوي باعتبار السند "، فتناول فيه منهج الشيخ رشيد رضا في الجرح والتعديل، وموقفه من الصحابة ومن رجال الصحيحين، كما تناول فيه موقفه من خبر الآحاد. أما الفصل الثالث وهو آخر الفصول: فقد خصصه للحديث عن موقف رشيد رضا من الحديث النبوي باعتبار المتن، فتكلم فيه عن موقفه من أحاديث الاعتقاد، وعن موقفه من أحاديث الأحكام .

وقد أفدت من هذه الدراسة كثيرا في مجال التعرف على الآثار التي تركها موقف رشيد رضا من الرواية الإسرائيلية وأعلامها على كثير من آرائه في الرواية والحديث ، وكانت تلك الآثار مفرقة في مواضع متنوعة من البحث الذي اتسم بصبغة الدراسة الحديثية تبعا لموضوعه .

منهجي في البحث وعملي فيه:

انتهجت في دراسة هذا الموضوع **منهجا تحليليا** يقوم على عرض الفكرة والتدليل عليها، ثم تقييمها وتقديم مجموعة من النتائج المرتبطة بها، واستعنت-أحيانا- بمناهج أخرى لمعالجة جزئيات لا تعتمد على المنهج التحليلي كما هو الحال في المدخل التمهيدي مثلا .

أما عملي في البحث فقد تركز على محاولة إظهار الصبغة التفسيرية التي ينبغي أن يتميز بها هذا الموضوع كبحث في الدراسات القرآنية.واعتمدت في تحقيق ذلك على ربط آراء رشيد رضا بمواضعها من الآيات، وعلى متابعة أقواله التي كان يستدل بها على المسألة وربطها بأقوال المفسرين سلبا وإيجابا.

وكان من منهج رشيد رضا –كما سلف – أن يتوسع في استدلالاته على الفكرة، فيشمل علوما متنوعة من علوم الشريعة وأحيانا غيرها. وظهر أثر ذلك التوسع في هذه الدراسة، حيث نتج عن تحليلي لتلك الأقوال ومناقشتها الولوج–اضطرار– في مناقشة مسائل متنوعة من علوم العقيدة والأصول والحديث واللغة ...ومن أمثلة ذلك تعرضي لمسألة العصمة التي تعرض لها رشيد رضا في مسألة الدجال، ومثاله أيضا مسألة الوقف والإرسال التي صاحبت كثيرا من الروايات، ومصطلح "النص" عند الأصوليين وجمهور الفقهاء، وغير ذلك من المسائل؛ مما قد يعده بعض الناظرين توسعا وخروجا عن مجال الدراسات القرآنية .وعذري في ذلك التوسع أنه جاء استجابة لمتطلبات العرض والمناقشة والتحليل التي كانت تعتمد أساسا على ما ورد من أقوال رشيد رضا في تفسير المنار، ولا أحسب أنني خرجت عنها.

وهذه مجموعة أخرى من نقاط عملي في هذا البحث:

بالنسبة للآيات : اعتمدت في كتابتها على المصحف الإلكتروني المدون براوية حفص، وقمت بكتابة رقم الآية وسورتها في متن البحث ، بعد تمام الآية أو الجزء المخصص منها للعرض أو الاستدلال .

بالنسبة لروايات الحديث: فقد عملت على تخريجها من كتب الصحيحين البخاري ومسلم أو أحدهما ما أمكن ذلك، فإن تعذر الأمر – لسبب ما – فقد حرصت غلى اختيار نسخ محققة من طرف علماء عارفين بعلم الحديث، فاستفدت من جهدهم في معرفة درجة الرواية وبعض ما يتعلق بها، وذكرته مختصرا ومعزوّا إليهم تفاديا لإطالة حاشية التخريج، فإن تعذر الأمران فإنني أبذل جهدي في التعرف على درجة الرواية والإشارة إلى بعض طرقها ومظانها، مع العلم أنني لم أستعن بما دون الحسن والصحيح إلا استئناسا به مع وجود أدلة أخرى تسنده.

أما منهجي في التوثيق فهو على النحو التالي :

1– أبتدئ عند الإحالة على المصدر أو المرجع باسم المؤلف ثم الكتاب ، ثم اسم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، ثم أذكر رقم الطبعة إن وجدت وتاريخها ، ثم رقم الجزء أو المجلد، ثم رقم

الصفحة . فإن فقدت رقم الطبعة والتاريخ وضعت مكانهما: (بدون طبعة)، فإن فقدت التاريخ وحده وضعت:(بدون تاريخ)، وفي حال فقدان الطبعة مع تاريخها أشير إلى تاريخ النشر إن ذكر.وفيما يخص كتب الحديث و شروحه فإنني أضيف إلى ما ذكرت تبويب المؤلف من ذكر رقم الحديث والكتاب والباب ونحو ذلك.

2- أضع الكلام المنقول حرفيا بين قوسين، وأشير إلى مصدره في الحاشية، فإن كان الكلام طويلا حذفت منه ما لا يتوقف عليه بيان المقصود ووضعت مكان المحذوف نقاطا، وإلا نقلته بطوله.

3- إذا قصدت نقل كلام المؤلف وتصرفت فيه بتلخيص أو إعادة صياغة ونحوها فإنني أبقيه بين قوسين وأتبع مصدره في الحاشية بكلمة (بتصرف) أو ما هو قريب منها. فإن قصدت نقل الفكرة فقط دون القول أو الإشارة إليها حذفت القوسين وكتبت المصدر في الحاشية مسبوقا بكلمة (ينظر).

4- إذا توالى لدي نقلان أو مجموعة نقول من مصدر واحد في صفحة واحدة دون فصل بينهما وضعت في الهامش كلمة " المصدر نفسه " ، وإلا فإنني أذكر اسم المؤلف والكتاب مهما تكرر، مع الاختصار فيهما بما لا يكون موهما – إن أمكن-.

تقسيم الدراسة

تم توزيع المادة العلمية لهذا البحث على مدخل وثلاثة فصول وخاتمة :

جاء **المدخل** تحت عنوان:" رشيد رضا وتفسيره المعروف بالمنار"، قسمته إلى قسمين، تحدثت في أولهما عن "رشيد رضا: حياته وآثاره"، وفي الثاني عن "تفسير المنار: المنهج والأسس والأهداف".

أما **الفصل الأول** فعنوانه:" موقف صاحب المنار من الروايات الإسرائيلية"، قسمته إلى بحثين، تكلمت في الأول منهما عن " الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير،"، وفي الثاني عن " نقد الإسرائيليات عند صاحب المنار ".

وأما **الفصل الثاني** فكان عنوانه:" أثر نقد الإسرائيليات ورواتها عند رشيد رضا في قضايا متنوعة من تفسيره "، ضم ثلاثة مباحث تحدثت في أولها عن:" موقف رشيد رضا من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم "، وفي الثاني عن " موقف المنار من أشراط الساعة "، وكان حديثي في الثالث عن " موقف رشيد رضا من معجزات الأنبياء " .

وأما **الفصل الثالث** فجاء تحت عنوان :" موقف رشيد رضا من الإنجيل والتوارة" ، ضمنته أربعة مباحث، تكلمت في أولها عن " التوارة والإنجيل في مفهوم اليهود والنصارى والمسلمين "، وفي ثانيها عن " نقد التوارة والإنجيل عند رشيد رضا " ، وفي ثالثها عن " روايات الإنجيل والتوارة في المنار وأثرها في تفسير القرآن ورد الحديث " ، وفي الرابع عن " إقحامها في نقد الإسرائيليات والتفسير بالمأثور " .

أما **الخاتمة** فضمنتها أهم النتائج التي جاءت من خلال هذه الدراسة، وبعض التوصيات التي يراها البحث مناسبة لإثراء مجال الدراسات القرآنية.

فأسأل الله الهداية والتوفيق إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مـدخـل

يتفرع هذا المدخل إلى قسمين: يتحدث في الأول منهما عن الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – لإعطاء صورة متكاملة عن حياته وآثاره وعن أهم العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته الفكرية والعلمية .

أما القسم الثاني من هذا المدخل فيتناول تفسير المنار للشيخ رشيد رضا من حيث بيان الظروف التي أنشئ فيها، والأهداف التي سطرت له، والأسس التي قام عليها.

أولا– رشيد رضا: حياته وآثاره

اسمه ونسبه

هو " محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب " [1]. فهو على هذا من آل البيت. وقد كان رشيد رضا– رحمه الله– حريصا على إظهار هذه النسبة في كثير من مقالاته في مجلة المنار وغيرها، ومن ذلك مثلا عبارته "جدنا المرتضى"[2]، و"جدنا الحسين"[3].

إلا أن بعض الباحثين لم يرتض ذلك النسب، بل ذهب إلى تفنيده والتشكيك في صحته، وهو ما قام به الدكتور حبيب السامرائي وتابعه عليه فهد الرومي في كتابه حول المدرسة العقلية، ورأى أن لتلك النسبة أهدافا منها " أن يكون هذا النسب حصانة لهم من أذى الدولة أو استخفاف الخصوم ولهذا يذكر الدكتور أحمد الشرباصي أن حرص رشيد على هذا النسب خف حينما خف ما سماه (كابوس الطغيان العثماني) من جهة وسطع نجم رشيد رضا من جهة أخرى"[4].

بينما دافع باحثون آخرون عن انتساب رشيد رضا إلى آل البيت وانتقدوا من شكك في ذلك، ومن هؤلاء الدكتور تامر متولي في رسالته التي ألفها حول منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة حيث قال: " ولم أجد خلافا في اسم الشيخ رشيد إلا أن بعضهم طعن في نسبه إلى البيت النبوي،

---

[1]– خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس **الزركلي** الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين. بيروت، ط15: 2002 م ، ج6 ، ص126 .

[2]–حسين وصفي رضا، تقريظ المطبوعات الجديدة، مقال بمجلة المنار لصاحبها محمد **رشيد** بن علي **رضا**،(سنة الإنشاء: 1315هـ)، مج13، ص 13.

[3]– رشيد رضا، إنا لله وإنا إليه راجعون.المصيبة الجلى بشقيقنا الشهيد الحسين آل رضا، مقال بمجلة المنار، مج15 ، ص 78.

[4]– فهد بن عبد الرحمن بن سليمان **الرومي** ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط2: 1420هـ -1993م ، ج1 ، ص 172 .

ولم يكن عند هؤلاء حجة إلا أنهم بحثوا في " الدفاتر " فلم يجدوا فيها هذا النسب، وقد تناولت الرد على هذا الطعن بالتفصيل .... "[1]

وليس الهدف من إيراد هذا الخلاف في مثل هاته الرسالة هو إعادة طرحه أو التحقيق فيه، وإنما الهدف هو إبراز حدة الخلاف بين العلماء والباحثين المسلمين حول شخصية رشيد رضا بداية من انتسابه إلى آل البيت – عليهم السلام –، مما يظهر بوضوح أننا أمام شخصية جدلية قد تباينت حولها الآراء، وتضاربت حولها المواقف والاعتبارات .

مولده ونشأته

ولد الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – في أواخر القرن الثالث عشر هجري ومنتصفات القرن التاسع عشر ميلادي، وتجمع المصادر المعتمدة على أنه ولد في " 27 جمادى الأولى سنة 1282هـ الموافق لـ 23 من سبتمبر 1865م، وقد ذكر بعضهم تاريخا آخر لولادته"[2].

أما المكان فقد تحدث عنه بنفسه فقال: " ولدت ونشأت في قرية تسمى القلمون على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان تبعد عن طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال" [3]. وكانت القلمون بلدة صغيرة محافظة، نشأ فيها رشيد رضا على مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومدحها بقوله : " أن جميع أهلها كانوا سادة شرفاء، وأتقياء نجباء، وقد ولدت ولله الحمد فيها، ونشأت في بيت الكرم والمجد الأثيل منها، فكنت من أول العهد بالتمييز أرى العلماء والأدباء والحكماء والوجهاء تغشى دارنا، وتعشو إلى ضوء نارنا، بل كنت أرى فيها الضيوف من بلاد المحلة مكرمين على اختلاف مللهم ومذاهبهم، وكان مسجدها عامر دائما بإقامة شعائر العبادة، وقراءة دروس العلم والوعظ"[4].

---

[1]– تامر محمد محمود **متولي** ، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، دار ماجد عسيري– جدة ، ط1 :1425هـ. – 2004 م ، ص 59 .ملاحظة : هذا الكتاب في أصله عبارة عن رسالة علمية (انظر مقدمته) .

[2]– المصدر نفسه، ص61 .

[3]– شكيب **أرسلان**، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، دار الفضيلة– القاهرة، (بدون طبعة)، ص24 .

[4]– رشيد رضا، الرحلة السورية الثانية، مقال بمجلة المنار، مج22، ص 155.

كما تحدث عن والديه معتزا بهما مفتخرا بكريم أخلاقهما قائلا في شأنهما :" وكانت والدتي من أسلم النساء فطرة وأكرمهن أخلاقا وأوفاهن لزوج، وأحناهن على ولد، وكان والدي من أعز الرجال نفسا وأجرأهم جنانا وأسخاهم يدا " [1]. وفوق ذلك فقد كان والد رشيد رضا طالبا للعلم مجتهدا في تحصيله[2]، وكان" شيخا لقرية القلمون وإماما لمسجدها "[3].

هكذا نشأ رشيد رضا في قرية شريفة محافظة، وسط بيت عز وعلم وقيادة، بين والدين جمعا من المكارم أعزها وأشرفها.

رحلته العلمية في الشام

نشأ رشيد رضا في بيت سيادة وكرم، وكان أبوه–كما سلف– رجل دين وعلم، وبهذا فقد تهيأت للسيد رشيد كل الظروف المعينة على طلب العلم وتحصيله، وهذه خطواته في ذلك :

1. بدأ رشيد رضا رحلته العلمية في كتّاب قريته، حيث تعلم فيه قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب.

2. وبعد ذلك انتقل إلى طرابلس الشام وانضم إلى المدرسة الرشيدية بها، وهي ابتدائية تابعة للدولة العثمانية، والتعليم فيها باللغة التركية .

3. ترك تلك المدرسة بعد عام من الالتحاق بها، ثم التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس أيضا سنة 1882م، وكان التعليم في هذه المدرسة يتم باللغة العربية، وتدرس فيها اللغتان التركية والفرنسية إلى جانب علوم أخرى كالرياضيات والمنطق والفلسفة، وكانت هذه المدرسة إحدى المدارس الخاصة، أنشأها الشيخ حسين الجسر، لكنها سرعان ما أغلقت أبوابها وتفرق طلبتها[4].

4. لم ينقطع رشيد رضا بعد إغلاق المدرسة عن الطلب، وإنما اتصل بمدارس طرابلس الدينية حتى نال الشهادة العالمية منها، وكان على اتصال بشيخه الجسر فنال الإجازة في التدريس على

---

[1]– أرسلان ،السيد رشيد رضا ، ص 24 .

[2]– ينظر: رشيد رضا، المصاب العظيم بوالدنا البر الرحيم، مقال بمجلة المنار، مج8، ص 553.

[3]– متولي ، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، ص61 .

[4]– ينظر: المصدر نفسه ، ص63 ، وينظر : الرومي ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ج1 ، ص172.

يديه بعد ثمان سنوات من التتلمذ. "وهو مع تدرجه في التعليم النظامي لم يغفل الأخذ عن أشياخ بلده، فأخذ الحديث وفقه الشافعية عن الشيخ محمود نشابة رحمه الله، أخذ عنه الأربعين النووية وأجازه فيها، ثم حفظ ألفية ابن مالك في النحو والصرف، وقرأ عليه شيئا من شروحها، وحضر عند العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي قليلا من كتاب (نيل الأوطار)، وتلقى على الشيخ محمد القاوقجي كتابه في (الأحاديث المسلسلة)، وبعض كتاب (المعجم الوجيز)، فكانت أول دروسه في الحديث" [1]. إلا أن الشيخ حسين الجسر كان أكثر هؤلاء الشيوخ الشاميين تأثيرا في علم رشيد رضا وتحصيله[2].

تأثره بالغزالي وكتابه " الإحياء"

تعلق رشيد رضا في بداية حياته بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، " ومال إلى الزهد واحتقار الدنيا، واتجه نحو التصوف الذي حببه إلى نفسه، مشايخه الطرابلسيون " [3].كان لذلك الكتاب أثر بالغ في سلوك رشيد رضا وتصوفه تحدث عنه فقال :" وقد حبب إلي التصوف كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، وكنت أجاهد نفسي على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام ... وبالنوم على الأرض وغير ذلك، حتى إنه لم يعد يشق علي ترك أطيب الطعام الحاضر عمدا، ولكنني حاولت أن أتعود احتمال الوسخ في البدن والثياب وهو غير مشروع فلم أستطع "[4].

---

[1]– محمد بن رمضان **رمضاني**، آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار– دراسة تحليلية نقدية – ، مجلة البيان – الرياض ، ط1 : 1434هـ ، ص 29 .

ملاحظة : هذا الكتاب في أصله رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بجامعة الأمير عبد القادر بالجزائر (انظر المقدمة) .

[2]– الرومي ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج1 ، ص 173 .

[3]– شفيق بن عبد بن عبد الله **شقير**، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف دراسة تطبيقية على تفسير المنار – المكتب الإسلامي – بيروت ، ط1 : 1419هـ،1998م ، ج1 ،ص 75 .

ملاحظة : هذا الكتاب في الأصل رسالة متممة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد (الباكستان) ، (ينظر : الكتاب ص 14).

[4]– رشيد رضا، فصول من ترجمتي منقول من كتاب المنار و الأزهر، مقال بمجلة المنار، مج33، ص 353.

ومن محطات تصوف رشيد رضا دخوله في الطريقة النقشبندية ثم خروجه منها، وفي ذلك يقول:" سلكت الطريقة النقشبندية[1]، وعرفت الخفي والأخفى من لطائفها وأسرارها، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تقذفه أمواجه من الجيف "[2].

هكذا عاش رشيد رضا فترة من حياته سالكا متصوفا، لكنه سرعان ما ميز، "واستطاع في تلك المرحلة من حياته أن يقف على أسرار هذه الرياضة الروحية، بمحاسنها ومساوئها، وهو الأمر الذي هيأه في المستقبل للمناداة بإصلاح الطرق الصوفية، مناداة الخبير بها، العارف بجميع شؤونها وأهلها"[3].

لقد ساعدته تجربته الشخصية في التصوف على السعي الجاد في " معالجة طرقه، وذكر رأيه في إصلاحها عن ثقة وإيمان بما يقول، حيث رأى أن سلوك تلك الطرق أمر لا ضرر منه باعتباره وسيلة لتهذيب النفس والوقوف على أسرارها، أما ما عدا ذلك من المبالغات التي تأباها النفس أو الحياة الواقعية فضرر يجب تجنبه "[4].

وكان من نتائج تصوفه اهتمامه بوعظ المسلمين وإرشادهم، والعمل على تصحيح ما علق بأذهانهم من باطل العادات والاعتقادات. وكما قال : " كنت أعمل بما أعلم وأعلم من دوني، وأذكر من هم في طبقتي، وأطلب المزيد ممن فوقي .

وكنت بعد قراءة كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في كتاب (الإحياء) آمر وأنهى لا أخاف لومة لائم "[5].

1- النقشبندية: طريقة صوفية" تنسب إلى بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند(618-691هـ)،انتشرت في بلاد فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية". الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط 4: 1420هـ، ج1، ص267. بتصرف يسير.

2- رشيد رضا، الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه، مقال بمجلة المنار، مج11 ، ص 504 .

3- د. إبراهيم **العدوي** ، رشيد رضا الإمام المجاهد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (بدون طبعة) ، ص 36 .

4- المصدر نفسه ، ص 37 . بتصرف يسير.

5- أرسلان، السيد رشيد رضا ، ص 74 .

بداية تعلقه بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده

في تلك الظروف التي ذكرت قبل من سعي رشيد رضا في طلب العلم وتحصيله، وتأثره بطريقة التصوف، وحمله لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسط بلده ؛ في تلك الظروف حصل له تطور مفاجئ نتج عن قراءته لعددين من مجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده بفرنسا .

أحدثت تلك القراءة تحولا قويا في نفس محمد رشيد حكاه في قوله : " اتفق لي أن كنت أقلب أوراق والدي (رحمه الله تعالى) فرأيت عددين من جريدة العروة الوثقى فقرأتهما بشوق ولذة ففعلا في نفسي فعل السحر ... فانتقلت بذلك إلى طريق جديد في فهم الدين الإسلامي وهو أنه ليس روحانيا أخلاقيا فقط، بل هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق، ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل "[1].

وكان من الطبيعي لهذا التحول أن يتعلق رشيد رضا بمؤسسي المجلة جمال الدين ومحمد عبده، وهو ما ولد لديه رغبة قوية في الاتصال بهما والتتلمذ على أيديهما، وقد تمكن من الاتصال بمحمد عبده مرتين عندما كان منفيا بالشام، لكن المنية عاجلت الأفغاني قبل أن يتم لرشيد رضا لقاؤه [2].

رحلته إلى مصر والتقاؤه بمحمد عبده فيها

كان رشيد رضا قد التقى محمد عبده بالشام مرتين —كما سلف — ، فأخذ عنه وتأثر بفكره ومنهجه، ولما توفي الأفغاني عزم على السفر إلى مصر والالتقاء بخليفته، فتم له ذلك في رجب سنة 1315هـ عقب تحصيله للعلم في طرابلس وأخذه للشهادة العالمية من شيوخه فيها .

[1]- السيد محمد **رشيد رضا**، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار الفضيلة— القاهرة ، ط2 :1427هـ -2006م، ج1 ، ص 84 .

[2]- ينظر: الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ج 1 ، ص 174- ص 175 .

وفي أول لقاء له مع محمد عبده أخبر رشيد رضا أستاذه عن الغرض من رحلته إلى مصر، واقترح عليه كتابه تفسير للقرآن الكريم " ينفخ فيه من روحه التي وجد روحها ونورها في مقالات "العروة الوثقى" الاجتماعية العامة "[1].

وكانت الحالة السياسية والعلمية التي عرفتها الشام آنذاك أحد العوامل المهمة التي جعلت رشيد رضا يقرر الهجرة إلى مصر ويجعلها منطلقا لطريقه الجديد، فقد تعرضت سوريا في ذلك الحين إلى حملة من التجزئة والتقسيم جعلت تكالب الطامعين فيها يزداد تجذرا ونموا [2]، أما الناحية العلمية فقد عرفت هي الأخرى تدهورا وتدنيا من سيء إلى أسوأ[3] .

وكانت الصحافة تمثل مركزا مهما في طريق رشيد رضا الجديد، لكنها لم تتمتع آنذاك بحرية كافية في سوريا، " فقد كانت الرقابة عليها شديدة، بخلاف مصر التي كانت تتمتع بقدر أكبر من الحرية، مما دفع كثيرا من علماء المسلمين وغيرهم للرغبة في الهجرة إليها، وإصدار الصحف فيها ... ولا يمنع ذلك من وجود صحف في بلاد الشام إلا أنها كانت قليلة الانتشار "[4] .

وهكذا عاش رشيد رضا طورا جديدا من حياته في مصر، واعتبرها وطنا ثانيا له، فكانت منطلقا لكثير من عطاءاته وإنجازاته الفكرية والعلمية .

أهم أعماله وإنجازاته

عاش رشيد رضا حياة زاخرة مليئة بالمحطات والإنجازات، وقد يطول بنا الوقت إن أردنا استقصاءها، ولهذا فسوف يقتصر هذا البحث على أهم تلك الإنجازات .

1. تفسير المنار : يعتبر تفسير المنار أول إنجاز قام به رشيد رضا بعد قدومه مصر، وسوف يأتي الحديث عنه بشكل مفصل إن شاء الله .

---

[1]- محمد **رشيد** بن علي **رضا** بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام النشر 1990م ،(بدون طبعة)، ج1 ، ص 12. بتصرف يسير .

[2]- ينظر : متولي ، منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة ، ص 41- 43.

[3]- ينظر : المصدر نفسه ، ص 48 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 50.

2. مجلة المنار : كان من أهم أهداف رشيد رضا التي جعلته يسافر إلى مصر إنشاء صحيفة إصلاحية تحمل كلمة الإسلام والمسلمين إلى العالم. وبعد رحلته استشار أستاذه محمد عبده في ذلك فوافق بثلاثة شروط :

أولها: ألا تتحيز لحزب من الأحزاب.

ثانيها: ألا ترد على جريدة من الجرائد التي تتعرض لها بذم أو انتقاد.

ثالثها: ألا تخدم أفكار أحد من الكبراء[1].

وافق رشيد رضا على شروط أستاذه، وأنشأ مجلة تم اختيار " المنار " اسما لها، فصدر العدد الأول منها في شوال سنة 1315هـ الموافق ل 27 مارس 1898م، وفيه أعلنت الجريدة أهدافها المتمثلة في الإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي، " وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا، لا يتنافر مع الظروف الحاضرة وأوضحت هذه الافتتاحية أيضا أن غاية رشيد رضا من إنشاء المنار مواصلة السير على نهج العروة الوثقى " [2].

وكان آخر ما طبع من المنار هو " الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في 29 ربيع الثاني 1354هـ – 1935م" [3]، وقد جعل رشيد رضا من تلك المجلة منبرا للإصلاح فاشتهر اسمه بها، " ليس في العالم العربي فحسب بل وفي العالم الإسلامي وبلاد أوربا فراسله العلماء والجمعيات والأفراد والمستشرقون وكلهم يشيد بالمنار "[4].

3. إنجازاته في مجال التربية والتعليم: سعى رشيد لتقديم إصلاحات متعلقة بمجال التربية والتعليم، وعدد مجموعة من الفنون التي ينبغي إضافتها إلى ذلك المجال لمسايرة ركب الأمم المتحضرة.وعاب على العالم الإسلامي عامة، وعلى مصر خاصة خلوهما من جامعة عالية للعلوم

[1]– العدوي، رشيد رضا الإمام المجاهد ، ص 133 .

[2]– المصدر نفسه، ص 135 .

[3]– شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ، ص 77 .

[4]– الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج1 ، ص 177 .

على غرار الدول المتقدمة فقال بشأن ذلك في مجلة المنار :" ومن العار على مصر أن تكون على سبقها البلاد العربية كلها إلى التعليم العصري خالية من مدرسة كلية للعلوم العالية بجميع فروعها فإن المصريين يشتغلون منذ قرن كامل بالتعليم ومنهم من تخرج في مدارس أوربا العالية، ومع هذا لم تسم همتهم إلى إنشاء مدرسة كلية تغنيهم عن المدارس الأجنبية الخالية من لغتهم، ومن التربية الملية التي تليق بهم "[1].

ولشدة إيمان رشيد رضا بضرورة إصلاح قطاع التربية والتعليم فقد زاوج بين العمل النظري والتطبيقي، حيث أنشأ مدرسة خاصة أسماها (مدرسة الدعوة والإرشاد) في محاولة جادة "لتحقيق الكثير من أسس الإصلاح الديني والتعليمي الذي كان يدعو إليه ... لكن المدرسة توقفت أثناء الحرب العالمية الأولى لأسباب مادية، ورغم الفترة المحدودة التي لم تتعد أربع سنوات إلا أن حماس رشيد رضا وحرصه على نجاح المدرسة، أدى إلى تخرج مجموعة من تلامذتها وهم مستعدون للسير على نهجه في الإصلاح، ومزودون بكثير من العلوم والمعارف والخبرات التي أهلتهم فيما بعد للإسهامات العلمية والعملية في المناطق التي ذهبوا إليها "[2].

4. جهوده في إصلاح الأزهر: يعتبر الأزهر أهم مدرسة دينية في مصر حملت واجب التعليم والدعوة والإرشاد، ولهذا فقد أولاه رشيد رضا عناية خاصة وسعى سعيا حثيثا لإصلاحه، منتهجا طريق أستاذه، ومن أجل ذلك " كتب كثيرا من الانتقادات والآراء وزاد نشاطه وحماسه بعد استقالة أستاذه ووفاته إذ أحس أن عليه العبء الأكبر بعد ذلك وكان يلقى من المشاق الكثير وكان خصومه أكثر من خصوم أستاذه .. فاضطر إلى تأليف كتاب عن " الأزهر والمنار " سنة 1352هـ شرح فيه آراءه وخلاصة تجاربه في هذا الميدان وما اعترضه من عقبات "[3].

5. جهوده في مجال السياسة : دخل رشيد رضا ميدان السياسة وغاص في أعماقه بعد وفاة أستاذه الذي كان كابحا لرغبته في خوض ذلك المجال، " ولم يترك الشيخ رضا قضية من قضايا المسلمين الهامة آنذاك إلا وتعرض لها، فقد حذر المسلمين من مخططات الإنكليز، وكتب عن

[1]- رشيد رضا ، المدرسة الكلية الأمريكانية في بيروت، مقال بمجلة المنار، مج6 ، ص 566 .

[2]- متولي، منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة ، ص 90 . بتصرف .

[3]- الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج1 ، ص 179 .

الاستعمار الإيطالي عندما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب، وكافح كفاحا مريرا ضد الاستعمار الفرنسي، وكان من الأوائل الذين تنبهوا إلى مخاطر الحركة الصهيونية، ونبهوا إلى أهدافها ووسائلها"[1].

ولم يكتف رشيد رضا بالكتابة في المجال السياسي، بل شارك مشاركة واسعة في الجمعيات والأحزاب السياسية التي كان من أبرزها : جمعية الشورى العثمانية، وحزب الاتحاد السوري، وجمعية الشبان المسلمين التي أكد الشيخ حسن البنا أن جماعته المسماة (بالإخوان المسلمين) هي الجماعة التي كان يتمناها الشيخ رضا، وفكر جديا في إنشائها، وكان يهدي إليها مؤلفاته ويكتب إليها بخطه: من المؤلف إلى جماعة الإخوان المسلمين النافعة [2].

مؤلفاته

ترك رشيد رضا ثروة علمية كبيرة يصعب حصرها، فقد كانت له قدرة كبيرة على الكتابة والتأليف وهذه بعض آثاره في ذلك الميدان:

1 -الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية وهو أول مؤلفاته دونه أثناء طلبه العلم في الشام.

2 -تفسير المنار الذي سبق الحديث عنه .

3 - مجلة المنار وقد سبق الحديث عنها أيضا .

4 -تاريخ الأستاذ الإمام وهو أوسع ترجمة لمحمد عبده .

5 -الوحي المحمدي.

6 -المنار والأزهر.

7 -نداء للجنس اللطيف .

8 -شبهات النصارى وحجج الإسلام.

9 - خلاصة السيرة المحمدية .

[1]- شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ، ص79 .

[2]- ينظر : المصدر نفسه، ص 79- 81 .

10 -الربا والمعاملات في الإسلام .

11 -ترجمة القرآن [1].

وتجدر الإشارة إلى" أن المؤلف الأساسي للشيخ رشيد هو " مجلة المنار " إذ أنه لم يكتب قبلها إلا كتابا واحدا ... أما باقي كتبه التي ألفها، فقد كانت أول أمرها جزءا من مجلته أفردها في كتاب مستقل لسبب أو لآخر، ولا يخرج عن هذه القاعدة شيء من مؤلفاته"[2].

وفاته – رحمه الله –

توفي الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – "منتصف الساعة الثانية من مساء الخميس، الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة 1354هـ، الموافق الثاني والعشرين من أغسطس (أوت) سنة 1935 "[3].توفاه الله – جل وعلا – " في السيارة أثناء عودته من توديع الأمير سعود في ميناء السويس... .

وختم رحمه الله حياته بالحسنى؛ حيث روى من حضر وفاته أن السيد رشيد رضا انصرف إلى قراءة القرآن الكريم، وما زال يقرأ حتى فاضت روحه دون أن يشعر به من كان معه في السيارة. وقد فجعت الأمة بوفاته، ودوى خبر موته في أرجاء العالمين العربي والإسلامي " [4]. فجزاه الله عن أمة الإسلام وعن المسلمين .

[1]- ينظر: الرومي ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج1 ، ص 181 – ص 182 .

[2]- متولي، منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة ، ص 93 .

[3]- عبد الله أمين، نعي فقيد الإسلام و المسلمين، السيد الإمام محمد رشيد رضا- منشئ المنار(رضي الله عنه)، مقال بمجلة المنار، مج 35، ص 153.

[4]- رمضاني، آراء رشيد رضا في قضايا السنة النبوية، ص 41 – 42.

ثانيا– تفسير المنار: الطريقة والأسس والأهداف

بداية تأليفه

عندما رحل رشيد رضا إلى مصر اقترح في أول لقاء له مع شيخه محمد عبده كتابة تفسير للقرآن الكريم، وكان على قناعة تامة بضرورة ذلك التفسير وجدواه، بينما كان الأستاذ محمد عبده على العكس من ذلك وكان يرى أن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه، فله تفاسير كثيرة أتقن بعضها ما لم يتقنها بعض، ولكن الحاجة شديدة إلى تفسير بعض الآيات، ولعل العمر لا يتسع لتفسير كامل"[1].

واستطاع رشيد رضا بعد مناقشة جادة مع أستاذه أن " يقنعه بقراءة التفسير في الأزهر فاقتنع وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف، أي في غرة المحرم سنة 1317هـ وانتهى منه في منتصف المحرم سنة 1323هـ عند تفسير قوله تعالى: وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٖ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ **[النساء:126]**، فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين، إذ توفي لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله تعالى وأثابه" [2].

الطريقة التي سار عليها تفسير المنار

يعتبر تفسير المنار نتاجا مشتركا بين الشيخ رضا وأستاذه محمد عبده، ونستطيع القول أن تفسير المنار قد مر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة بسط وتلخيص لدروس محمد عبده في التفسير،حيث كان رشيد رضا يتابع دروس أستاذه بالأزهر ثم يعيد كتابتها،وبعد ذلك انتقل إلى نشرها في مجلة المنار– باقتراح بعض الراغبين في الاطلاع عليها – بدءا من المجلد الثالث من المنار[3].

---

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار ، ج1 ، ص 12 .

[2]– المصدر نفسه ، ج1 ، ص 14 ، بتصرف يسير .

[3]– ينظر : المصدر نفسه ، ج1 ، ص 14 .

وقد بين الشيخ رشيد رضا منهجه في كتابة التفسير آنذاك فقال: " وكنت أولا أطلع الأستاذ على ما أعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه، فكان ربما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات، ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع، بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به، على أنه لم يكن كله نقلا عنه ومعزوا إليه، بل كان تفسيرا للكاتب من إنشائه، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما استفاده منها، لذلك كنت أعزو إليه القول المنقول عنه إذا جاء بعد كلام لي في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب، فإذا انتهى النقل وشرعت في كلام لي بعده قلت في بدئه (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملتزما في أول الأمر بل يكثر في الجزء الأول ما لا عزو فيه، ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنني عبرت عنه بأمال مقتبسة "[1].

وكانت الثقة متبادلة بشكل كبير بين رشيد رضا وأستاذه في ذلك التفسير حيث يقول: "ولما كان – رحمه الله تعالى – يقرأ كل ما أكتبه، إما قبل طبعه وهو الغالب، وإما بعده وهو الأقل، لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه إليه مما فهمته منه، وإن لم أكن كتبته عنه في مذكرات الدرس، لأن إقراره إياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو، وبعد أن توفاه الله تعالى صرت أرى من الأمانة ألا أعزو إليه إلا ما كتبته عنه أو حفظته حفظا، وصرت أكثر أن أقول: قال ما معناه، أو ما مثاله، أو ما ملخصه، على أنني أعتقد أنه لو بقي حيا واطلع عليه لأقره كله ".[2]

هذا هو المنهج الذي اتبعه رشيد رضا فيما نقله من دروس أستاذه. وكان تفسير الأستاذ متميزا بالاختصار فيما توسع فيه المفسرون من مباحث اللغة والرواية وغير ذلك، وبالتوسع فيما أغفلوه من المباحث، وكان يعتمد على عبارة (تفسير الجلالين) فيقرها أو ينتقد منها ما يراه محلا للنقد والاستدراك [3].

ولما توفي الشيخ محمد عبده غير رشيد رضا من ذلك المنهج فقال :" هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه – رحمه الله تعالى – بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة

[1]–رشيد رضا، تفسير المنار، ج1 ، ص 14– 15.

[2]– المصدر نفسه ، ج1، ص15.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ج 1 ، ص 14 .

الصحيحة، سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن إليه القلب وتسكن إليه النفس ."[1]

المرحلة الثانية: وهي مرحلة استقلال رشيد رضا بالتفسير فكرا وكتابة، وتبدأ هذه المرحلة من حيث توقف محمد عبده في التفسير، أي بداية من قوله تعالى : **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ [النساء: 127]**، عندها شرع الشيخ رضا في إتمام التفسير إلا أن المنية عاجلته عند الآية (101) من سورة يوسف أي عند قوله تعالى : ۞ **رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ** ﴿١٠١﴾ وطبع ذلك القدر الذي بلغه رشيد رضا من التفسير في اثني عشر مجلدا كبارا . ينتهي المجلد الثاني عشر منها عند قوله تعالى في الآية (53) من سورة يوسف ۞ **وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٥٣﴾ .وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله[2].

وهكذا طويت صفحات المنار عن اثنتي عشرة سورة من سور القرآن الكريم، وكان منهج رشيد رضا في هذه المرحلة امتدادا للمنهج الذي تبناه بعد وفاة شيخه – رحمه الله–.

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج1 ، ص 16.

[2]– ينظر: محمد السيد **حسين الذهبي**، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة – القاهرة، (بدون طبعة)، ج2، ص 423.

الهدف من إنشائه

تحدث رشيد رضا عن الهدف المشترك بينه وبين شيخه من كتابة ذلك التفسير فقال :" الذي نعنى به من التفسير هو فهم الكتاب من حيث هو دين، وهداية من الله للعالمين، جامعة بين بيان ما يصلح به أمر الناس في هذه الحياة الدنيا، وما يكونون بها سعداء في الآخرة "[1].

فالهدف الأول من تفسير المنار عند كاتبيه هو فهم الناس للقرآن على الوجه الصحيح ليكون هاديا لهم إلى ما يصلحهم في دنياهم ويسعدهم في أخراهم، ولذلك عابوا على المفسرين توسعهم فيما وراء ذلك من المباحث التابعة له، واعتبروا " الإكثار في مقصد من هذه المقاصد يخرج بالكثير عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم في مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي "[2].

ووفق ذلك الهدف سار رشيد رضا في بداية التفسير، لكنه توسع فيما بعد لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها —كما قال – .

الأسس التي قام عليها

قام تفسير المنار على مجموعة من المبادئ مثلت أسسا مميزة لهذا التفسير، من أهمها:

1– مبدأ الإصلاح الاجتماعي: اهتم تفسير المنار تبعا لمدرسته اهتماما بينا بمبادئ الإصلاح فحمل لواء نصرتها والدعوة إليها، واعتبر إصلاح المجتمع نقطة مركزية ينطلق منها نحو إصلاح الأمة في كافة شؤونها وميادين حياتها. وقد اجتهد رشيد رضا وأصحابه " في أن يلتزموا عند تفسير كل آية ما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي، ويتخذوا منها مدخلا إلى الإصلاح حتى وصف أستاذ هذه المدرسة ضمن أوصافه بالمصلح الاجتماعي " [3]. وعكس تفسير المنار تلك الصورة الإصلاحية واضحة جلية .

---

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 18. بتصرف يسير .

[2]– المصدر نفسه، ج1 ، ص 18.

[3]– د/ فهد بن عبد الرحمان بن سليمان **الرومي** ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، السعودية ، ط1:1407هـ -1986م ، ج2 ، ص 279.

ملاحظة : هذا الكتاب في أصله عبارة عن رسالة دكتوراه (انظر ص10 منه) .

ففي مجال الأسرة قال رشيد رضا: "ولو عمل المسلمون بهذه القواعد وأمثالها من أحكام الكتاب والسنة لكانوا أسعد الناس في بيوتهم، ولا وجد من أعدائهم وزنادقتهم من يهذي بإسناد ظلم النساء إلى الإسلام، أو حاجة المسلمين إلى تقليد غيرهم في إصلاح شيء من البيوت "[1].

ونادى بإصلاح الأمم في عاداتها وعقائدها وأخلاقها فقال :" وأما الأمور الاجتماعية التي مكنت سلف المسلمين من فتح بلاد كسرى وقيصر وغيرهما من الشعوب فهي أكبر حجة للإسلام أيضا، إذ ليست تلك الأمور إلا ما أصاب تلك الشعوب من الشرك وفساد العقائد والآداب، ومساوئ الأخلاق والعادات، من فشو الفواحش والمنكرات، وسلطان البدع والخرافات، التي جاء الإسلام لإزالتها، واستبدال التوحيد والفضائل بها، ولهذا وحده نصرهم الله على الأمم كلها – ولما أضاع جماهير المسلمين هذه العقائد والفضائل، واتبعوا سنن تلك الأمم من البدع والرزائل، وهو ما حذرهم الإسلام منه، ثم قصروا للاستعداد المادي للنصر في الحرب، ففقدوا النوعين منه، عاد الغلب لغيرهم عليهم "[2] .

ومما يذكر لرشيد رضا في تفسيره " أنه كان كثير الاستطراد إلى تتبع بدع المسلمين والكشف عن عوارها والإرشاد إلى علاجها، مع تشدد منه وتعسف في كثير من الأحيان".[3]وكان له دور كبير في توجيه العلماء والحكام والعمل على إصلاحهم وطب هفواتهم، فقال عن تفشي الكذب في أوساطهم : " إنما جعل شيخنا جريمة الكذب مثلا لاستباحة فاسدي الدين للمعاصي، لأنه في معناه العام أكبر الكبائر، وشر الرذائل، حتى إن الكفر والشرك شعبة منه، ولأنه ليس مما تغلب المرء عليه ثورة غضب أو ثورة شهوة، بل يقترف بالتروي والتعمد، ولأنه مع ذلك عام فاش في جميع طبقات الناس في عصرنا هذا حتى العلماء والوزراء " [4].

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج1 ، ص 100.

[2]– المصدر نفسه ، ج9 ، ص 555 .

[3]– حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص 432 .

[4]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج1 ، ص 249 .

وهكذا اتخذ صاحب المنار من إصلاح المجتمع شعارا له عند كل مناسبة، إلا أنه تأثر في أوقات كثيرة بسلبيات المدنية المعاصرة، " فعالج بعض القضايا الاجتماعية بروح المفسر العصري بحسناته وسيئاته "[1].

2- اتباع المنهج العقلي: تميز تفسير المنار بإعطاء مساحة واسعة للعقل في تفسير آيات القرآن الكريم، واتخذ من ذلك المنهج طريقا يدعو إليه وشعارا ينافح عليه.

قال رشيد رضا متحدثا عن الحكمة:" فالحكمة هي العلم الصحيح المحرك للإرادة إلى العمل النافع الذي هو الخير، وآلة الحكمة هي العقل السليم المستقل بالحكم في مسائل العلم، فهو لا يحكم إلا بالدليل، فمتى حكم جزم فأمضى وأبرم "[2].

وقال حكاية عن شيخه :" وقد بين شيخنا الأستاذ الإمام في رسالة التوحيد كيف ارتقى التشريع الديني في الأمم بارتقاء نوع الإنسان في الإدراك والعقل، كارتقاء الأفراد من طفولة إلى شباب إلى كهولة بلغ فيها رشده واستوى، وصار يدرك بعقله هذه الهداية العقلية العليا (هداية القرآن) بعد أن كان لا سبيل إلى إذعانه لتعليم الوحي، إلا ما يدهش حسه ويعيي عقله من آيات الكون "[3].

والحقيقة أن القرآن الكريم قد أعطى للعقل مكانه الصحيح وبوأه منزلته اللائقة به، فدعا الناس إلى إعماله فيما يستطيع فهمه واستيعابه، وحذرهم من إقحامه فيما يعجزه ويتعدى إدراكه، فاهتمام المنار بالعقل في فهم كتاب الله وتفسيره مبدأ قد سبقه إليه القرآن وحث عليه، ولكنه ضبطه بضوابط وحدود فقال تعالى :" **ولا تقف ما ليس لك به علم** " (**الإسراء: 36**) .

لقد ترك ذلك المنهج الذي سلكه المنار أثرا بارزا في معالجة كثير من القضايا التي تهيب علماء العصر الكلام فيها كالاجتهاد والتقليد، والتفريق بين محاسن التصوف ومساوئه. [4]إلا أن أربابه

[1]- الرومي ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج1 ، ص 384 – 385 .

[2]- رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج3 ، ص 65 .

[3]-المصدر نفسه ، ج11، ص 196.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص59-60.

بالغوا في الاعتداد بذلك المبدإ حتى أوقعت بهم تلك المبالغة في مواطن اعتبرها العلماء والباحثون ضربا من الشطط والزلل. ويمكن التدليل على ذلك بمثالين:

1- رأي محمد عبده في أصل الإنسان : استبعد محمد عبده أن يكون آدم أبا لجميع البشر، وسار على ذلك الرأي في تفسير الآيات الواردة في ذلك، فقال عند قوله تعالى: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ **[النساء:1]**، ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص، ولا بالظاهر، فمن المفسرين من يقول : إن كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكة، أو قريش، فإذا صح هذا جاز أن يفهم منه بنو قريش أن النفس الواحدة هي قريش أو عدنان، وإذا كان الخطاب للعرب عامة، جاز أن يفهموا منه أن المراد بالنفس الواحدة بعرب أو قحطان، وإذا قلنا: إن الخطاب لجميع أهل الدعوة إلى الإسلام، أي جميع الأمم، فلا شك أن كل أمة تفهم منه ما تعتقده، فالذين يعتقدون أن جميع البشر من سلالة آدم يفهمون أن المراد بالنفس الواحدة آدم، والذين يعتقدون أن لكل صنف من البشر أبا يحملون النفس على ما يعتقدون "[1].

ولم يعترض رشيد رضا على ذلك الرأي من شيخه، بل زاده توكيدا و بيانا فقال :"وأقول زيادة في الإيضاح: إذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحدة هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية، ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم، وهي أن آدم أبو البشر " [2]، ثم أضاف بعد صفحات:" على كل حال، وكل قول يصح أن جميع الناس من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناسا، وهي التي يتفق الذين يدعون إلى خير الناس، وبرهم ودفع الأذى عنهم كونها هي الحقيقة الجامعة لهم، فتراهم على اختلافهم في أصل الإنسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف: إنهم إخوتنا في الإنسانية، فيعدون الإنسانية مناط الوحدة، وداعية الألفة والتعاطف بين البشر، سواء اعتقدوا أن أباهم آدم – عليه السلام–، أو القرد، أو غير ذلك "[3].

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج4 ، ص 265.

[2]- المصدر نفسه ، ج4 ، ص 266.

[3]- المصدر نفسه، ج4 ، ص 268.

كان ذلك الزلل واضحا جليا في تفسير تلك الآيات، " إلا أن الذي دفع مدرسة المنار عموما لمثل هذا القول، هو دفع التعارض بين كتاب الله وبين ما توصل إليه " الباحثون من الإفرنج" في هذا الشأن، ولاسيما مثل النظرية الداروينية "[1].

2- **رأيه في الملائكة** : تحدث محمد عبده عن الملائكة فقال ما ملخصه:" أن الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته، وإنما نؤمن بإخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا نزيد عليه، وتقدم أن القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف، لكل صنف وظيفة وعمل"[2].

ثم قال في كلام طويل: "وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة، وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من مظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة، فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي سمي في روح الشرع ملكا، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية، إذا كان لا يعرف من الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة، والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها، وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا، وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا، لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع، فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات "[3] .

تحدث محمد عبده في القول الأول عن مذهب علماء الأمة في الملائكة، وتحدث في الثاني عن مذهب الملحدين من أهل الطبيعة وأمثالهم، فلم يتحرج من إباحة القول به والاعتقاد بمقتضاه.

---

[1]- شقير ، موقف المدرسة المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص110 . وينظر ما كتبه فهد الرومي في كتابه " منهج المدرسة العقلية في التفسير" ، حول نظرية داروين ورد الأفغاني عليها ، ج2 ، ص 598-602.

[2]- رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج1 ، ص 222.

[3]-المصدر نفسه ، ج1، ص 223 .

وكان من نتيجة ذلك الرأي قوله بالتمثيل في قصة آدم وإبليس، وتأويل سجود الملائكة بتسخير قوى الكون والطبيعة للإنسان وخضوعها له، جريا على القول السابق من أن الملائكة يمكن أن تكون قوى من قوى الطبيعة.

ودافع رشيد رضا – مرة أخرى – عن هذا الرأي بأنه جاء من أجل : " إقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم، وقد اهتدى به كثيرون، وضل به آخرون"[1].

وهنا يطرح السؤال:إذا كان هذا الرأي صوابا؛ فلماذا كان الإيمان بالملائكة ركنا أكيدا في إيمان المؤمنين مادام أن اسم الملائكة ليس له مسمى محدد يصدق عليه؟، "ثم ما الفرق بين من ينكر وجود الملائكة وبين من يزعم أنها قوى طبيعية ما دام منكر الملائكة يقر ويعترف بوجود قوة نمو في النبات وخلقه في الحيوان، وحفظ في الإنسان ولكنها قوى طبيعية لا ينطبق عليها ما ورد في القرآن الكريم من أوصاف الملائكة ؟"[2].

3– أسس أخرى : مثل المبدأ السابق (اتباع المنهج العقلي) في تفسير المنار نواة أصلية لمجموعة من الأسس التي قام عليها ذلك التفسير من أهمها : " إنكار التقليد وذمه، وموقفهم من التفسير بالمأثور، ورد بعض الأحاديث الصحيحة، والتحذير من الإسرائيليات، وتأويل الخوارق والمعجزات بما يبطلها، وكذا تأويل بعض القصص القرآنية بالتأويل وعدم وقوعها، وموقفهم من بعض الغيبيات كالملائكة والجن، وبعض علامات الساعة وأمارتها، وموقفهم من السحر وغير ذلك كثير "[3].

ذلك هو تفسير المنار، وذلكم هو الهدف الذي سطر لأجله، وتلكم هي أهم الأسس والمبادئ التي ميزته عن غيره من التفاسير.

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 224–225 .

[2]– الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج2 ، ص 630.

[3]– الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، ج2 ، ص 737 .

ملخص المدخل التمهيدي

خلص هذا المدخل إلى ما يأتي:

– ولد رشيد رضا بطرابلس الشام عام 1282هـ – 1865م، وبها تلقى تعليمه ونال إجازاته العلمية .

– تأثر في بداية حياته بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي فمال إلى الزهد والتصوف فترة من الزمن، ثم وقع على أعداد من مجلة العروة الوثقى فأحدث ذلك في نفسه تحولا هائلا، جعله يعمل على الالتقاء بمؤسسيها جمال الدين الأفغاني والأستاذ محمد عبده، لكن المنية عاجلت الأفغاني قبل أن يتمكن رشيد رضا من لقائه.

– انتقل بعد ذلك إلى مصر عام 1315هـ، وبها التقى الأستاذ محمد عبده فلازمه وأخذ عنه، وبها مارس عمله الإصلاحي في مجموعة واسعة من المجالات، بدءا بإنشاء مجلته المشهورة "المنار" عام 1315هـ.

– وبمصر أنشأ " تفسير المنار " في نفس العام بمشاركة مع شيخه محمد عبده، فاستودعه كثيرا من المبادئ والأسس التي كان يؤمن بها ويدعو إليها.

– تميز تفسير المنار بروح عصرية واضحة، وقام على مجموعة من الأسس والمبادئ، أهمها: مبدأ الإصلاح الاجتماعي، ومبدأ اتباع المنهج العقلي في التفسير.

الـفـــــصــل الأول

محتويات الفصل

المبحث الأول: الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير.

المطلب الأول: التعريف بالإسرائيليات وأقسامها .

المطلب الثاني: موقف الصحابة والتابعين من روايتها .

المطلب الثالث: تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير وموقف المفسرين منها .

المطلب الرابع: أهم أعلامها من مسلمي أهل الكتاب.

خلاصة المبحث.

المبحث الثاني: نقد الإسرائيليات عند رشيد رضا..

المطلب الأول: رأي رشيد رضا في الإسرائيليات ورواتها.

المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا فيما ذهب إليه .

المطلب الثالث: دراسة نموذجين من الإسرائيليات المنتقدة في تفسير المنار.

خلاصة المبحث.

تمهيد

عرفت كتب التفسير القديم مجموعة كبيرة من الروايات الإسرائيلية، مع تفاوت نسبي بين تلك الكتب في عدد الروايات، ومنهج روايتها.

وظهر تفسير المنار، فكان له منهج مغاير تماما لتفسير ال مقدمين في التعامل مع الروايات الإسرائيلية، حيث يستطيع القارئ لهذا التفسير أن يلمس بوضوح مسلكه المميز له في التعامل مع الروايات عموما، والإسرائيليات منها خصوصا.

ويهدف هذا الفصل إلى التعرف على الموقف النقدي للشيخ رشيد رضا من الإسرائيليات، ومعالجة مدى موضوعية الشيخ في نقد هذه الروايات وأعلامها، وذلك من خلال عرض المسالك التي انتهجها في نقده لتلك الروايات، وتحليلها، ثم مناقشتها في ظل أقوال العلماء وآراء الباحثين.

يحتوى الفصل على مبحثين، كل مبحث مقسم إلى مجموعة من المطالب.

المبحث الأول: الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير.

المبحث الثاني: نقد الإسرائيليات عند صاحب المنار.

المبحث الأول: الإسرائيليات و تسربها إلى كتب التفسير

يتناول هذا المبحث مجموعة من النقاط المتعلقة بالإسرائيليات ومبدإ تسربها إلى كتب التفسير. ضمنته عددا من العناصر التي يستطيع القارئ من خلالها بلورة العوامل والمبررات التي ساهمت في إدخال ذلك الكم الهائل من الإسرائيليات إلى مؤلفات المفسرين ، بدءا من بيان الحكم في رواية الإسرائيليات، ثم معرفة موقف الصحابة من مرويات أهل الكتاب، وأثر ذلك الموقف على ما حصل من توسع في تلك الروايات على عهد التابعين، معرجة على الموقف العام للمفسرين من رواية الإسرائيليات والاستعانة بها في فهم القرآن الكريم، محاولة من ذلك كله طرح تفسيرات موضوعية تبين لنا: كيف ولماذا انتقلت الإسرائيليات إلى كتب التفسير؟.

ينقسم المبحث إلى مطالب أربعة هي:

المطلب الأول: التعريف بالإسرائيليات و أقسامها.

المطلب الثاني: موقف الصحابة و التابعين من روايتها.

المطلب الثالث: تسربها إلى كتب التفسير وموقف المفسرين منها.

المطلب الرابع: أشهر رواتها من مسلمي أهل الكتاب .

المطلب الأول: التعريف بالإسرائيليات و أقسامها

الفرع الأول: تعريف الإسرائيليات

أولا– تعريفها اللغوي:

الإسرائيليات لغة :" جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، و النسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره "[1]، وذلك نحو قولنا في بني آدم "آدميين"، وفي بني أمية "أمويين". وقد اشتقت هذه التسمية من كلمة إسرائيل التي ورد ذكرها في القرآن مرتين، الأولى منه م ا في سورة آل عمران و الثانية في سورة مريم عليها السلام[2]. فمن يكون إسرائيل؟.

جاء في لسان العرب أن:" **الإيل** اسم من أسماء الله – تعالى – غير عربي، **وإسرا** بعنى الشدة"[3]، ونُقل عن الأصمعي –رحمه الله – أن: "**الإيل** يدل على الربوبية، وما يضاف إليه يكون في معنى عبد "[4].

ويذكر المفسرون أن إسرائيل هو نبي الله يعقوب – عليه السلام –، أطلق عليه هذا الاسم من باب الاصطفاء والتقدير، ومعناه عبد الله كما يظهر من تعريب الكلمتين العبرانيتين" إسرا" و"إيل". قال الإمام أبو جعفر الطبري – رحمه الله –:" وكان يعقوب يدعى "إسرائيل"، بمعني عبد الله وصفوته من خلقه"[5] ، ونقل بعضهم الاتفاق على ذلك كما فعل الرازي والخازن والشوكاني في

---

[1] – محمد بن محمد **أبو شهبة**، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم– القاهرة، ط4: 1408 هـ، ص12.

[2] – ينظر، كمال **معزي**، أثر الإسرائيليات في الفكر العقدي الإسلامي، ماجستير في مقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة، إشراف: د/ بشير بوجنانة، 1413 هـ- 1993 م، ص 8.

[3] – أبو الفضل جمال الذين محمد بن مكرم بن علي ، **ابن منظور** الأنصاري ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط3 : 1414هـ ، ج 11 ، ص 26. بتصرف.

[4] – أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد **الأصبهاني** ، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى– مكة المكرمة، ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع– جدة، ط1: ج 1 (1406 هـ – 1986م)، ج 2 و ج 3 (1408 هـ – 1988 م) ،ج1، ص115. بتصرف.

[5] – أبو جعفر محمد بن جرير **الطبري**، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1: 1420 هـ-2000 م، ج1، ص 553.

تفاسيرهم. قال الشوكاني – رحمه الله – :" اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ومعناه عبد الله ، لأن إسرائيل في لغتهم هو العبد وإيل هو الله ".[1]

ولم يعلم خلاف بين المفسرين في كون " إسرائيل " هو يعقوب عليه السلام إلا ما ذكر عن الأستاذ محمد عبده أنه شعب إسرائيل و ليس يعقوب. قال – رحمه الله – عند تفسيره للآية رقم "93" من سورة آل عمران — فيما نقل عنه تلميذه الشيخ رشيد رضا – :"فالمراد بإسرائيل شعب إسرائيل، كما هو مستعمل عندهم، لا يعقوب نفسه." [2]. ومراد محمد عبده من هذا هو صرف ظاهر اللفظ عن حقيقته ليوافق ما ذهب إليه من تأويل في الآية، وهو وقوع التحريم على بني إسرائيل أنفسهم من "باب العقوبة" وليس على أبيهم يعقوب ، أو بكونه وقع منهم بحكم العادة والتقليد لا بحكم من الله .[3]

لكن ما ذهب إليه محمد عبده معارض بما يثبت خلاف ذلك ، فقد روي الإمام أحمد – رحمه الله– بسنده إلى ابن عباس قال:" حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمهن إلا نبي؟، فكان فيما سألوه أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ قال:" فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن **إسرائيل يعقوب** عليه السلام مرض مرضا شديدا فطال سقمه، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ، ليحرمن أحب الشراب إليه ، وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟" فقالوا اللهم نعم."[4].

---

[1] – محمد بن علي بن محمد **الشوكاني**، فتح القدير، دار ابن كثير– دمشق، ودار الكلم الطيب– بيروت، ط1: 1414 هـ، ج1، ص 87. وينظر، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن **الرازي**، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط3: 1420 هـ، ج 3، ص 474. وينظر، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف **بالخازن**، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية– بيروت، ج1، ص 40.

[2] – رشيد رضا، تفسير المنار، ، ج4، ص4.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 4 – 5 .

[4] – أبو عبد الله أحمد بن محمد **بن حنبل** الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف:د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ- 2001م، ومن مسند بني هاشم،

ووجه الشاهد فيه هو التصريح بأن إسرائيل هو يعقوب- عليه السلام -، وأنه هو الذي نذر التحريم بنفسه، فلا وجه إلى ما ذهب إليه محمد عبده من صرف ظاهر اللفظ عن حقيقته طلبا للتأويل. وعليه فالاتفاق الذي ذكره بعض المفسرين في كون إسرائيل هو يعقوب – عليه السلام – قائم، والقول بخلافه شاذ لا يلتفت إليه.

أما بنو إسرائيل فهم أولاد يعقوب- عليه السلام -، ويراد بهم" اليهود؛ لأنهم يعودون في أصولهم إلى أولاد يعقوب الاثني عشر"[1].

فالإسرائيليات إذن كلمة مشتقة من لفظة إسرائيل وهو يعقوب – عليه السلام -، والنسبة فيها إلى ذريته ونسله وهم اليهود ومن تسلل منهم.

ثانيا- تعريفها الاصطلاحي

الإسرائيليات اصطلاحا: عرفها الشيخ حسين الذهبي- رحمه الله – بقوله: " هي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي." [2] والمراد بهذا أن "الإسرائيليات" في الاصطلاح تطلق على ما يرويه اليهود من أخبار مأخوذة من صحفهم وكتبهم. فلفظها يدل في ظاهره على ما روي عن بني إسرائيل على وجه الخصوص. غير أن علماء التفسير والحديث أطلقوا هذا اللفظ على ما هو أعم من قصص بني إسرائيل وأخبارهم فعدوا منه كل ما تسرب إلى التفسير والحديث من الأساطير القديمة. وبهذا الشأن يضيف حسين الذهبي:" فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى

= مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم 2471، ج4، ص277-278. وقال المحقق عن هذا الحديث أنه ضعيف الإسناد لكنه يرتقي إلى درجة الحسن لوروده من طريق آخر يقويه، وذيله بتخريج مفصل ومفيد، وأورد طرقه عن مجموعة من المفسرين والمحدثين، منهم: ابن أبي حاتم والطبري كل منهما في تفسيره، والترمذي، والنسائي في الكبرى، والطبراني.

[1] – **أبو بكر جابر** بن موسى بن عبد القادر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة ، ط3: 1424 هـ -2003 م، ج1، ص 48.

[2] – محمد **حسين الذهبي**، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة- القاهرة، (بدون طبعة)،ص13.

التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما."[1]

وتوسع في هذا الباب، فعد منه كل دخيل في التفسير، سواء كان له أصل من مصادر أهل الكتاب وغيرها أم لم يكن له أصل بالمرة، وإنما هو من قبيل العداء والدس في عقائد المسلمين [2]، وعلى هذا النهج من التوسع في مفهوم الإسرائيليات سار كثير من الباحثين في كتابتهم عنها، فعدوا من ذلك كل دخيل على التفسير خصوصا ما تشم منه رائحة المبالغة أو الدس والكيد؛ ولو لم يكن واردا عن طريق بني إسرائيل، أو متحدثا عنهم.

وهذه كلمة وافية من الشيخ رمزي نعناعة – رحمه الله – أنقل بعضها باقتضاب، قال:" والنهج الذي سنسير عليه في بحثنا هذا هو أخذ هذا اللفظ بمفهومه الواسع بحيث يشمل كل دخيل على التفسير...لأننا لاحظنا أن كثيرا من كتب التفسير بالمأثور تورد بيانات مسهبة حول الشخصيات والقصص والأعلام والأحداث القرآنية منسوبة إلى صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتابعيهم من غير مسلمي أهل الكتاب، من هذه البيانات ما ليس له ورود في أسفار أهل الكتاب أو ليس واردا بالأصل في الحديث عن بني إسرائيل؛ كقصة هود وقومه عاد، وصالح وقومه ثمود...ومنها ما هو وارد بصيغة أحاديث لا وجود لها فيما يعتبر من كتب الحديث. فيكون إطلاقنا لما تعرضنا إليه من ذلك اسم "الإسرائيليات" ليس من باب الحقيقة، ولكن على وجه التغليب."[3]

ثالثا– المناسبة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي

تظهر المناسبة جلية واضحة بن التعريف اللغوي للإسرائيليات و التعريف الاصطلاحي لها، فالنسبة إلى بني إسرائيل في اللغة موافقة لتسمية ما يروى عنهم "بالإسرائيليات" ، أما إلحاق ما دس في التفسير و الحديث بالإسرائيليات و إن لم يكن إسرائيلي المصدر، فه و

[1] – المصدر نفسه، ص 13.

[2] – ينظر: ، **حسين الذهبي**، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص 13-14.

[3] – رمزي **نعناعة**، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم– دمشق ، ودار الضياء– بيروت، ط 1: 1390 هـ – 1970 م، ص 74. بتصرف يسير.

مناسب لما عرف به اليهود من سبقهم في الدس والكيد للإسلام و المسلمين، ومن ثم إلحاق ما شاكل ذلك بما ينسب لاسمهم وهو" الإسرائيليات".

الفرع الثاني: أقسامها

تحدث القرآن الكريم كثيرا عن أهل الكتاب من النصارى واليهود، ووسم للمسلمين حدود التعامل معهم، فكان من ذلك احترام رسلهم وأنبيائهم، وتصديق ما أنزل الله عليهم من حق في كتبهم، دون إغفال لما اقترفوه من تحريف وتبديل وتغيير. كما وردت عدة أحاديث عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– في شأن الرواية عن أهل الكتاب والأخذ عنهم.

لكن تلك الأحاديث لم تأت في سياق واحد، فمنها ما جاء في سياق الحظر والمنع، ومنها ما جاء في سياق الإباحة والجواز، ومنها ما كان دعوة للحذر والتوقف إزاء مرويات أهل الكتاب ، وبناء على ذلك؛ فإن العلماء قسموا الإسرائيليات من حيث موافقة الشرع ومخالفته ومن ثم جواز الرواية ومنعها إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يحمل حكما شرعيا خاصا به.

القسم الأول: قسم صحيح موافق لشرعنا، وهو ما علمنا صحته مما عندنا من نصوص فهذا القسم مما تجوز روايته عن أهل الكتاب وتصديقهم فيه، ومثاله ما رواه البخاري في كون الخضر اسلم لصاحب موسى عليه السلام: " بينما موسى في ملإ من بني إسرائيل، جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إلى موسى : بلى، عبدنا خضر" [1]. فنحن نصدق أن الخضر اسم لصاحب موسى وذلك لمجيئه من طريق صحيح عندنا.

ويشهد لهذا القسم ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بلغوا عني و لو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".[2]

[1] – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري**، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1: 1422هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم3400، ج4، ص 154.

[2] – المصدر نفسه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3461، ج4، ص 170.

فهذا الحديث يشير إلى جواز التحديث عن بني إسرائيل، لكن العلماء قيدوه بما يوافق الشرع ولا يخالفه، قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-: " إذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا، فأما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي بأيدينا عن المعصوم فذلك متروك مردود لا يعرج عليه" [1]. فجواز الرواية عن بني إسرائيل محمول على ما علم صدقه وموافقته لشرعنا، وإلا فهو باطل غير مقبول.

القسم الثاني : قسم باطل مكذوب، مخالف لما عندنا من نصوص، فهذا القسم لا تجوز روايته إلا على وجه البيان لبطلانه.وعليه تحمل أحاديث النهي الورادة في ذلك ومنها:

1- ما روي عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنه-" أنه قال: "يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل إليكم"[2].

فهذا نهي صريح من ابن عباس- رضي الله عنه- عن الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم، ولو لم يكن لديه مستند شرعي يعتمد عليه في ذلك ما غضب بمثل تلك الحال. وإن كان هذا الموقف ملفتا أمام ثبوت أخذ ابن عباس عن أهل الكتاب فإن له تحليلا ذكره الدكتور بن ناصر الطيار جاء فيه:

- أن ذلك النهي ورد فيما يكون طلبا للاهتداء بما عندهم.

— أو أنه كان رأيا متأخرا لابن عباس.

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير**، البداية و النهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1: 1408هـ – 1988م، ج2، ص58.

[2] - البخاري، الصحيح، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم2685، ج3، ص181.

– أو أنه جاء سدا للذريعة، لما رآه من كثرة الرجوع إليهم.[1]

القسم الثالث : قسم مسكوت عنه في شرعنا، ليس لدينا ما يؤيده أو يعارضه، فهو محتمل للصدق والكذب. فحكم هذا النوع أن نتوقف بشأنه و ألا نحكم عليه بشيء مادام يحتمل الأمرين جميعا.

ويشهد لهذا القسم ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله قال:" كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم " و قولوا:" آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا " وما أنزل إليكم الآية.[2]

فهذا الحديث يحث المسلمين على التوقف فيما لم يتبين حاله من أحاديث أهل الكتاب، لئلا يكون باطلا فيصدقونه أو صدقا فيكذبونه.

وخلاصة القول أن: الرواية عن أهل الكتاب تكون جائزة فيما وافقوا فيه شرعنا، وتحظر فيما خالفه إلا ببيان، أما ما سكت عنه شرعنا فراويته جائزة، شريطة التوقف في تصديقه أو تكذبيه.

[1]- ينظر: د/ مساعد بن سليمان بن ناصر **الطيار** ، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، دار ابن الجوزي ، ط 2: 1428 هـ، ج1، ص158.

[2] – البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، رقم7362، ج9، ص111.

المطلب الثاني: موقف الصحابة و التابعين من روايتها

الفرع الأول: بيان موقفهم

تعرضت فيما سبق لأقسام الإسرائيليات وحكم روايتها وبينت أنها على ثلاثة أقسام من حيث موافقتها للشرع ومخالفته . ومن هذا المنطلق كان تعامل الصحابة –رضي الله عنهم– مع الروايات الإسرائيلية، حيث قبلوا منها ما يوافق الشرع ورفضوا منها ما يخالفه وتوقفوا فيما عدا ذلك تطبيقا لأمر النبي–صلى الله عليه وسلم– وعملا بتوجيهاته.

وقد تميز **الصحابة** – رضوان الله عليهم – بمنهج قويم في تعاملهم مع الإسرائيليات، واتسم أخذهم عن أهل الكتاب بأمور وضوابط أهمها:

1– عدم السؤال عما له تعلق بالعقيدة أو الأحكام اكتفاء بما عندهم في ذلك، عدا ما كان لغرض التأكيد و الاستشهاد أو إقامة الحجة على أهل الكتاب بما في أيديهم.

2– عدم العدول عما كان لهم فيه جواب عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – إلى غيره من الأقوال أيا كان مصدرها.

3– عدم السؤال عما يعد السؤال عنه ضربا من اللهو والعبث كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف ومقدار سفينة نوح وغير ذلك مما كان الصحابة يعدونه قبيحا ومن قبيل تضيع الأوقات كما قال الإمام الدهلوي– رحمه الله –.

4– مراجعة الصحابة لأهل الكتاب فيما يشكون فيه من أخبار، خصوصا إذا ورد فيه شيء عن رسول الله – عليه السلام –.[1]

ومما يجب التأكيد عليه والتنبيه إليه أن الصحابة – رضوان الله عليهم– كانوا أحرص الناس على الامتثال والانقياد، فلم يكن رجوعهم لأهل الكتاب إلا عملا بما فهموه من أقوال رسول الله، حيث أنهم " كانوا يتوقفون إزاء ما يسمعون من تلك الأخبار مما لم يتبين حاله، وقد يتحاورون

[1] –ينظر في تفصيل تلك الضوابط: حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1، ص 124-125.

أحيانا مع أهل الكتاب في بعض الجزئيات فيقبلون منها ما لا يتصل بباب العقيدة أو الأحكام , ولكن في ضوء توجيهات رسول الله – عليه السلام –".[1]

أما التابعون فقد كانوا أكثر توسعا من الصحابة في هذا الأمر، وهو ما ساهم في زيادة عدد الروايات الإسرائيلية في عهدهم بصورة جلية وواضحة عما كانت عليه في عهد الصحابة ، "وقد أدى التوسع في رواية الإسرائيليات على ذلك النحو إلى بعض التساهل في تمحيصها، فزجت طائفة منهم في التفسير بكثير من تلك الأخبار دون تحرٍّ لصحة أو تحقق لخبر"[2].

الفرع الثاني– الشبهات المثارة حول موقف الصحابة وردود العلماء عليها

أولا – عرض الشبهات

هكذا كان موقف الصحابة من الإسرائيليات، موقفا متسما بالوسطية والاعتدال، متماشيا مع ما رسمه لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قواعد وحدود، فلا تصديق بغير بيان، ولا تكذيب بغير برهان. ومع ذلك ، فقد كان موقفهم هذا محلاً لإثارة الكثير من شبهات المرتابين وغمزات المتربصين.

ومن أبرز الشبهات التي أثارها الطاعنون في موقف الصحابة من الإسرائيليات هي روايتهم عن كعب الأحبار وأمثاله من مسلمي أهل الكتاب، حيث رأوا أن أهل الكتاب كانوا على قدر كبير من المكر والدهاء مما مكنهم من خداع الصحابة و استغلال ثقتهم في بث ما يشوه الإسلام و يعارضه عن طريق ما كانوا يلقونه إليهم من إسرائيليات ، "ولقد حاول بعض المستشرقين تصوير الصحابة في صورة مغفلين خرافيين يصدقون كل ما يلقى إليهم من كعب وغيره من مسلمي أهل الكتاب "[3]. وحاول بعضهم وسم الصحابة الأبرار بمبدإ المخالفة والإعراض عن توجيهاته– صلى الله عليه وسلم – فقال:" و قد رأى الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم –على

[1]– مناع بن خليل **القطان**، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط4 :1421هـ –2000م،ص 365.بتصرف.

[2]–الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج1، ص30. بتصرف.

[3] – نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص119.

العموم- في القرآن و في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم و ما فيهما من المعاني الدينية، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد- من كل جهة- من سؤالهم"[1].

وأشهر من عرف من الصحابة برواية الإسرائيليات ثلاثة وهم : أبو هريرة، و عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهم أجمعين- ، ولذلك فقد كانوا أكثر عرضة لطعنات المشككين،كما كانوا أكثر من" تعرض لتهمة الأخذ عن أهل الكتاب في توسع وتسامح يصل إلى حد الغفلة- كما يقول بعض الطاعنين- "[2].

ذكر الشيخ أبو شهبة- رحمه الله- حكاية عمن يردد هذه الشبهات أن: " علماء الحديث ذكروا في باب رواية الصحابة عن التابعين أو رواية الأكابر عن الأصاغر: أن أبا هريرة والعبادلة ومعاوية وأنس وغيرهم رووا عن كعب الأحبار الذي أظهر الإسلام خداعا، وطوى قلبه على يهوديته، و أن أبا هريرة أول من انخدع به، و قد استغل كعب سذاجته فاستحوذ عليه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي"[3] .

ونُقل إلينا عن آخر قوله:" وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار، ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم "ولكن الأمر كان على غير ذلك، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم."[4]

---

[1] - حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1 ، ص 55، والكلام للمستشرق الإسرائيلي جولد سيهر.

[2] - حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص 57-58.

[3] - محمد بن محمد **أبو شهبة**، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، مكتبة السنة، ط 1: 1989 م، ص 123.

[4] - حسين الذهبي، التفسير والمفسرون،ج 1، ص 55، والكلام للأستاذ أحمد أمين- رحمه الله-. أما الحديث فقد سبق تخريجه بلفظ آخر عند البخاري، وهذا اللفظ لأحمد. ينظر: أحمد، المسند، مسند الشاميين، حديث أبي نملة الأنصاري، رقم17225، ج28، ص460.

وحكى رمزي نعناعة عن:" بعض المؤلفين المحدثين أن عبد الله بن عمرو كان تلميذا لكعب الأحبار، وأنه استمد منه كثيرا من الإسرائيليات، وأنه كان يجلس ويحدث الناس بحديث الزاملتين [1] على أنهما عن النبي –صلى الله عليه وسلم –، ويطعن في حديثه الذي رواه البخاري وغيره"... حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" ويدعي أن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة– وقد رواها البخاري عن عبد الله بن عمرو– إنما هي حديث خرافة".[2]

هكذا يتكئ الطاعنون في موقف الصحابة من الإسرائيليات على شبه واهية لا سند لها ولا أساس.فالصحابة عموما– في نظرهم–، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن عمرو على وجه الخصوص كانوا فيما يروونه من إسرائيليات نقلة مغفلين وتلاميذ طائعين لكعب الأحبار وغيره من أهل الكتاب، ينقلون عنهم كل شيء، ويصدقونهم في كل شيء، من غير روية أو تمحيص أو بيان.

ثانيا– ردود العلماء عليها

تصدى العلماء للشبهات المثارة حول موقف الصحابة من الإسرائيليات، ففندوها وأظهروا ما فيها من الكذب والبهتان. ويمكن إجمال ردودهم في نقطتين:

الأولى– الرد على القول بغفلة الصحابة ومخالفتهم

إن أخذ الصحابة عن أهل الكتاب ثابت –كما سبق بيانه– لكنهم لم يكونوا بالصورة التي وصفوا بها من الغفلة والمخالفة والسعي وراء مرويات أهل الكتاب طلبا لما عند هؤلاء من المعرفة والفهم في الدين، بل كانوا على العكس من ذلك على قدر كبير من الحيطة والوعي فيما يأخذون ويتركون.

[1] –الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع. : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الزمخشري** جار الله، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق:علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان، ط 2:(بدون تاريخ)، ج2، ص124.

[2] – نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص153.والحديث سبق تخريجه ص34.

أما أبو هريرة، فلم يكن غرا ساذجا يقبل كل ما يلقى إليه من كعب وغيره، بل كان كيسا فطنا، وأدل شيء على ذلك هو مراجعته لأهل الكتاب، ومنه ما وقع له مع كعب وعبد الله بن سلام في شأن ساعة الجمعة.

وأما عبد الله بن عباس فقد كانت له أيضا مواقف معارضة لأهل الكتاب تدل على فطنته وذكائه وتمييزه. وقد سبق معنا تحذيره الشديد من الأخذ عن أهل الكتاب والرجوع إليهم. ومن ذلك ما رواه الطبري بسنده، وذكره ابن كثير في تفسيره من رواية البخاري جاء فيها أن: " سعيد بن جبير، قال: قلت لا بن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر، ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس : كذب عدو الله"[1].

فمثل هذا التكذيب من ابن عباس لليهود في شأن الخضر صاحب موسى، إن دل على شيء فإنما يدل على ما ذكر من فطنة ابن عباس وتمييزه فيما يؤخذ عن أهل الكتاب وما يترك ويرد.

وأما عبد الله بن عمرو بن العاص فقد كانت له صحيفة تسمى الصادقة كتبها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فكان يحدث منها وقال في شأنها:" كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر، يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: "اكتب، فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق "[2].

[1] – البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب (وكان الإنسن أكثر شيء جدلا) (الكهف 54)، رقم4725، ج6، ص 88.

[2]– ابن حنبل، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم 6802، ج11، ص57-58. وقد علق المحقق عليه بصحة الإسناد، وأورد فيه تخريجا مفصلا جاء فيه – ملخصا –: أخرجه ابن أبي شيبة، وأبو داود، والدارمي، وأخرجه الحاكم من طريقين فصححه ووافقه الذهبي.

فعبد الله لم يكن تلميذا لكعب الأحبار – كما زعموا – وإنما هو تلميذ معلم الأمة الأول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وأما ما نسب إليه من أمر الزاملتين والتحديث منهما فإنه لا يغض من شأنه أو يسقط من قدره، فقد كان على قدر كبير من الحيطة والورع والقدرة على الفهم والتمييز، فلن يخذله فهمه في تمحيص ما في تلك الصحف من باطل، ولن يخونه ورعه في اجتناب الكذب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واستبدال حديثه بحديث الزاملتين – كما زعموا أيضا–. "وإذا كان لا بد من التسليم بصحة ما روي في ذلك فلسنا نسلم أنه وقع على إطلاقه، بل الظن بابن عمرو أنه لم يتجاوز ما فهمه أمثاله من الصحابة – رضوان الله عليهم – في قول نبيهم – صلى الله عليه وسلم –" حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج".[1]

وما أجمل ما جاء حول موقف الصحابة من الإسرائيليات وما أثير حوله من شبهات في هاته العبارة القائلة : " ولا ينبغي أن يجعل من تلقي الإسرائيليات على هذا الوجه ذريعة للطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا يزنونها بالميزان الشرعي– كما أسلفنا– وكان ذلك منهم بعد استقرار أصول الشريعة وإرساء قواعدها – وكان ما يروونه من ذلك، مما يتعلق بالأخبار والقصص، لا بالعقائد والأحكام، فلم تكن رواية هذه الأخبار بالتي تزلزل عقائدهم أو تشوش أفكارهم– ومنزلتهم معروفة في العلم والدين".[2]

الثانية: الرد على كثرة مروياتهم في التفسير من أقوال أهل الكتاب

هكذا هي ساحة الصحابة إذن بعيدة عن كل نقص و عيب، "إذ أنهم لم يأخذوا عن أهل الكتاب شيئًا في تفسير القرآن من الأخبار الجزئية سوى القليل النادر "[3]، لكن قد يحق لمرتاب أن يقول: أن إنكار توسع بعض الصحابة في الأخذ عن أهل الكتاب نوع من المكابرة، فهذه كتب المفسرين مملوءة برواياتهم الإسرائيلية شاهدة عليهم بكثرة الرجوع إلى أهل الكتاب.

والجواب على هذا أن ظاهرة الوضع على الصحابة كانت عاملا مهما في ظهور تلك الإسرائيليات ورواجها، ويكفي للتدليل على ذلك ما نسب إلى ابن عباس من أقوال حتى جمعها

[1]– حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص67.والحديث سبق تخريجه.

[2] – نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص118.

[3]– مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص365.بتصرف يسير.

بعضهم في تفسير مستقل يشكك كثير من المحققين في نسبته إليه.[1] نعم! إن أهل الوضع والتدليس استغلوا منزلة ابن عباس ومكانته عند المفسرين، فأكثروا من الرواية عنه كذبا وزورا، ثم زج بذلك كله في تفسير القرآن الكريم. قال رمزي نعناعة:" وهكذا وصلت إلينا كتب المفسرين وهي تحكي عن ابن عباس في تأويل الآية الواحدة- أحيانا- رأيين أو ثلاثة، أو أكثر أحيانا، وبعض هذه الآراء يناقض بعضها الآخر مناقضة صريحة بحيث يستحيل الجمع بينها، ومن غير المعقول ولا السائغ أن يقول صحابي جليل كابن عباس كل هذا الخليط العجيب من التفاسير للآية الواحدة، ولست أدعو بهذا الكلام إلى طرح كل ما روي عن ابن عباس مما حفلت به كتب التفسير، فإن منه الصحيح وغيره، إنما أدعو إلى دراسة السند في كل رواية للحكم لها أوعليها".[2]

هكذا الشأن فيما يروى عن ابن عباس، و فيما يروى عن غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس كل ما تحويه كتب التفسير من أقوالهم ثابت النسبة إليهم ، بل إن الكثير من تلك الأقوال المخالفة للعقل و الدين مكذوبة وموضوعة عليهم.

وقد بذل علماء الحديث جهودا بارزة ودقيقة في بيان طرق الحديث وتمييزها حتى بينوا أصح الطرق وأوهاها." وللإمام الحافظ ابن حجر كلام طويل في هذه المرويات عن الصحابة والتابعين، ونقد الطرق التي رويت بها، ذكره في أول كتابه: أسباب النزول الذي سماه :" العجب العجاب، في بيان الأسباب" قال- رحمه الله – وأجزل ثوابه-: "والتابعون من أصحاب ابن عباس- رضي الله عنهما- و الطرق عنهم والذين اشتهر عنهم القول في ذلك من التابعين: أصحاب ابن عباس- رضي الله عنهما- و فيهم ثقات، وضعفاء".[3] وما صنيع ابن حجر هذا إلا جزء مما صنعه الكثير من علماء الحديث ورجال الجرح والتعديل . ومن الإنصاف لأولئك الأئمة الأعلام أن نقول عنهم أنهم: " قاموا بما يجب عليهم من البيان خير قيام وإنما الناس هم الذين فرطوا في الوقوف على

[1] – ينظر: أبو شهبة، الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، ص62.

[2] – نعناعة، الإسرائيليات و أثرها في كتب التفسير، ص131.

[3] – أبو شهبة، الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، ص150.

كلامهم، والسير على منهجهم، حتى يتبين الصحيح من الضعيف، و الحق من الباطل، و الجيد من الرديء".[1]

المطلب الثالث: تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير وموقف المفسرين منها

الفرع الأول: تسربها إلى كتب التفسير

عرفنا من التعريف الاصطلاحي للإسرائيليات أن مادتها نابعة من مصادر غير إسلامية، فكيف انتقلت تلك الروايات إلى كتب التفسير؟ وما هي العوامل التي ساعدت على ذلك الانتقال؟ والجواب أن مجموعة متداخلة من العوامل قد ساعدت على ذلك وهذا بيان أهمها:

العامل الأول: إسلام أعداد كبيرة من أهل الكتاب وأحبارهم واحتكاكهم بالصحابة رضوان الله عليهم ، ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد شارك التوراة والإنجيل في كثير من المواضيع، خصوصا ما تعلق من ذلك ببدء الخليقة، وقصص الأمم الغابرة، والأنبياء السابقين، مؤيدا بتلك المشاركة ما فيها من حق، ومصححا لما فيها من باطل، وكاشفا بذلك عن كثير من الحقائق والمعارف التي تعتبر زادا مشتركا بين جنس البشر أجمعين.

وقد مر معنا ما اتصفت به أخبار القرآن من إيجاز وإجمال ، " فلا عجب إذا رأينا بعض الصحابة يسأل من أسلم من أهل الكتاب، من أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وتميم الداري، وهكذا بدأ تسرّب الإسرائيليات في وقت مبكر في عهد الصحابة، ثم نشط هذا التسرب في عهد التابعين".[2]

العامل الثاني: توسع التابعين ومن جاء بعدهم في الرجوع إلى مرويات أهل الكتاب وما صاحب ذلك في عهد الرواية والتدوين من حذف للأسانيد، وهو ما استغله القصاصون ومن لا

[1] – المصدر نفسه، ص 148.

[2] – د. محمد علي الحسن ، : المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره ، قدم له: محمد عجاج الخطيب ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1: 1421 هـ - 2000 م، ص247.

خلاق لهم في اختراع كثير من القصص والأساطير ونسبتها زورا وبهتانا إلى الصحابة والتابعين مما ساعد على إحسان الظن بها وزجها في كتب التفسير والحديث، وقد يخترعون لها أسانيد لا تخلو في معظمها – كما قال أبوشهبة – " من ضعيف أو مجهول، أو متهم بالكذب أو الوضع أو معروف بالزندقة، أو مغمور في دينه وعقيدته".[1]

العامل الثالث: استغلال أعداء الإسلام لما حصل بينه وبين الثقافات المعاصرة له من تلاحم في بعض المواقف واشتراك في بعض الجوانب، وهو ما كان له أثر سيء جدا في تسريب الكثير من العقائد الشاذة والأفكار المنحرفة والحقائق الكاذبة إلى كتب المسلمين ومؤلفاتهم ومن ثم كتب التفسير. وقد كان لهذا الالتحام أثر واضح في مؤلفات المسلمين سواء ما تعلق منها بالجانب التاريخي، أو بالجانب العقدي كعلم الجدل والكلام، وغير ذلك من العلوم الإسلامية، متعديا بذلك نطاق التفسير ومؤلفاته، "ففي جانب التاريخ مثلا اهتم بعض المسلمين (كالطبري وابن إسحاق) ينقل تاريخ بني إسرائيل، وقد كان ذلك طبيعيا لمعرفة سير الرسل والأمم التي سبقت ختم النبوة، لكن العلم أثبت أن كثيرا من ذلك كان أشبه بالنقل عن العوام لعدم صحته.أما في جانب العقيدة فقد كان لليهود أثر غير قليل في بعض المذاهب الكلامية، ومن ذلك مسألة خلق القرآن التي يرجع أصل القول بها إلى يهودي كان يقول بخلق التوراة". [2] وهكذا ساهم اتصال عرب الجزيرة ومسلميهم بيهود بني إسرائيل في خلق نوع من عوامل الالتحام الثقافي بين الشعبين.

حينها تفاعلت تلك العوامل كلها لتفرز لنا مزيجا من الأقوال المنسوبة إلى التابعين بعيدة كل البعد عن روح القرآن وأهدافه، وهذا ما أوجد مادة خصبة للمستشرقين ومن سار على دربهم ، "فقد وجدوا في هذه الإسرائيليات والمختلقات ما يشبع هواهم، ويرضي تعصبهم الممقوت، ويشفي نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه، والقرآن، هذا الحقد والضغن الذي يعتبر امتدادا للحروب الصليبية التي شنوها على الإسلام والمسلمين، والتي لا تزال إلى عصرنا هذا تتخذ أشكالا شتى، ومظاهر متعددة".[3]

---

[1] – أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص96.

[2] – نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص113. بتصرف.

[3] – أبو شهبة، الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، ص5.

الفرع الثاني: موقف المفسرين منها

إن كتب التفسير قد حوت – على وجه العموم – مجموعة كبيرة من الروايات الإسرائيلية، مع اختلاف مناهج المفسرين في تناولهم لتلك الروايات وفقا لمواقفهم منها. وألخص أهم ما ورد في تلك المناهج مما كتبه حسين الذهبي حولها:

1- رواية الإسرائيليات بجميع أنواعها، سواء ما كان مقبولا منها أم مردودا، مع المحافظة على الإسناد، ولكن دون نقد إلا قليلا عملا بقاعدة من أسند لك فقد حملك. وقد كان هذا صنيع الإمام الطبري- رحمه الله-، فتفسيره " من أشهر الكتب التي تذكر الإسرائيليات بأسانيدها ولا تنقد ما ترويه إلا قليلا".[1]

2- رواية الإسرائيليات مسندة مع نقدها، وبيان صحيحها من ضعيفها وغثها من سمينها. وهذا فعل الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره، حيث عني بالتنبيه على ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه البيان والتفصيل تارات أخرى.

3- المبالغة في رواية الإسرائيليات بجميع أنواعها، دون سند، ودون نقد أو بيان. ويصدق هذا على تفسير مقاتل بن سليمان، فقد أورد فيه كل شاردة وواردة من الإسرائيليات، وهو من التفاسير المردودة عند المحققين.وقد اغتر بعض المفسرين بذلك النهج فسار عليه، ومن أولائك الإمام الثعلبي- رحمهم الله أجمعين-.

4- رواية الإسرائيليات دون سند، مع الإشارة إلى ضعفها أحيانا، والتصريح بعدم صحتها أحيانا أخرى، والسكوت عليها في أحيان كثيرة رغم ظهور بطلانها ومخالفتها للقواعد الشرعية وهو نهج سار عليه الإمام الخازن – رحمه الله – .

[1] – حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص 97.

5- روايتها دون سند، بقصد بيان ما فيها من زيف وضلال في الأعم الغالب. وهو ما فعله الإمام الألوسي – رحمه الله–، فقد كان تفسيره من أشد الكتب نقدا للإسرائيليات، ومن النادر أن يذكر شيئا منها دون تعقيب.[1]

ومع هذا التنوع من المفسرين في روايتهم للإسرائيليات واختلاف مناهجهم في التعامل معها، تبقى كتب التفسير القديم وعاء مشتركا لكثير من الإسرائيليات ومنقولات أهل الكتاب، " وبالجملة فكتب التفسير من محمد ابن جرير إلى اليوم [2] لا يكاد يخلو تفسير منها من إسرائيليات إلا أنها متفاوتة قلة وكثرة. نعم...هناك مفسرون وقفوا من هذه الروايات موقف الناقد المنكر- كما سبق أن ذكرنا- وبخاصة المتأخرين منهم، الذين تسنى لهم الاطلاع على أسفار أهل الكتاب بعد أن ترجمت، وعرفوا ما فيها من تحافت وتحريف وتغيير، إلا أن هذا لم يكن شاملا، وإن الناقدين أنفسهم رووا كثيرا منها في مناسبات كثيرة. ويعتقد بعض الباحثين أن سبب الإكثار أو الإقلال من رواية هذه الإسرائيليات في كتب التفسير يرجع إلى رأي المفسر في حكم روايتها وإلى بيئته وثقافته".[3]

وعلى هذا، فإننا نستطيع القول: أن المفسرين قديما – في الجملة- قد استعانوا بالروايات الإسرائيلية في تفسيرهم لكتاب الله عز وجل، وغالبيتهم قد أكثر منها، وإن كان بعضهم قد تناولها بالنقد والتمحيص كالإمامين ابن كثير والألوسي – رحمهما الله- إلا أنهما لم يسلما أيضا من رواية بعض ما ينكر منها.

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص 95- 96.

[2] – الكلام عن عصر الشيخ رمزي نعناعة – رحمه الله –، وإلا فإن كتب التفسير المعاصرة لا تلقي بالاً للإسرائيليات، ولله الحمد والمنة.

[3] – نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص 218- 219.بتصرف يسير.

المطلب الرابع: أهم أعلامها من مسلمي أهل الكتاب

لقد ساهم إسلام عدد من أهل الكتاب في نقل مجموعة معتبرة من الإسرائيليات إلى كتب التفسير والحديث. ويذكر الباحثون أن مدار الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير يرتكز على أربعة أعلام منهم وهم : عبد الله بن سلام الصحابي الجليل، كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، من التابعين .[1] إلا أنني سوف أقتصر في هذه الدراسة على التطرق لاثنين من رواتها فقط وهما وهب بن منبه وكعب الأحبار .

الفرع الأول: كعب الأحبار

أولا– التعريف بكعب

كعب الأحبار: هو أبو إسحاق، كعب بن ماتع الحميري، تابعي مشهور، أصله من يهود اليمن، أسلم وقدم المدنية ثم خرج إلى الشام فسكن حمص.[2] "أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر– رضي الله عنهما– و صحب عمر وأكثر الرواية عنه، روى أيضا عن صهيب. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو هريرة، وخلائق من التابعين، منهم ابن المسيب". [3] " ومات بحمص سنة أربع و ثلاثين قبل عثمان بن عفان بسنة و قد قيل إنه مات سنة ثنتين وثلاثين وقد بلغ مئة سنة وأربع سنين".[4]

---

[1] – ينظر: حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1 ، ص 133.

[2] – ينظر: أبو عبد الله محمد **بن سعد** منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية– بيروت– ط1: 1410 هـ–1990،ج 7،ص 309.

[3] – أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف **النووي**، تهذيب الأسماء واللغات، نشر وتحقيق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية،(بدون طبعة) ، ج2 ، ص 68.

[4] – أبو حاتم محمد **بن حبان** بن أحمد، الثقات ، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: د/ محمد عبد المعيد، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد – الدكن الهندي، ط1 : 1393 هـ - 1973م، ج5 ، ص 334.

ذكره ابن سعد في طبقاته، وتعرض لقصة إسلامه في رواية له عن سعيد بن المسيب فقال: " قال العباس لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأبي بكر حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إن أبي كتب لي كتابا من التوراة ودفعه إلي وقال: اعمل بهذا. وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم. فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأسا قالت لي نفسي: لعل أباك غيب عنك علما كتمه فلو قرأته، ففضضت الخاتم فقرأته فوجدت فيه صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلما، فوالى العباس".[1]

فهذه القصة تذكر سبب عدم إسلام كعب الأحبار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن أبي بكر الصديق– رضي الله عنه– وتأخر إسلامه إلى زمن عمر – رضي الله عنه–، وهو – كما توحي القصة– محاولة أبيه كتم صفة النبي – صلى الله عليه وسلم– عن كعب خشية إسلامه.

ثانيا– علم كعب ومكانته

جالس كعب صحابة رسول الله – صلى الله وسلم– فأخذ عنهم ما سمعوه من النبي –عليه السلام–، وأخذوا عنه بعضا من علم أهل الكتاب، و شهدوا له بكثرة العلم ووفرته.

قال أبو الدرداء في وصفه لعلم كعب: " إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا". [2] وذكره معاوية يوما فقال:" ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين"[3].

فهذه شهادة صريحة من هذين الصحابيين فيما كان يمتاز به كعب من العلم والمعرفة، وقد كان ذلك سببا في تقريب عمر له، حيث كان يدنيه و يجالسه و يسمع منه، وكان لعمر – رضي الله عنه– قدرة على الفهم و التمييز.

[1] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7 ، ص 309– 310.

[2] – المصدر نفسه، ج7، ص 310.

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص 273 .

قال ابن كثير: " فإن كعب الأحبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر تأليفا له، وتعجبا مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر".[1]

وسار السابقون من علماء الإسلام على نهج سلفهم من الصحابة، فعرفوا لكعب فضله وحفظوا له مكانته، وشهدوا بحسن إسلامه، وقالوا بوثيقه و تعديله،

قال عنه ابن عبد البر في التمهيد:" وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم وكان من أعلم الناس بأخبار التوراة وكان حبرا من أحبار اليهود ثم أسلم فحسن إسلامه وكان له فهم ودين وكان عمر يرضى عنه و ربما سأله".[2]

وقال النووي في مدحه:" اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه....ومناقبه وأحواله وحكمه كثيرة مشهورة".[3]

وقال الذهبي في وصفه: " وكان حسن الإسلام متين الديانة، من نبلاء العلماء".[4] وقال في فطنته وفهمه:" وكان خبيرا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة".[5]

هكذا كان كعب – رحمه الله – في نظر الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء السابقين: مسلما متين الديانة، عالما كثير العلم، ثقة عدلا صادقا، مشهور المناقب والحكم والأحوال.

---

[1] – أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير** ، البداية والنهاية ،تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي،الطبعة الأولى:1408هـ -1988م، ج 1، ص 19.

[2] – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد **بن عبد البر**، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي – محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – 1387هـ، (بدون طبعة)، ج23، ص 39.

[3] – النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 68.

[4] – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي**، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م، ج3، ص 489- 490.

[5] – المصدر نفسه، ج 3، ص 490.

ثالثا– أثرهفي تفسير القران الكريم

قام الدكتور خليل إسماعيل إلياس بإعداد رسالته للدكتوراه حول" كعب الأحبار وأثره في التفسير"، وقام بعدّ روايات كعب في أمهات تلك الكتب، ثم حذف المكرر منها فكانت الحصيلة مائتين وسبع و عشرين (227)رواية درسها دراسة حديثية نقدية وذكر ما توصل إليه في الخاتمة ، وخلاصته أن: " لكعب رحمه الله أثار توزعت على مائتين وسبع وعشرين (227) آية ، وهذه الآيات من مجموع أربع وستين (64) سورة من سور القرآن الكريم . وأن أكثر هذه الآثار المروية عن كعب مقبول أو مسكوت عنها ولها شواهد من الشرع، وأما المردود منها فهو قليل لا يصل إلى عشر روايات وكلها ضعيفة الإسناد ومعلقة ومقطوعة وموضوعة وساحة كعب بريئة منها".[1]

وذهب الدكتور خليل إسماعيل في بداية بحثه إلى التقليل من عدد مرويات كعب في التفسير مقارنة بآخرين كابن عباس ووهب بن منبه في إطار ذكره للحملة التي شنها بعض الناقدين لمروياته[2]. وأيا يكن ذلك فإن مجموع مائتين وسبع وعشرين أثرا موزعا على أربع وستين سورة من سور القرآن الكريم يجعل دراسة تلك المرويات مهمة في إثراء التفسير.

كما قام الدكتور العامري بإعداد رسالته للماجستير حول ذات الموضوع، فكان عدد ما توصل إليه من مرويات كعب الأحبار في كتب التفاسير يقدر بسبعمائة وسبع عشرة رواية (بالمكرر)، وركز في دراسة هذه الروايات على أسانيدها، هل هي مسندة إلى كعب أم لا ؟ وهل هذه الأسانيد– إن وجدت – ثابتة النسبة إل يه أم أن الأمر غير ذلك ؟ وهو عمل مفصل ومهم جدا، وقد أبرز العامري ما توصل إليه من نتائج على النحو التالي:

– عدد الروايات الصحيحة والصحيحة لغيرها في رسالته بلغ مائة(100) رواية.

– عدد الروايات الحسنة والحسنة لغيرها بلغ ثمان وستين (68) رواية

- عدد الروايات الضعيفة في مرتبة الاعتبار بلغ مائتين وسبع (207) روايات.

[1] – خليل إسماعيل إلياس، كعب الأحبار وأثره في التفسير، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1: 1428 هـ– 2009م، ص 368-369. بتصرف يسير.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص 111.

- عدد الروايات الضعيفة جدا بلغ إحدى وثلاثين (31) رواية.

- عدد الروايات المرسلة عن كعب بلغ ثمان وأربعين (48) رواية.

- عدد الروايات الموضوعة بلغ عشرا (10) .

- عدد الروايات التي رفعها كعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ اثنتين (2) إحداهما صح سندها إلى كعب، والأخرى لم يقف لها على سند.

- عدد الروايات التي توقف في الحكم عليها بلغ ثلاثا وستين (63) رواية.

- بقية الروايات التي لم يقف لها على أسانيد إلى كعب عددها مائة وأربعين (140) رواية.[1]

وقد كان ما قام به العامري عملا جليلا، إلا أنه لم يشر فيه إلى تقسيم ما ثبتت نسبته إلى كعب من الإسرائيليات هل هو من المقبول أم المردود أم المسكوت عنه؟ . وهو شيء مهم في معرفة نوع ما كان يرويه كعب من تلك الروايات، ولكن بغض النظر عن تفصيل ذلك؛ فإن عدد الروايات التي توصل إليها العامري تجعل لدراسة مرويات كعب في التفسير قيمة علمية معتبرة.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نقول أن كعب الأحبار قد كان له أثر واضح في كتب التفسير من خلال أقواله ومروياته ؛ وإن كان عدد غير قليل من تلك الروايات غير ثابت النسبة إليه بوجه أو بآخر.

[1] – ينظر: يوسف محمد **العامري**، كعب الأحبار مروياته وأقواله في التفسير بالمأثور جمعا ودراسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى – مكة المكرمة– إشراف : د/ محمد بن صالح العتيق، سنة: 1412 هـ – 1992 م، ص 671.

الفرع الثاني : وهب بن منبه

أولا– التعريف بوهب

وهب بن منبه هو: أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن سيحان من أبناء فارس[1]. ولد في آخر خلافة عثمان، وهو من أحبار التابعين. روى عن ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وروى عنه عمرو بن دينار، وعوف الأعرابي، وأقاربه.[2] توفي وهب في المحرم سنة ثلاث وأربع عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة، وقد قيل إنه مات سنة عشرة ومائة.[3]

ثانيا– ثناء العلماء عليه

عرف وهب –رحمه الله– بين التابعين بوفرة علمه وكثرة عبادته، وشهد له الكثير من العلماء بالصدق والمعرفة:

روى ابن سعد في طبقاته أن وهب بن منبه قال:" لقد قرأت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء. اثنان وسبعون منها في الكنائس و في أيدي الناس. وعشرون لا يعلمها إلا قليل.وجدت في كلها: إن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد ك فر". وروى عن المثنى بن الصباح قال:" لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءا".[4]

قال الذهبي في توثيقه:" من أحبار علماء التابعين ....وكان ثقة صادقا، كثير النقل من كتب الإسرائيليات".[5] وقال عنه أيضا:" كان صدوقا عالما قد قرأ كتب الأولين، وعرف قصص الأنبياء عليهم السلام، وكان يشبه بكعب الأحبار في زمانه، وكلامها تابعي".[1]

---

[1] – ينظر: ابن حبان، الثقات، ج 5، ص 487.

[2] – ينظر: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي**، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: على محمد البجاوي، دار المعرفة– بيروت، ط 1 :1382هـ – 1963م ، ج 4 ، ص 352.

[3] – ابن حبان، الثقات، ج5، ص 488.

[4] – ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج6، ص 71.

[5] – الذهبي، ميزان الاعتدال، ج4، ص 352.

هكذا هو وهب – رحمه الله– عند علماء الصدر الأول: عالما، عابدا، ثقة، صادقا.... قرأ كتب الأولين، وعرف قصص الأنبياء السابقين.

[1] – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي**، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1: 2003 م، ج3، ص 334.

خلاصة المبحث

يمكن تلخيص ما خلص إليه المبحث في النقاط التالية:

– الإسرائيليات لغة كلمة مشتقة من اللفظة العبرية "إسرائيل"، وهو اسم أو لقب لنبي الله يعقوب – عليه السلام – ، والنسبة فيها – أي الإسرائيليات– إلى بني إسرائيل وهم أبناء يعقوب – عليه السلام– من اليهود ومن تسلل منهم. أما في الاصطلاح، فالإسرائيليات تطلق في الأصل على " حادثة أو قصة تروى من مصدر إسرائيلي". ثم حدث نوع من التوسع في مفهومها فشملت ما داخل كتب التفسير من القصص والأخبار سواء كان مصدره يهوديا أو نصرانيا أو غير ذلك أو لم يكن له أصل بالأساس.

– تنقسم الإسرائيليات من حيث موافقة الشرع ومخالفته، ومن حيث الحكم عليها بالرد والقبول إلى ثلاثة أقسام :

الأول: قسم صحيح موافق للشرع، فروايته جائزة.

الثاني: قسم باطل مخالف للنصوص، فروايته لا تجوز إلا ببيان.

الثالث: قسم مسكوت عنه في شرعنا، تجوز روايته استئناسا. ولا يعتمد عليه في شيء من شرعنا، وحكمه أن نتوقف بشأنه وألا نحكم عليه بتصديق أو تكذيب.

– سلك الصحابة – رضي الله عنهم – مسلكا وسطا في موقفهم من الإسرائيليات امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته، فقبلوا منها ما يوافق الشرع، ورفضوا ما يناقضه، وسكتوا عما كان محتملا ولم يردنا بشأنه شيء. أما التابعون، فقد كانوا أكثر توسعا من الصحابة في رجوعهم إلى أهل الكتاب، وهو ما يفسر ازدهار الروايات الإسرائيلية في عصرهم بشكل ملحوظ.

– تسربت الروايات الإسرائيلية في وقت مبكر إلى كتب التفسير تحت مجموعة متنوعة م ن العوامل، منها تزايد عدد الداخلين في الإسلام من النصارى واليهود، واحتكاكهم بالمسلمين، وما صاحب ذلك من توسع تدريجي في الرجوع إليهم خصوصا في عهد التابعين ومن جاء بعدهم، وهو الشيء الذي استغل استغلالا سيئا في رواية الإسرائيليات المخترعة والمكذوبة والزج بها في كتب التفسير.

– سلك المفسرون مسالك متنوعة – نسبيا – في التعامل مع الروايات الإسرائيلية من حيث التعقيب عليها أو السكوت، ومن حيث الإكثار منها أو التقليل. فبينما نجد الطبري مثلا يكثر من تلك الروايات مكتفيا – في الغالب – بالإسناد عن الرد والتعقيب، نجد الثعلبي يورد الكثير منها دون إسناد ودون مناقشة أو تعليق، أما ابن كثير فيمكن عده من نقاد الإسرائيليات على وجه العموم، لكن تفسيره لم يخل أيضا مما قد يستنكر من بعض رواياتها.

وعليه؛ فإن القارئ لكتب التفسير يستطيع الكشف عن منهج عام سلكه المفسرون إزاء الإسرائيليات، وهو قبول تلك الروايات – ولو نسبيا – في تفسير القرآن الكريم.

– تدور الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير على أربعة أعلام من مسلمي أهل الكتاب، وهم: عبد الله بن سلام الصحابي الجليل، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج من التابعين. ويمكن اعتبار كعب ووهب من أبرز أولئك الكتابيين الذين كان لهم دور معتبر في رواية الإسرائيليات ودخولها إلى كتب التفسير.

المبحث الثاني: نقد الإسرائيليات عند رشيد رضا

يدرس هذا المبحث فكرة نقد الإسرائيليات في تفسير المنار، ويقوم بعرض أهم المسالك التي ساهم رشيد رضا – بواسطتها– في بيان رفضه للإسرائيليات واعتراضه على رواتها، في محاولة للكشف عن بيان ما يحمد من ذلك النقد وما يقابله.

وتتمثل النقطة المحورية التي يسعى المبحث لمعالجتها في دراسة المبررات التي اعتمد عليها صاحب المنار في موقفه من الروايات الإسرائيلية ورواتها، ومدى ثبات تلك المبررات أمام ما يعترضها من نقد وردود.

ولتحقيق ذلك كله، قمت أولا بعرض ما يتعلق بأقوال رشيد رضا في الموضوع، ثم قمت بتحليل تلك الأقوال ومناقشتها. وإتماما للفائدة؛ ختمت المبحث بدراسة نموذجين من الإسرائيليات المنتقدة عند صاحب المنار، للوقوف – عن كثب – على الأساليب التي سلكها في نقده للإسرائيليات.

يضم هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رأي رشيد رضا في الإسرائيليات ورواتها.

المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا فيما ذهب إليه.

المطلب الثالث: دراسة نموذجين من الإسرائيليات المنتقدة في المنار.

المطلب الأول: رأي رشيد رضا في الإسرائيليات ورواتها

الفرع الأول: رأيه في الإسرائيليات

لم يخصص الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – في تفسيره موضعا خاصا يبين فيه موقفه من الإسرائيليات، لكن القارئ لمقدمة المنار بداية يستطيع الوقوف على المعالم التي توحي بذلك، فقد تحدث فيها عن فهم القرآن وما أدخل على تفسيره من علوم تشغل القارئ وتلفته عن المقاصد العالية للتفسير فقال ضمن ذلك : " وبعضها يشغله عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات "[1]. فهذه أول إشارة من رشيد رضا – في تفسيره – لموقفه من الروايات الإسرائيلية، حيث يصفها بالخرافات الملهية عن فهم كتاب الله تعالى على الوجه الصحيح.

وهكذا نستطيع أن نأخذ صورة مبدئية عن موقف ه ذلك من خلال مقدمة تفسيره؛ فهو موقف نقدي رافض لتلك الروايات في تفسير القرآن، لأنها في نظره مجموعة من الخرافات الملهية عن الفهم الصحيح الموافق لكتاب الله. وقد تأكد موقفه هذا في مواضع متعددة من المنار، وكان شاملا لكافة الجوانب التي داخلتها الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير، سواء منها ما تعلق بالظواهر الكونية، أو ببدء الخليقة، أو بقصص الأنبياء والأمم السابقين...

أولا– إعراضه عنها في تفسير الظواهر الكونية

يمكن أن نلمس ذلك في مواضع عديدة في تفسيره ومنها :

1– عند تعرض رشيد رضا لمعنى الظلمات والرعد والبرق في قوله تعالى :"أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ **[البقرة: 19]**، نقل كلام شيخه محمد عبده – رحمه الله – في تفسير تلك الظواهر الكونية فقال: " الظلمات هي ظلمة الليل وظلمة السحب وظلمة الصيب نفسه، والرعد:هو الصوت المعروف الذي يسمع في السحاب عند اجتماعه أحيانا، والبرق: هو

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 8.

الضوء الذي يلمع في السحاب في الغالب، وقد يلمع في الأفق حيث لا سحاب" [1]، ثم تعقب ما أورده المفسرون في معناها بقوله :" ولا شك عندي في أن هذه الأقوال كلها مما كان يذيعه كعب الأحبار ووهب بن منبه بين المسلمين من الصحابة والتابعين، ولو صح في حديث مرفوع بسماع صحيح لا يحتمل أن يكون من الإسرائيليات لما وقع فيه مثل هذا الخلاف، ولأمكن حمله على أن المراد به هو الإشارة إلى أن هذه الظواهر الكونية تقع بفعل ملك موكل بالسحاب، ولكن لا حاجة إلى ذلك مع عدم صحة شيء في المسألة."[2]

فالشيخ رشيد رضا يقتصر في تفسير هذه الظواهر الكونية على ما هو ظاهر للناس منها، وينتقد ما أورده بعض المفسرين من روايات بشأنها . وكان الرواة قد نقلوا أقوالا عديدة في معناها ، "ومعظم كتب التفسير بالمأثور وغيره ذكرت أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب، وأن الصوت المسموع صوت زجره للسحاب، أو صوت تسبيحه، وأن البرق أثر من المخراق [3] الذي يزجر به السحاب ولهب ينبعث منه." [4] وهذا تفسير لهذه الظواهر الكونية بما لا يعرف من معناها اعتمادا على بعض الروايات الإسرائيلية،وهو ما انتقده رشيد رضا في ذلك.

2 – عند تفسير قوله تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۤ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ **[الأعراف:57]** ، تعرض لتفسير آية النور التي تبدأ بقوله تعالى : أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار،ج1، ص 146.

[2] – المصدر نفسه، ج1،ص 147.

[3] –المخراق: "ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا". أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي **بن محمد الجوزي**، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1: 1405هـ-1985م، ج 1، ص275.

[4] – أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 295.

بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ **[النور : 43]** وقال : " وأما قوله تعالى في تتمة سورة النور التي ذكرنا أولها آنفا : "وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ **[النور:43]** فلا مانع من جعل السماء فيها عين السحاب ولعل الأظهر أن يراد بها جهة العلو التي يكون فيها السحاب كقوله "ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ **[الروم: 48]** ، وقوله :(**من جبال**) بدل مما قبله. والمراد بالجبال؛ قطع السحاب التي تشبه الجبال شبها تاما في عظمها وارتفاعها وشناخيبها[1] وقللها[2]، وقلما يوجد في الخلق تشابه كالتشابه بين السحاب والجبال. والمعنى؛ وينزل من السماء من سحب فيها كالجبال بردا عظيم الشأن في شكله وقوته وتأثيره فيمن يصيبه، و(من) فيه صلة أو للتبعيض أو للتنويع، وما روي مخالفا لهذا فمن إسرائيليات كعب الأحبار وأمثاله".[3]

فهنا يقرر رشيد رضا أن تفسير قوله تعالى :(**من السماء**) ب (عين السحاب)؛ أي السحاب نفسه لا مانع منه، والأظهر أنه جهة العلو التي هي مقر للسحاب. ويتعقب ما ورد في ذلك من روايات مخالفة بكونها من إسرائيليات كعب وأمثاله، مستعينا في ذلك بقواعد اللغة ومعانيها. وعلى هذا النهج سار رشيد رضا في تفسيره للظواهر الكونية من حيث إعراضه عن الروايات الإسرائيلية، وانتقاد ما يرد منها في التفسير.

[1] –الشناخيب: جمع مفرده شنخوب، وهو القطعة العالية من الجبل. ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن **بن دريد** الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت،ط1: 1987هـ، ج2، ص1117.

[2] – القلل:جمع قلة بالضم، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه. ينظر: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب **بمرتضى الزبيدي**، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بدون طبعة)، ج 30، ص274.

[3] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج8، ص 416.

ثانيا– إعراضه عنها في تفسير قصص الأنبياء

ويمكن ملاحظة هذا الإعراض في مواضع كثيرة من تفسيره منها:

1 – قال تعالى حكاية عن إبراهيم – عليه السلام –: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ **[الأنعام:76]** .

قال رشيد رضا في تفسيرها : " (**قال هذا ربي**): أي مولاي ومدبر أمري، قيل: إنه قال ذلك في مقام النظر والاستدلال لنفسه، وقيل: في مقام المناظرة والحجاج لقومه، واعتمد من قال بالأول على ما روي في التفسير المأثور من عبادته – عليه الصلاة والسلام – لهذه الكواكب في صغره اتباعا لقومه، حتى أراه الله تعالى بعد كمال التمييز حجته على بطلان عبادتها، والاستدلال بأفولها وتعددها وغير ذلك من صفاتها على توحيد خالقها وأن ذلك كله كان قبل قبل النبوة ودعوتها".[1]

يعرض رشيد رضا قولين للمفسرين في توجيه قول إبراهيم – عليه السلام– (هذا ربي)، الأول منهما يستلزم كون إبراهيم مشركا في صغره، ثم يفند هذا الرأي بعد سرده لرواية إسرائيلية مطولة واردة فيه:" ومنه قصة طويلة مروية عن محمد بن إسحاق فيها أن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ولدته أمه في مغارة أخفته فيها خوفا عليه من ملكهم نمرود بن كنعان أن يقتله، إذ كان أخبره المنجمون بأن سيولد في قريته غلام يفارق دينهم، ويكسر أصنامهم، فشرع يذبح كل غلام ولد في الشهر الذي وصف أصحاب النجوم من السنة التي عينوا، وفيها أن إبراهيم كان يشب في اليوم كما يشب غيره في شهر، وفي الشهر كما يشب غيره في سنة، وأنه طلب من أمه بعد خمسة عشر يوما من ولادته أن تخرجه من المغارة، فأخرجته عشاء، فنظر وتفكر في خلق السماوات والأرض– وذكر رؤيته للكواكب، فالقمر، فالشمس... ولا شك أن هذه القصة موضوعة لهذه

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار ، ج7، ص 464.

المسألة، وأن ابن إسحاق أخذها عن بعض اليهود الذين كانوا يلقنون المسلمين أمثال هذه القصص ليلبسوا عليهم دينهم، فتبطل ثقة يهود وغيرهم بهم".[1]

يروي رشيد رضا هذه القصة نقلا عن محمد بن إسحاق، ويحكم عليها بأنها من وضع اليهود الذين كانوا يسعون للتلبيس على المسلمين في دينهم من أجل نزع الثقة بهم.ومراده من هذا حفظ مقام النبوة وتبرئته من كل عيب.

2 – تعرض رشيد رضا لقصة نوح – عليه السلام – عند تفسيره لسورة هو د وقال في نهايتها:"الإسرائيليات في تفسير قصة نوح: وأما ما حشا المفسرون به تفاسيرهم من الروايات في هذه القصة وغيرها عن الصحابة والتابعين وغيرهم فلا يعتد بشيء منه، ولم يرفع منه شيء إلى النبي–صلى الله عليه وسلم – بسند صحيح ولا حسن.

وأمثل ما روي فيه حديث عائشة في صنع السفينة، وأم الولد الكافر التي رفعته لينجو فغرق معها، وهو ضعيف كما تقدم، وأنكر منه ما رواه ابن جرير عن ابن عباس من إحياء عيسى – عليه السلام– بطلب الحواريين لحام بن نوح وتحديثه إياهم عن السفينة في طولها وعرضها وارتفاعها وطبقاتها وما في كل منها، ودخول الشيطان فيها بحيلة احتال بها على نوح، ومن ولادة خنزير وخنزيرة من ذنب الفيل، وسنور وسنورة (قط وقطة) من منخر الأسد، وكل ذلك من الأباطيل الإسرائيلية المنفرة عن الإسلام".[2]

كان هذا تعقيبا من رشيد رضا على ما أورده المفسرون من إسرائيليات في قصة نوح –عليه السلام–، وقد أشار فيه إلى بعض الأحداث التي فسرت في هذه القصة بروايات إسرائيلية كصنع السفينة، وولادة بعض المخلوقات فيها بطريقة غريبة عجيبة...، وغير ذلك مما عده من الأباطيل المنفرة عن الإسلام.وقد رأينا آنفا تعقيبه على بعض ما ورد من ذلك في قصة إبراهيم –عليه السلام– .

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج7، ص 464.

[2] – المصدر نفسه ، ج12، ص 87.

وهكذا كان صنيعه فيما يرد من روايات تخص قصص الأنبياء، فقد كان يرفض تفسير ما أجمل منها بروايات إسرائيلية، ويتعقب ما أورده المفسرون من تلك الروايات بالنقد والتفنيد، وما أكثر ترديده لهذه العبارة- بما يدخل في معناها – عند تفسيره لقصص الأنبياء حيث يقول:" ...ولم ندخل فيه شيئا من تلك الروايات المأثورة، والآراء المشهورة، التي لا دليل عليها من قول الله ولا قول رسوله، ولا من سننه تعالى في خلقه، إذ كل ما ورد في ذلك أوجله من الإسرائيليات التي لا يوثق بها".[1]

ثالثا- إعراضه عنها في تفسير أخبار السابقين

وهذا ظاهر في تفسيره لعدة آيات :

1- فعند تفسير قوله تعالى من سورة المائدة:" قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ **[المائدة:22]**، فسر لفظة (جبارين) بقوله:" أولي قوة وأولي بأس شديد، وكانوا كبار الأجسام، طوال القامات، وهو المراد من كلمة "جبارين". فالجبار يطلق في اللغة على الطويل القوي والمتكبر والقتال بغير حق، والعاتي المتمرد، والذي يجبر غيره على ما يريد، والقاهر المتسلط، والملك العاتي، وكله مأخوذ من قولهم: نخلة جبارة، أي طويلة لا ينال ثمرها بالأيدي".[2]

وهذا يعني أن أولئك القوم الذين خافهم أصحاب موسى كانوا عتاة متكبرين. متصفين بالقهر والتسلط...أجسامهم كبيرة وقاماتهم طويلة...وبالجملة:"فهم أولوا قوة، وأولوا بأس شديد". وهذا كاف في بيان ما يراد من وصفهم بالجبارين.

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار ، ج8، ص 317.

[2] – المصدر نفسه ، ج6، ص 272.

وأورد مجموعة من المعاني اللغوية الواردة في معنى "جبار"، ثم عقب على ما ورد في المأثور بقوله:" أما ما روي في التفسير المأثور من وصف هؤلاء الجبارين، فأكثره من الإسرائيليات الخرافية التي كان يبثها اليهود في المسلمين، فرووها من غير عزو إليهم، كقولهم إن العيون الاثني عشر الذين بعثهم موسى إلى ما وراء الأردن، ليتجسسوا ويخبروه بحال تلك الأرض ومن فيها قبل أن يدخلها قومه، رآهم أحد الجبارين فوضعهم كلهم في كسائه، أو حجزته [1]، وفي رواية كان أحدهم يجني الفاكهة، فكان كلما أصاب واحدا من هؤلاء العيون وضعه في كمه مع الفاكهة، وفي رواية أن سبعين رجلا من قوم موسى استظلوا في ظل خف رجل من هؤلاء العماليق".[2]

يورد رشيد رضا ملخص الروايات الواردة في قصة الجبارين الواقعة في عهد موسى – عليه السلام –، ويتصدرها بالرد والتفنيد، مكتفيا بالمعاني اللغوية الواردة في معنى جبارين، وفي ذلك من الإعراض عن الإسرائيليات وغرائبها ما يمثل جانبا راسخا من ضوابط التفسير عند صاحب المنار.

2 – وعند تفسير قوله تعالى: وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ **[الأعراف:175]**. يقرر رشيد رضا أحد مبادئه في التعامل مع الإسرائيليات، وهو رفض الاستعانة بها في تفسير مبهمات القرآن فيقول:" وهذا الذي آتاه الله آياته من مبهمات القرآن، لم يبين الله ولا رسوله في حديث صحيح عنه اسمه ولا جنسه ولا وطنه، لأن هذه الأشياء لا دخل لها فيما أنزل الله تعالى الآيات لبيانه".[3]

فرشيد رضا لا يُعنَى باسم هذا الرجل، ولا باسم أبيه، أو قبيلته، و إنما يُعنى بكونه رجلا:" آتاه الله آياته فكان عالما بها حافظا لقواعدها وأحكامها، قادرا على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم، بل كان عمله مخالفا لعلمه تمام المخالفة، فسلبها، لأن العلم الذي لا يعمل

[1] – الحجزة: هي الثوب الذي يشد به الإنسان وسطه. ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد بن **الأزهري الهروي**، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط1: 2001م، ج4، ص76.

[2] – رشيد رضا، تفسير المنار ، ج6، ص 273_ 274.

[3] – المصدر نفسه ، ج9، ص 340.

به لا يلبث أن يزول، فأشبه الحية التي تنسلخ من جلدها وتخرج منه وتتركه على الأرض". [1] ولا شك أن معرفة أوصاف هذا الرجل أهم بكثير من معرفة اسمه وجنسه ووطنه.

وكان أكثر المفسرين قد فسروا هذا الرجل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها برجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعورا، ورووا في شأنه مجموعة من الأعاجيب.[2]

وهكذا كان رشيد رضا كثير الابتعاد عن الروايات الإسرائيلية في بسط ما أجمله القرآن أو بيان ما أبهمه، سواء تعلق ذلك بأخبار الأنبياء، أو قصص السابقين، أو ظواهر الكون وخفاياه...، مكتفيا في غالب أحيانه بما يظهر من معانيها، مستعينا في ذلك بقواعد اللغة وعلومها.

الفرع الثاني: رأيه في أعلامها من مسلمي أهل الكتاب (كعب الأحبار ووهب بن منبه)

لقد كان لتفسير المنار رأي خاص في أعلام الرواية الإسرائيلية وأقطابه ا، وهو- أي ذلك الرأي- مع خصوصيته يعتبر امتدادا طبيعيا لموقف رشيد رضا من الروايات الإسرائيلية. فصاحب المنار لم يتوان عن التصريح كرة بعد أخرى أن تلك الروايات كانت نتاج الكيد والدس والغش من زنادقة الفرس والنصارى واليهود، ولم يفرق في حكمه ذلك بين من أسلم من أهل الكتاب ومن لم يسلم، فهو يعتبر إسلامهم كذبا وخداعا وغشا للمسلمين. ويمكن أن نلمس هذا الموقف بوضوح في مقدمة تفسيره حيث يقول:" وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب"[3].

ولما كان كعب الأحبار ووهب بن منبه من أهم أقطاب الروايات الإسرائيلية؛ فقد كان لهما النصيب الأوفر من انتقادات رشيد رضا وتعقيباته. ويمكن أن ندلل على ذلك بمجموعة من أقواله في تفسير المنار، و منها:

[1] -رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص 340.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص 343.

[3] - المصدر نفسه، ج1، ص8.

أولا – القول بكذب كعب ووهب وتخطئة رجال الجرح والتعديل في توثيقهما

نقل رشيد رضا في مقدمة تفسيره كلاما لابن تيمية – رحمه الله – حول الاختلاف في التفسير، وأنه على نوعين:" منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك"، تعرض فيه ابن تيمية للكلام عن مرويات أهل الكتاب ومثل لها بمرويات وهب بن منبه وكعب الأحبار.

وهذا تعليق رشيد رضا على ما نقله من ذلك الكلام، قال:" فأنت ترى أن هذا الإمام المحقق جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عرف أنه من رواة الإسرائيليات، وهذا في غير ما يقوم الدليل على بطلانه في نفسه. وصرح في هذا المقام بروايات كعب الأحبار، ووهب بن منبه، مع أن قدماء الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما. فكيف لو تبين له ما تبين لنا من كذب كعب ووهب وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيه شيء منه ولا حومت حوله". [1] ويمكن لقارئ هذا التعليق أن يستشف منه أمورا ثلاثة – حسب ما أورده صاحب المنار–:

أولا – جزم ابن تيمية بالوقف عن تصديق جميع ما عرف أنه من رواة الإسرائيليات؛ وهذا في غير ما يقوم الدليل على بطلانه في نفسه. بمعنى أن ابن تيمية حكم على جميع الروايات الإسرائيلية بالتوقف وعدم التصديق، إن لم يقم دليل على بطلانها، وصرح في هذا الحكم بمرويات وهب وكعب الأحبار.

ثانيا – اغترار رجال الجرح وتخطئتهم في الحكم على كعب ووهب بالتعديل، وخفاء أمرهما على ابن تيمية – رحمه الله –.

ثالثا – كذب كعب ووهب ونسبتهما إلى كتب الرسل ما لا يوجد له فيها ذكر من قريب أو بعيد.

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 9-10.

أتبع رشيد رضا ما قاله في مقدمته بعبارات أخرى جاء فيها:" وقد علم أن بعض الصحابة رووا عن أهل الكتاب حتى عن كعب الأحبار الذي روى البخاري عن معاوية أنه قال:" إن كنا لنبلو عليه الكذب".[1] وهذا غمز لكعب بالكذب في الرواية.

ثانيا – القول بمخالفته للجمهور في توثيقهما

قال رشيد رضا في موضع من تفسيره معلقا على رواية لوهب:" إنني أرجح تضعيف عمرو بن علي الفلاس [2] لوهب على توثيق الجمهور له، بل أنا أَسوأ فيه ظنا على ما روي من كثرة عبادته، ويغلب على ظني أنه كان له ضلع مع قومه الفرس الذين كانوا يكيدون للإسلام وللعرب، ويدسون لهم من باب الرواية ومن طريق التشيع، فقد ذكر الإمام أحمد أن والده منبها فارسي أخرجه كسرى إلى اليمن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ابنه وهبا كان يختلف من بعده إلى بلاده بعد فتحها، وهنا موضع الشبهة في الغرائب المروية عنه، وهي كثيرة – ومثله عندي (كعب الأحبار) الإسرائيلي – كلاهما كان تابعيا كثير الرواية للغرائب التي لا يعرف لها أصل منقول ولا معقول".[3]

يصرح رشيد رضا في هذا المقام بمسايرته لأبي حفص الفلاس في تضعيف وهب بن منبه خلافا للجمهور. ويضيف رشيد رضا أنه يسيء الظن بوهب – على كثرة عبادته — ويتهمه بالتآمر مع الفرس في الكيد للإسلام والدس له عن طريق الرواية والتشيع. ويعزز اتهامه لوهب بما عرف من أصله الفارسي، واختلافه إلى بلاده (فارس) بعد فتحها.، ثم يحكم على كعب بمثل ما حكم به على وهب من التضعيف والتجريح.

---

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 10.والحديث ورد عند البخاري بلفظ " وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب". ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة، قوله باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، ج9، ص 110.

.

[2] – هو أبو حفص عمرو بن علي **الفلاس**، أحد أئمة الحديث ونقاده. قال فيه النسائي: ثقة ، صاحب حديث، حافظ، توفي بالعسكر سنة تسع وأربعين ومائتين. ينظر: أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد **المزي**، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة_ بيروت، ط1: 1400هـ- 1980م، ج22، ص165.

[3] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص 40-41.

ثالثا– القول باغترار الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين بمروياتهما

كثيرا ما كان رشيد رضا يصف الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين باغترارهم بمرويات كعب ووهب وأمثالهما. وكثيرا ما كان يبرر ذلك الاغترار بعدم اطلاع المسلمين على مصادر أهل الكتاب. وهذه بعض أقواله:

1– قال في موضع: "وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب....وجل ذلك خرافات ومفتريات صدقهم فيها الرواة حتى بعض الصحابة – رضي الله عنهم –". [1] فهنا يقرر رشيد رضا أن جل التفسير بالمأثور رواته زنادقة خفي أمرهم حتى على صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

2– وقال معلقا على ما ورد في وصف ألواح موسى – عليه السلام –: " أما تلك الروايات الكثيرة... كلها من الإسرائيليات الباطلة، التي بثها في المسلمين أمثال كعب ووهب بن منبه فاغتر بها بعض الصحابة والتابعين إن صحت الروايات عنهم" [2]. ثم نقل ما جاء في وصفها من التوراة فقال:" ومن هذا الذي نقلناه هنا يعلم ما في تلك الإسرائيليات التي أوردها السيوطي في التفسير المأثور من المخالفة للتوراة." [3] والمراد أن الصحابة قد اغتروا بتلك الروايات، كما اغتر بها أيضا علماء التفسير لعدم اطلاعهم على ما ورد من وصفها في التوراة.

3 – وقال مفندا لروايات وردت في شأن عزير – عليه السلام – :" وما ذكرنا هذا إلا لنبين للناس أنه من شر الخرافات الإسرائيلية التي كان يغش الناس المسلمين بها كعب الأحبار وأمثاله مما ليس في كتب اليهود."[4]

---

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 8.

[2] –المصدر نفسه ، ج9، ص 164.

[3] – المصدر نفسه، ج9، ص 165.

[4] – المصدر نفسه ، ج10، ص 228.

مفاد هذه الأقوال وغيرها أن عدم الاطلاع على كتب اليهود كان سببا في انخداع المسلمين واغترارهم بما يجئ في الإسرائيليات،نظرا لعدم تمكنهم من المقارنة بين ما يرد فيها وما يرد في مصادر أهل الكتاب.

وخلاصة القول في موقف رشيد رضا من الإسرائيليات ورواتها أنه: تعرض لنقد تلك الروايات نقدا حازما، واتخذ منها موقفا عاما، تمثل في الرفض القاطع لها، وتجنب ما أورده المفسرون منها بيانا للقرآن الكريم، وأتبع ذلك النقد بموقف خاص له من أعلامها حيث بادر إلى تجريح رواتها من مسلمي أهل الكتاب، ورميهم بالكذب والغش والخداع، محاولا تبرير ما ذهب إليه من آراء فريدة بتخطئة رجال الجرح والتعديل في توثيق كعب ووهب، والقول بانخداع الصحابة والتابعين، واغترار علماء المسلمين بمروياتهما لعدم اطلاعهم على مصادر أهل الكتاب.

المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا فيما ذهب إليه

مما لا شك فيه أن الروايات الإسرائيلية كانت سببا قويا في نقد كثير من كتب التفسير المأثور عند المعاصرين.

ومما لا شك فيه أيضا أن العصور السابقة قد عرفت هي الأخرى ألوانا من النقد البناء والوجيه لتلك الروايات؛ كما نجد ذلك عند مجموع الأئمة: ابن حزم، وابن تيمية، وابن كثير، والألوسي، وغيرهم من علماء الإسلام المحققين، وإن كان بعض أولئك لم يسلم – حتى مع انتقاده لها – من ذكر بعض رواياتها، وتسطير جزء من حكاياتها، تحت دافع التطلع والفضول أو غيرهما من الأسباب والدوافع.

وبين هؤلاء وأولئك؛ كان الشيخ رشيد رضا في العصر الحديث من أعظم المهتمين بنقد الروايات الإسرائيلية، وتبيين ما حواه جلها من خرافات وزيف ومبالغات. وقد ذكرت – فيما سبق– خلاصة لموقف رشيد رضا من الإسرائيليات ورواتها.وسأناقش حاليا ما ذهب إليه في مجموعة من النقاط:

1– مناقشته في موقفه العام من الإسرائيليات.

2– مناقشته في تجريح رواتها من أهل الكتاب.

3– مناقشته في الاستناد إلى أقوال ابن تيمية.

4– مناقشته في القول باغترار رجال الجرح والتعديل .

5– مناقشته في القول أن عدم اطلاع علماء المسلمين على مصادر أهل الكتاب كان سببا في الاغترار بمروياتهم.

الفرع الأول: مناقشته في موقفه العام من الإسرائيليات

اتخذ رشيد رضا موقفا حازما من الروايات الإسرائيلية فلم يقحمها في تفسير كلام الله، ولم يعطها وزنا يذكر إلا بقدر ما يمكنه من الرد والتعقيب.

وكان إعراضه عنها من أجمل مزايا تفسيره، وهو ما نفتقده في كثير من كتب التفسير عند الأقدمين، حيث يبذل القارئ لها أوقاتا طويلة في بسط عبارات أجملها القرآن الكريم أو تعيين كلمات أبهمها الكتاب الحكيم؛ لأنها لا تعود على من علمها بكبير فائدة، ولا تمس من جهلها بقليل ضرر، ومع ذلك فقد أخذت حيزا معتبرا من كتب التفسير.

وقد شهد الباحثون في التفسير وعلوم القرآن لصاحب المنار بهذا الإعراض والنفور، وفي ذلك يقول رمزي نعناعة:" لم يكن الشيخ رشيد رضا – كما ينم عن ذلك حديثه عن تفاسير الأقدمين– كغيره من المفسرين الذين عنوا بالإسرائيليات، فجعلوا منها شروحا لمبهمات القرآن، بل وجدناه على العكس من ذلك ينفر منها، وينعى على المفسرين التفاتهم إليها واشتغالهم بها."[1]

وهكذا كان ذلك الموقف من رشيد رضا محمودا ومعترفا له به عند من جاء بعده من الباحثين، ولكن مما يؤخذ عليه في موقفه من الإسرائيليات أنه سلك فيه مسلك التسوية والتعميم. والمعروف عن العلماء المحققين أنهم سلكوا مسلك الجمع بين الأحاديث الواردة في شأنها، فقسموها إلى ثلاثة أقسام من حيث الرد والقبول، لكن رشيد رضا جعلها بمنزلة واحدة فسوى في الرد بين ما وافق الشرع منها وما خالفه، أخذا برأي أستاذه القائل:" فنأخذ القرآن على ما هو عليه، ولا ندخل فيه شيئا من الروايات الإسرائيلية..."[2]، فكان هذا شأنه في سائر التفسير. وقد أدى هذا الرأي برشيد رضا إلى رد الكثير من الإسرائيليات التي جاءت على وفق من الشرع، فكان رأيه في الإسرائيليات بدعا من رأي من سبقوه من العلماء.

[1] – نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص354-355.

[2] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص 362.

ومن جهة أخرى؛ فإن ما ذهب إليه رشيد رضا واتخذه منهجا له في سائر التفسير، قد عارضه بما يحتج به عليه عند تفسيره لآية المائدة:" وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ **[المائدة : 48]**، فقد أورد خلال تفسيرها كلاما يوافق فيه رأي السابقين قال فيه: " فالاحتياط ألا نصدقهم ولا نكذبهم إلا إذا رووا شيئا يصدقه القرآن أو يكذبه، فإنا نصدق ما صدقه، ونكذب ما كذبه، لأنه مهيمن على تلك الكتب، وشهيد عليها، وشهادته حق، لأنه نزل بالحق، وحفظه الله من التحريف والتبديل بتوفيق المسلمين لحفظه في الصدور والسطور". [1] فلماذا حاد رشيد رضا عن هذا المنهج السليم، واختار طريق المبالغة والتعميم ؟!

الفرع الثاني: مناقشته في تجريح كعب الأحبار ووهب بن منبه

كعب الأحبار ووهب بن منبه تابعيان جليلان من مسلمي أهل الكتاب، كانت لهما ثقافة يهودية واسعة وعلم بالإسرائيليات، مما جعلهما من أشهر رواتها. وقد تضافرت كلمات النقاد قديما على توثيقهما وتعديلهما، لكن رشيد رضا وقف منهما موقفا مغايرا لأهل الجرح والتعديل، فأسقط عدالتهما واتهمهما بالكذب والغش والتدليس، وجرحهما بما لم يسبق إليه من علماء الفن المتخصصين.

أما تجريحه لكعب الأحبار فقد استند فيه على حديث لمعاوية – رضي الله عنه –، وأما تجريحه لوهب فقد اعتمد فيه على تجريح الفلاس له.

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج6، ص 341.

أولا– مناقشته في حديث معاوية

أشار رشيد رضا إلى حديث رواه الإمام البخاري عن معاوية في شأن كعب، وهذا نصه – كما في الصحيح:

"قال أبو اليمان، أ –خبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمن، سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب". [1] فاعتمد رشيد رضا على هذا الحديث لرمي كعب وأمثاله بالكذب في الرواية.

ولإلقاء مزيد من الضوء على معنى هذا الحديث إليك تعليق ابن حجر عليه كاملا: " وقوله عليه الكذب أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به قال ابن التين وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور بدّل من قبله فوقع في الكذب قال والمراد بالمحدثين أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها ولعلهم كانوا مثل كعب إلا أن كعبا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه وقال ابن حبان في كتاب الثقات أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا وقال غيره الضمير في قوله لنبلو عليه للكتاب لا لكعب وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه وقال عياض يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وليس فيه تجريح لكعب بالكذب وقال ابن الجوزي المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار."[2]

[1] – البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة، قوله باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، رقم7361، ج9، ص 110.

[2] – أبو الفضل أحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج و تصحيح و إشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة– بيروت، 1379 هـ ، (بدون طبعة) ، ج13، ص 334-335.

فهذا الإمام الحافظ – رحمه الله – ينقل إلينا كلام مجموعة من كبار العلماء المسلمين، كابن حبان، والقاضي عياض، وابن الجوزي، كلهم يبعد التهمة عن كعب ويبرئه منها ، فمنهم من يفسر "الكذب" بالخطإ وما هو قريب منه ومنهم من يفسره بغير ذلك. ومن أوجه ما ذكر في معنى الكذب هنا ما ذكر عن ابن عباس أنه قال فيه:"بدل من قبله فوقع في الكذب".

قال أبو شهبة معلقا على ما قاله معاوية : "وظاهر كلام معاوية – رضي الله عنه – يخدش كعبا في بعض مروياته، ولكنه لا يدل على ما ذهب إليه المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعا كذابا. وهذا الكلام من معاوية له وزنه فهو رجل داهية لا تخفى عليه الرجال ولا دسائسهم، ومعاوية لا يخشى كعبا ولا يعقل أن يتملقه، ولو يعلم فيه أكثر من ذلك لقاله".[1]

ثم إن معاوية – رضي الله عنه – قد أثنى على كعب في حديث آخر . فقد أخرج ابن سعد في طبقاته من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن معاوية قال في حديث له: " ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء. إن كان عنده لعلم كالثم ار وإن كنا فيه لمفرطين".[2]

فإذا كانت الرواية الأولى عن معاوية محتملة لإرادة الكذب بمعناه، ومحتملة لإرادة غيره من المعاني القريبة منه؛ فإن هذه الرواية الثانية عنه صريحة في اعترافه بعلم كعب وغزارته وتحسره عما فاته من تحصيله. ولو كان علم كعب مجرد كذب وافتراء ما كان معاوية – وهو من هو – ليكبره ويتحسر على فواته. فكذب كعب إذن غير ثابت، ولم يقل به أحد من السابقين ، والقول به يفتقر إلى دليل .

ثانيا:– مناقشته في متابعته للفلاس على تضعيف وهب

ذهب الشيخ رشيد رضا إلى متابعة عمرو بن علي الفلاس في تضعيف وهب، وصرح بمخالفته للجمهور في توثيقهم له. وسبب تضعيف الفلاس لوهب ما كان يتهم به من القول بالقدر. وقد كان ذلك من وهب في البداية، لكنه رجع عنه وندم.

[1] – أبو شهبة، دفاع عن السنة، ص 70.

[2] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص273.

جاء في تاريخ دمشق:" حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو سنان قال سمعت وهب بن منبه يقول كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء في كلها من جعل شيئا من المشيئة إلى نفسه فقد كفر فتركت قولي".[1]

وجاء في ميزان الاعتدال:" وقد ضعفه الفلاس وحده ووثقه جماعة قال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: دخلت على وهب بن منبه داره بصنعاء، فأطعمني من جوزة في داره فقلت: وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتابا، قال: وأنا والله لوددت ذلك.قال الجوجزاني: كتب كتابا ثم ندم. وقال أحمد بن حنبل: كان يتهم بشيء من القدر ثم رجع".[2]

فهؤلاء مجموعة من العلماء المحققين كلهم يشهد لوهب بالندم والرجوع، ولم يضعفه أحد منهم سوى الفلاس كما قال صاحب الميزان، وقد ثبت رجوعه عما كان سببا في التجريح، فكيف يعدل عن قول هؤلاء وقول الجمهور إلى قول متمسك بشبهة تاب عنها صاحبها وأناب؟

وجملة القول في هذا: أن عدالة كعب الأحبار ووهب بن منبه ثابتة عند رجال الجرح والتعديل ومن جاء بعدهم من المحققين، وما استند إليه رشيد رضا في تجريحهما لم يكن خافيا عن العلماء، فقد حملوا حديث معاوية على ما يناسبه، مستندين في ذلك إلى حجة قوية تمنع المراد من الكذب على حقيقته، وهو قول معاوية نفسه : " ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء"، فسقط القول بإرادة الكذب حقيقة وانصرف إلى الخطإ وما هو قريب منه. وأما تضعيف الفلاس لوهب فقد كان مبنيا على سبب وهو قول وهب بالقدر في بداية حياته، لكن ثبت عند العلماء ما يزيل هذه الشبهة وهو توبة وهب وإنابته. فما ذهب إليه رشيد رضا من تجريح كعب ووهب لا معنى له أمام تعديل رجال الحديث، وسقوط ما استند عليه في رأيه وموقفه.

[1] – أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف **بابن عساكر**، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر،عام النشر: 1415هـ- 1995م، (بدون طبعة)، ج63، ص386.

[2] – الذهبي، ميزان الاعتدال، ج4، ص 353.

الفرع الثالث : مناقشته في الاستناد إلى أقوال ابن تيمية

استشهد رشيد رضا أكثر من مرة بكلام ابن تيمية لتعزيز موقفه من الإسرائيليات، و من ذلك ما مر معنا في مقدمته حيث قال:" فأنت ترى أن هذا الإمام المحقق جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عرف أنه من رواة الإسرائيليات، وهذا في غير ما يقوم الدليل على بطلانه في نفسه".[1] فما حقيقة موقف ابن تيمية من الإسرائيليات ورواتها؟.

أولا– موقف ابن تيمية من الإسرائيليات

إن المتتبع لكلام ابن تيمية يرى له موقفا مغايرا تماما لما ذكره رشيد رضا في بداية تفسيره.وهذه كلمة ابن تيمية التي استند إليها المنار كما هي في مقدمة أصول التفسير : "الاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ، ومنه ما يعلم بغير ذلك ؛ إذ العلم إما نقل مصدق وإما استدلال محقق".[2]

ومراد ابن تيمية من هذا أن الاختلاف في التفسير ينقسم إلى نوعين، والنوع الأول منه ينقسم أيضا إلى فرعين، ما مستنده النقل المصدق أو الاستدلال المحقق. ثم أضاف: "والمقصود بأن جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم ، وهذا هو النوع الأول منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف ، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه". [3] بمعنى أن الرواية تنقسم إلى قسم يمكن معرفة الصحيح منه، وقسم لا يمكن معرفة صحيحه، ثم أضاف: " وهذا القسم الثاني من المنقول؛ وهو ما لا طريق لنا إلى الجزم بالصدق منه عامته مما لا فائدة فيه ، فالكلام فيه من فضول الكلام.

....فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه : اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة ، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها ،

---

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 9.

[2] – أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية**، م قدمة في أصول التفسير ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط: 1980م، ص20.

[3] – المصدر نفسه، ص20.

وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل ، فما كان من هذا منقولا نقلا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم كاسم صاحب موسى أنه الخضر فهذا معلوم، وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب كالمنقول عن كعب ووهب ومحمد بن إسحاق وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة".[1]

فابن تيمية قيد تصديق ما ينقل عن أهل الكتاب أو تصديقه "بالحجة"، بمعنى أنه لم يجزم بالوقف عن تصديق جميع ما عرف أنه من رواة الإسرائيليات في غير ما يقوم الدليل على بطلانه في نفسه – كما قال ذلك عنه رشيد رضا –، وإنما يصدقه بحجة، ويكذبه بحجة، ويتوقف فيه عند انعدام ما يمكن أن يكون حجة لتصديقه أو تكذيبه.

وقد تحدث ابن تيمية في موضع آخر عن موقفه من الإسرائيليات فقال:" ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته؛ لما تقدم".[2]

فكلام ابن تيمية صريح في تقسيمه الثلاثي للإسرائيليات – كما هو شأن المتقدمين– خلافا لما نسبه إليه رشيد رضا من التوقف فيها مطلقا، أو تكذيبها فيما يقوم الدليل على بطلانه في نفسه، وهذا استبعاد من رشيد رضا للقسم الثالث الصحيح منها وهو" ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق". بل إن ابن تيمية يذهب إلى جواز حكاية القسم المسكوت عنه بقوله: "وتجوز حكايته لما تقدم"، أي تجوز حكايته من باب الاستئناس، ويختم الحديث عنه بهذه العبارة:

[1] – ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص20-21.

[2] – المصدر نفسه. ص42.

"وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني....ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز"،[1] فهو يصرح بجواز نقل المسكوت عنه في شرعنا من أقوال أهل الكتاب مع تنبيهه بأن ذلك غالبه مما لا فائدة فيه تعود على الدين. فأين هذا مما فهمه رشيد رضا – رحمه الله – ؟!.

ثانيا – موقفه من رواتها

مما تجدر الإشارة إليه أن ذكر ابن تيمية في عبارته السابقة لكعب ووهب جاء على وجه التمثيل للمرويات التي يتوقف في الحكم عليها، ولم يكن من باب التخصيص لرواياته م ا، وهو ما ذهب إليه رشيد رضا – أي التخصيص – وزاد عليه بأن ابن تيمية كان كغيره غافلا عن كذب هذين الرجلين وتدليسهما.

ولو رجعنا إلى مجموع الفتاوى من كتب ابن تيمية لعلمنا أن ما قال به رشيد رضا في تعليقه لم يكن صوابا، فقد تعرض ابن تيمية مرات عديدة لذكر وهب وكعب فلم يجرحهما أو ينتقص من شأنهما، بل كان يستأنس أحيانا بأقوالهما.[2] وفوق ذلك، فقد ذكر أيضا قول معاوية في كعب : " وإن كنا لنبلو عليه الكذب"، فلم يفسره بكذب كعب، بل قال معلقا عليه:" ومعلوم أن عامة ما عند كعب أن ينقل ما وجده في كتبهم ولو نقل ناقل ما وجده في الكتب عن نبينا صلى الله عليه وسلم لكان فيه كذب كثير فكيف بما في كتب أهل الكتاب مع طول المدة وتبديل الدين وتفرق أهله وكثرة أهل الباطل فيه".[3]

والمعنى أن كعب الأحبار لم يكن هو الكاذب، ولكنه كان ناقلا عن كتب ملئت بالتحريف والتبديل والتغيير.

1- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص42- 43.

[2] – ينظر: أبو العباس تقي الدين بن أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية**، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المدينة النبوية، عام النشر:1416هـ،1995م، (بدون طبعة)، ج8، ص 45، ج17، ص 216، ج34، ص 64.

[3] – المصدر نفسه، ج15، ص 151- 152.

ومع إحسان الظن من ابن تيمية في كعب وغيره من مسلمي أهل الكتاب، فإنه لم يكن غافلا عما نقله المسلمون عنهم مما يخالف الدين. فقد ذكر من ذلك قول عمر لكعب:" خالطتك يهودية يا ابن اليهودية " عندما أشار عليه ببناء المسجد خلف الصخرة، ونقل تكذيب كعب في قول الله للصخرة :" أنت عرشي الأدنى" بقول الصحابة – رضي الله عنهم – من وسع كرسيه السماوات والأرض كيف تكون الصخرة عرشه الأدنى؟![1].

وخلاصة القول في هذا أن ابن تيمية كان يقول بتقسيم الروايات الإسرائيلية إلى ثلاثة من حيث الرد والقبول، وأنه كان على تعديل كعب ووهب وغيرهما ممن ثبتت عدالته من مسلمي أهل الكتاب.وأن تصريحه باسم كعب ووهب في كلمته السابقة كان من باب التمثيل وليس من باب التنقص والتعريض. ومنه يعلم أن رشيد رضا قد حمل كلام ابن تيمية السابق على غير محمله، واستشهد به في غير محله، والله أعلم بالصواب.

الفرع الرابع : مناقشته في تخطئة رجال الجرح والتعديل في شأن وهب وكعب الأحبار

ذهب رشيد رضا – رحمه الله – إلى القول باغترار رجال الجرح والتعديل في تعديل كعب الأحبار ووهب بن منبه !. والحقيقة أن القول بتوافق أصحاب الحديث – على مر أزمانهم – في تعديل رجل أو العكس على– وجه الخطإ – لا يكاد يثبت البتة، فعلم أهل الحديث لم يكن مبنيا على مجرد التقليد الذي يمكن أن يخطئ مجموعٌ ما في السير عليه، لكنه مبني على أسس متينة وموازين دقيقة لا تكاد تحيد. والقول بتخطئة أهل الحديث في توثيق كعب ووهب قول لا يطمأن إليه؛ لأن رجال الجرح قد علموا من كعب ووهب ما يمكن أن يكون دافعا لتجريحهم لكنهم لم يفعلوا.

قال الإمام الذهبي في شأن كعب:" كان يهوديا، فأسلم بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم– وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر– رضي الله عنه – فجالس أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن

[1] – ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج15، ص 153- 154.

الصحابة. وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء....وكان خبيرا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها بالجملة"[1].

وقال عن وهب بن منبه:" روايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه من الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب".[2] وحكى مبالغته في ذلك فقال:" وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ".[3]

فهذا شمس الدين الذهبي – رحمه الله – من المتأخرين من علماء الحديث؛ [4]ممن جمعوا وأحصوا وأوعوا، يعلم من كعب ووهب كل هذا ويقره، ولو علم في ذلك ما يجرحهما لاستدرك به على من سبقه من المتقدمين.

والمقصود من هاته النقول أن علماء الحديث لم يكونوا غافلين عن رجوع مسلمي أهل الكتاب إلى صحفهم وكتبهم، وأنها كانت تمثل مصدرا واسعا لما عندهم من علم ومعرفة. بل لم يكونوا غافلين عن نهي عمر لكعب بشأن التحديث . فهذا الحافظ ابن كثير – رحمه الله – يروي عن عمر أنه قال لكعب:" لتتركن الإخبار، أو لألحقنك بأرض القردة" [5]. فلا ابن كثير العلامة الحافظ،ولا من سبقه ولا من جاء بعده استشف من هذا الحديث أو غيره ما يجرح كعبا أو يسقط عدالته، وكيف يفعلون ذلك، وعمر القائل نفسه كان يجالس كعبا ويستمع إليه؟ [6]، وهم قبل ذلك على علم بتشديد عمر – رضي الله عنه – في كتابة الحديث.

---

[1] – الذهبي، سير الأعلام، ج3، ص 489- 490.

[2] – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي**، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، –بيروت، ط 1: 1419هـ-1998م، ج4، ص 545.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 77.

[4] – هو الإمام الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، من علماء الحديث و حفاظه، توفي سنة 748 هـ، ينظر: طبقات الحفاظ (المقدمة)، ج1، ص4، نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر.

[5] – أبو الفداء إسماعيل **بن كثير**، مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق: إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح– الفيوم – مصر، ط1: 1430 هـ- 2009 م، ج3، ص10.

[6] – ينظر: ابن عبد البر، التمهيد، ج23، ص 39.

قال الذهبي:" فبالله عليك إذا كان الإكثار من الحديث في دولة عمر كانوا يمنعون منه مع صدقهم، وعدالتهم، وعدم الأسانيد، بل هو غض لم يُشب، فما ظنك بالإكثار من رواية الغرائب والمناكير في زماننا، مع طول الأسانيد، وكثرة الوهم والغلط، فبالحري أن نزجر القوم عنه".[1]

فهذه كلمة قوية من الإمام الذهبي فيمن يكثرون من رواية الغرائب والعجائب والمناكير، وهو يعلم أن كعبا ووهبا لهما حظ من ذلك ، لكنه لم يجرأ على تجريحهما لأنه لم يعلم منهما ما يدل على ذلك أو يستدعيه.

ورحم الله الإمام ابن كثير إذ يقول في تفسيره تعليقا على بعض الروايات: "والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ. وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة".[2] فهذا تأنيب لطيف واعتذار ظريف عما ارتكبه كعب ووهب من خطإ في النقل والرواية مما بدل قبلهم وغير، لا ما بدلوه أو غيروه — كما يقول صاحب المنار – ،فهل لقائل بعد هذا أن يقول باغترار رجال الجرح والتعديل؟.

ختام الكلام أن أقوال أئمة الحديث في مسلمة أهل الكتاب شاهدة على وعيهم وفطنتهم وحذقهم، وشاهدة في الوقت نفسه على عدلهم وإنصافهم واتزانهم في الجرح والتعديل .
وأما ما قاله صاحب المنار عن كعب ووهب وأمثالهما من أهل الكتاب فإنه لا يتفق مع ما عرف عنهم بحال.

[1] – الذهبي، سير الأعلام، ج2، ص 601-602.

[2] – أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير**، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط1 : 1419 هـ ، ج6، ص 177.

الفرع الخامس: مناقشة قول باغترار علماء الإسلام بالإسرائيليات لعدم اطلاعهم على مصادر أهل الكتاب

سلك رشيد رضا من الروايات الإسرائيلية ورواتها ما عرفناه عنه من قبل، وكان كثيرا ما يبرر موقفه ذلك بانخداع علماء المسلمين بمرويات أهل الكتاب، نظرا لعدم اطلاعهم على التوراة والإنجيل وما يلحق بهما من مصادر أهل الكتاب، محتكما في ذلك كله إلى تلك الصحف وأسفارها من أجل الكشف عن خبايا كعب ووهب وأمثالهما من مسلمي أهل الكتاب.

أما التحاكم إلى مصادر أهل الكتاب فهو موقف ملفت من رشيد رضا – رحمه الله – وسوف يأتي الكلام عليه في فصل لاحق – إن شاء الله –.

وأما القول بعدم اطلاع علماء المسلمين على تلك المصادر لأنهم لم يسبقوا رشيد رضا إلى ما وصل إليه؛ فإن ذلك قد ينطبق على البعض منهم ولكنه غير قابل للتعميم، فإن عددا معتبرا من علماء المسلمين كان على اطلاع واسع بمصادر أهل الكتاب، أذكر منهم ثلاثة وهم: الإمام ابن حزم، والإمام ابن تيمية، والإمام ابن كثير – رحمهم الله أجمعين.

أولا – اطلاع ابن حزم – رحمه الله –

1 – ما يدل على اطلاعه عليها ومعرفته به ا: ألف الإمام ابن حزم – رحمه الله – كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، وتكلم في جزئيه الأول والثاني عن النصارى واليهود ، فتعرض فيه لأخبارهم وعقائدهم وناقشهم مناقشة العارف لما في كتبهم. قال في موضع منه: " وفي الفصل المذكور– من التوراة– أن الله تعالى قال ليعقوب لست تدعى من اليوم يعقوب لكن إسرائيل ثم في السفر الثاني من توراتهم قال الله تعالى قل لآل يعقوب وعرف بني إسرائيل فقد سماه بعد ذلك يعقوب وهذه نسبة الكذب إلى الله." [1] فهذا تعقيب دقيق من ابن حزم على التوراة التي يكشف تناقضها عن تحريفها وتبديلها

[1]– أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد **بن حزم** الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (بدون طبعة)، ج1، ص 111.

وقد كان مع ذلك مميزا لما بقي فيها من صدق لم يطله التحريف، فقال في موضع آخر تعليقا على ما جاء في السفر الخامس منها: "جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران"، ثم أضاف:" وسيناء هو موضع مبعث موسى عليه السلام بلا شك وساعير هو موضع مبعث عيسى عليه السلام وفاران بلا شك هي مكة موضع مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بيان ذلك أن إبراهيم عليه السلام أسكن إسماعيل فاران ولا خلاف بين أحد في أنه إنما أسكنه مكة فهذا نص على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم".[1]

فانظر كيف استطاع ابن حزم – رحمه الله – أن يلتقط ما حاول الكتابيون إخفاءه في التوراة من بين سطورها، وليس هذا باليسير إلا على من كانت له القدرة على الاطلاع والتمييز.

2 – موقفه من الإسرائيليات ورواتها : ومع هذا الاطلاع من ابن حزم على ما تحويه مصادر أهل الكتاب من حق وباطل، فقد وقف من الإسرائيليات موقف الجامع لما ورد فيها من أحاديث، فقال تعليقا على حديث (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم): " فما نزل القرآن والسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتصديقه صدقنا به وما نزل النص بتكذيبه أو أظهر كذبه كذبنا به وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن يكون حقا أو كذبا لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقوله كما قلنا في نبوة من لم يأتنا باسمه نص".[2] فهو بهذا من السابقين إلى تقسيم الروايات الإسرائيلية إلى: صادق، ومكذوب، ومتوقف في الحكم عليه.

أما موقفه من رواتها، فأذكر فيه ما اطلعت عليه، وهو أنه تعرض لذكر كعب فلم يتنقصه ولم يجرحه، بل وصفه بالحبر فقال: " وقد روينا أيضا عن عمر رضي الله عنه أنه أتاه كعب الحبر بسفر وقال له هذه التوراة أفأقرؤها"[3].

[1] – ابن حزم، الفصل في الملل ، ج1، ص90.

[2] – المصدر نفسه ، ج1، ص 160.

[3] – المصدر نفسه ، ج1، ص 161.

وذكر رواية لابن عباس عن كعب جاء فيها:" والبحر المسجور يسجر فيكون جهنم".[1] فلم يكذّب كعبا في تفسيره، ولم يعب على ابن عباس في النقل عنه، وهذا ما يظهر بأنه على رأي أصحاب الحديث في مسلمي أهل الكتاب.

ثانيا – اطلاع ابن تيمية – رحمه الله –

كان ابن تيمية أيضا من العلماء المحققين المطلعين على مصادر أهل الكتاب، فقد ألف كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وتحدث فيه عن كثير من الأمور التي تخص أهل الكتاب عامة من النصارى واليهود، والتي تخص النصارى منهم على وجه الخصوص، وناقشهم في كثير من عقائدهم الباطلة، وشرائعهم المحرفة، وكان ذلك منه على علم بما في نسخ التوراة والإنجيل من تغاير وتبديل وتحريف، قال:" والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ذكر في نسخة السامرة[2] منها من أمر استقبال الطور ما ليس في نسخة اليهود والنصارى وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب، فإن عند السامرة نسخا متعددة

وكذلك رأينا في الزبور نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داوود– عليه السلام – وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة".[3]

فالقارئ لمثل هذا الكلام، يدرك مدى اطلاع ابن تيمية على مصادر أهل الكتاب، ومدى قدرته على نقدها وتمحيصها.

---

[1] – ابن حزم، الفصل في الملل ، ج2، ص 82.

[2] – السامرة السامريون، وهم" طائفة من المتهودين من غير بني إسرائيل، سكنوا جبال بيت المقدس، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون دون من جاء بعدهم". **الندوة العالمية** للشباب المسلم، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة، ج1، ص500.

[3] –أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية**، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط2: 1419هـ-1999م، ج2، ص 450-451.

ثالثا – اطلاع ابن كثير – رحمه الله –

ذكر ابن كثير في مواضع كثيرة من تفسيره وتاريخه ما يدل على اطلاعه على مصادر أهل الكتاب. فعند ذكره لبناء قبة الزمان تعرض لذكر التابوت فقال: " وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولا جدا، وفيه شرائع لهم وأحكام، وصفة قربانهم وكيفيته". [1] وذكر ما عندهم في شأن القبة والتابوت، وكلامه يدل على معرفته واطلاعه.

وكان ابن كثير من المهتمين بتاريخ التوراة والإنجيل من حيث الكتابة والتدوين، ومن حيث العقائد والأفكار. فقال بشأن ذلك :" وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة....وبين هذه الأناجيل تفاوت كثير.." ثم ذكر فصلا في اختلاف النصارى في شأن المسيح بعد رفعه إلى السماء، ونبه فيه على عقائدهم الباطلة. فقال أيضا:" وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولاسيما ممن لا يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى".[2]

وبهذه المتابعة لمصادر أهل الكتاب، استطاع ابن كثير استخراج بعض ما سلم منها من أيادي التحريف والتغيير. ومن ذلك قوله:" وفي التوراة البشارة بإسماعيل عليه السلام، وأن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيما، وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة، وبعضُ الجهلة ممن أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الإثنا عشر، فيتشيع كثير منهم جهلا وسفها لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم " [3]. وهذا الكلام يدل على وعي ابن كثير وفطنته لما تستغل فيه الروايات الإسرائيلية من التدليس والتضليل.

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص 359.

[2] – المصدر نفسه ، ج1، ص 87.

[3] - أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير** ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ـبيروت، ط1 : 1419 هـ .،ج3، ص59.

هذه نماذج ثلاثة من جهابذة علماء الإسلام وحذاقه، كل واحد منهم كان على علم واطلاع بمصادر أهل الكتاب، لكنه سلك من الروايات الإسرائيلية وأعلامها مسلكا وسطا بين الرفض والقبول. ولو كان الاطلاع على صحف أهل الكتاب وأسفارهم موج با- حقيقة – لمعرفة ما ترفض به الروايات الإسرائيلية عامة، أو كشف ما يجرح وهب بن منبه أو كعب الأحبار أو أمثالهما من مسلمي أهل الكتاب؛ لكان ابن حزم وابن تيمية وابن كثير – وهم من هم – من السابقين إلى ذلك والداعين إليه.

المطلب الثالث : دراسة نموذجين من الإسرائيليات المنتقدة في تفسير المنار

النموذج الأول : نقد المنار للإسرائيليات الواردة في قصة آدم –عليه السلام–

الفرع الأول : أقوال رشيد رضا في نقد روايات القصة

نحا الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – في تفسير قصة آدم – عليه السلام – منحى مختلفا ومتميزا، راعى فيه ربط الأسباب بمسبباتها والنتائج بمقدماتها. وهو ما أضفى على هذه القصة ظهور أبعاد عديدة في ثنايا تفسيره لها، منها البعد النفسي، والبعد الاجتماعي، والبعد الخلقي والتكويني، وأبعاد أخرى لا تقل أهمية عما ذكر. أما الروايات فإنه لم يذكر شيئا منها إلا في إطار النقد والتنبيه. وهو ما جعلني أدرس نموذجا من تلك الروايات المنتقدة عنده بالرجوع إلى رواياتها في تفسير ابن جرير. وهذا عرض لأقوال رشيد رضا في روايات القصة من أجل الوقوف على منهجه النقدي لها:

قال في موضع من تفسيره للقصة عند سورة البقرة:" وكل ما ورد في هبوط آدم وحواء من تعيين الأمكنة فهو من الإسرائيليات الباطلة". [1] وبهذا الاختصار كان تعليق رشيد رضا على كثير من الروايات التي أوردها المفسرون في أماكن نزول آدم وحواء – عليهما السلام –، فهو لم يهتم بتعيين تلك الأماكن ولم يلتفت إلى ذكر شيء من رواياتها، وإنما اكتفى بالإشارة إليها والتنبيه على زيفها بطلانها.

وقال في موضع آخر عند تعرضه للقصة في سورة الأعراف:" ولم ندخل فيه شيئا من تلك الروايات المأثورة، والآراء المشهورة، التي لا دليل عليها من قول الله ولا قول رسوله، ولا من سننه تعالى في خلقه؛ إذ جل ما ورد في ذلك أوكله من الإسرائيليات التي لا يوثق بها، وقد فتن كثير من المفسرين بنقلها، كقصة الحية ودخول إبليس فيها وما جرى بينها وبين حواء من الحوار".[2]

---

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 232.

[2] –المصدر نفسه ، ج8، ص 316.

ثم قال – في نفس الإطار –:" وقد صرح النصارى منهم بأن إبليس دخل الحية وتوسل بها إلى إغواء حواء ونقل عنهم المسلمون ما نقلوا في ذلك، ونحن لا نعتد بما خالف ما في القرآن وصحيح ما في السنة من ذلك.

إذا علمت هذا فلا يغرنك شيء مما ورد في التفسير المأثور مما ورد في القصة فأكثره لا يصح، وهو أيضا مأخوذ من تلك الإسرائيليات المأخوذة عن زنادقة اليهود الذين دخلوا في الإسلام للكيد له، وكذا الذين لم يدخلوا فيه".[1]

هكذا كان تعقيب رشيد رضا على العديد من الإسرائيليات التي ذكرها أهل التفسير في تلك القصة، سالكا مسلك التنبيه، منتهجا أسلوب النقد العام، مكتفيا بذلك عن التحليل والتفصيل.

ولعل إعراضه عن ذكرها كان نتيجة لوضوح بطلانها، لاسيما وأن مفسرين آخرين قد سبقوه إلى ردها. فقصة الحية مثلا ذكرها مجموعة من المفسرين وتعقبها بعضهم بالرد والتضعيف كما فعل الرازي، وكما فعل صاحب البحر المحيط.[2]

ومجمل القول أن رشيد رضا قد سلك منهج الإشارة والتنبيه على الإسرائيليات الواردة في قصة آدم – عليه السلام – ولم يتعرض لذكر شيء من متونها أو أسانيدها، مكتفيا بالإجمال عن التفصيل، وهذا أحد مسالكه في نقد الروايات الإسرائيلية وتفنيدها.

ومن أجل الوقوف بوضوح على هذا الجانب الإيجابي من جوانب النقد عند رشيد رضا؛ وهو الإعراض الكلي عن الروايات التي لا أصل لها عندنا، فإنني سأعرج على تفسير ابن جرير الطبري – رحمه الله – لدراسة نموذج من تلك الروايات التي انتقدها رشيد رضا بإجمال.

[1] – رشيد رضا تفسير المنار، ج8، ص 317.

[2] – ينظر: سليمان بن صالح **القرعاوي** ومحمد عبد الله **حياني**، الروايات الإسرائيلية و موقف مفسري المشرق و المغرب منها في الموازنة بينهما، مقال بمجلة الموافقات(مجلة جامعية تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية)، المعهد العالي لأصول الدين– الخروبة، العدد 3: ذو الحجة1414هـ - جوان1994 م، ص 189.

الفرع الثاني : دراسة نموذجية لروايتي الحية في تفسير الطبري

ساق الإمام الطبري – رحمه الله – روايات كثيرة في قصة آدم – عليه السلام – منها ما هو إسرائيلي ومنها ما هو غير ذلك. ولأن الآيات قد تعددت في قصة أبي البشر، وتعددت معها الروايات المفسرة لها؛ فقد رأيت أن أخص بالدراسة هذه الآية من سورة البقرة، وهي قوله تعالى :" فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ **[البقرة : 36]**.

وقد أورد الطبري عند هذه الآية إحدى عشرة رواية إجابة على سؤال قد طرحه وهو:" فإن قال لنا قائل: وكيف كان استزلال إبليس آدم وزوجته، حتى أضيف إليه إخراجهما من الجنة؟ قيل: قد قالت العلماء في ذلك أقوالا سنذكر بعضها". [1] ثم ساق في بيان ذلك روايات متشابهة المضمون، اخترت منها ما صرح فيه بذكر الحية، فكان عدد الروايات المختار للدراسة أربعا من أصل إحدى عشرة رواية.

ولما كان حديث الحية محل رد وانتقاد – عند رشيد رضا وغيره من الباحثين –فقد حاولت دراسة رواياته دراسة نقدية تمكن من الوقوف على محل الخطإ فيها سواء كان ذلك في السند أو المتن. وإليك دراسة هذه الروايات الأربع:

الرواية الأولى– رقمها 742 عند الطبري :أذكر هذه الرواية كاملة – مع طولها — من تفسير ابن جرير، فهي كالأساس لما يأتي بعدها من الروايات.

قال – رحمه الله – إجابة عن السؤال السابق:" فحكي عن وهب بن منبه في ذلك ما : حدثنا به الحسن بن يحي، قال أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمرو بن عبد الرحمن بن مهرب قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لما أسكن الله آدم وذريته – أو زوجته – الشك من أبي جعفر: وهو في أصل كتابه:" وذريته "– ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته. فلما أراد

[1] – الطبري، جامع البيان، ج1، ص 525.

إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بختية [1]، من أحسن دابة خلقها الله – فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء فقال: انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ! فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت: انظر إلى هذه الشجرة! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ! فأكل منها آدم، فبدت لهما سوآتهما. فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه:يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هنا يا رب ! قال ألا تخرج؟ قال: أستحيي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكا. قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كان أفضل من الطلح والسدر، ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدي، فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا. وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غرّ عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك. قال عمر: قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء."[2]

نقد الرواية : هذه الرواية التي ساقها ابن جرير – رحمه الله – موقوفة على وهب بن منبه، فهي لا تعدو كونها رواية إسرائيلية ويبقى الحكم عليها متوقفا على موافقتها للشرع أو مخالفتها له. ومن المخالفات الظاهرة فيها التصريح بأكل الملائكة، وهو مناقض لما يعتقده المسلمون فيهم من عدم الأكل والشرب ونحوه. وقد صرح الفخر الرازي في تفسيره بالاتفاق على ذلك فقال:" اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون." [3] ولهذه العلة العقدية الظاهرة، وجب طرح هذه الرواية الإسرائيلية وعدم الاعتداد بها بغض النظر عن سندها.

[1] – البخت:"جمال طوال الأعناق، يطلق على الأنثى منها لفظ (بختية) وعلى الذكر(بختي)، وتجمع على بخت وبخات، وهي لفظة معربة". أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد **ابن الأثير**، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد طناحي، المكتبة العلمية- بيروت، (بدون طبعة)، عام النشر: 1399هـ، 1979م، ج 1، ص101. بتصرف يسير.

[2] – الطبري، جامع البيان، ج1، ص 525- 526.

[3] – الرازي، مفاتيح الغيب، ج1، ص 85.

الرواية الثانية– رقمها 743 : قال أبو جعفر:"حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم." [1] هذا هو سند الرواية. أما مضمونها فإنه قريب مما جاء في الرواية الأولى مع اختصار واختلاف يسير، مما يشعر بأنها من أصل الرواية الإسرائيلية السابقة. لكن وقفها على ابن مسعود، وناس من الصحابة، يتطلب دراسة لسندها . وقد كفانا الطبري – رحمه الله – مؤونة ذلك فيما نقله إلينا أحمد شاكر عنه حيث قال (الطبري): " وقد ذكر الخبر عن ابن مسعود وابن عباس بهذا الإسناد:" فإن كان ذلك صحيحا، ولست أعلمه صحيحا، إذ كنت بإسناده مرتابا" . ثم علق أحمد شاكر على ذلك بقوله:" ولم يبين علة ارتيابه في إسناده، وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به. ولكنه لم يجعلها حجة قط"[2].

فارتياب الطبري في شأن هذا الإسناد يجعل الاحتجاج به ضعيفا إن لم يكن ساقطا، وما ذكره أحمد شاكر يؤكد أن الطبري لم يتخذ هذا الإسناد حجة، بمعنى أنه كان يأتي به استئناسا فقط، فلا احتجاج إذن بروايته.

الرواية الثالثة– رقمها 750 : قال أبو جعفر:" وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ليث بن أبي سليم، عن طاوس اليماني، عن ابن عباس".[3] هذا هو سند الرواية، وهو موقوف على ابن عباس. أما مضمونها فإنه يحتوي على بعض ما جاء في الروايتين السابقتين لكن باختصار شديد. فهل نسبة هذا القول إلى ابن عباس – رضي الله عنه – نسبة صحيحة؟. هذا ما سنعرفه من خلال دراستنا للسند.

فابن حميد المذكور هو: " محمد بن حميد الرازي الحافظ.....وهو ضعيف. قال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال البخاري: فيه نظر. وكذبه أبو زرعة." [4] ذكره ابن حبان في المجروحين

---

[1] – الطبري، جامع البيان ، ج1، ص 526.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص 156، هامش رقم2.

[3] –االمصدر نفسه ، ج1، ص 530.

[4] – الذهبي، ميزان الاعتدال، ج3، ص 530.

وقال عنه:" كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده."[1] وكان الإمام أحمد – رحمه الله – يحسن به الظن فلما حدث أنه يكذب تركه. قال ابنه صالح:" فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفض يده."[2]

أما ليث ابن أبي سليم فقد ذكره ابن حبان في المجروحين أيضا وقال فيه:" كان من العباد ولكن اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات بما ليس من أحاديثهم كل ذلك كان منه في اختلاطه تركه يحي القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل ويحي بن معين." [3] وضعفه قبل ابن حبان أبو عبد الرحمن النسائي فقال:" ليث بن أبي سليم ضعيف كوفي." [4] وعليه؛ فإن نسبة هذه الرواية إلى ابن عباس غير ثابتة، مما يسقط صحة الاحتجاج بها.

الرواية الرابعة– رقمها 752 : قال ابن جرير:" وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس" [5]. هذا ما جاء في سند الرواية، أما مضمونها فإنه لا يخرج عما سبق ذكره. وهذا ما وقفت عليه في أحد رجالها: فأبو معشر هو:" نجيح بن عبد الرحمن المديني السندي، قال فيه ابن عدي: تعرف وتنكر وقال ابن نمير كان يحفظ الأسانيد، وقال عنه يحي والنسائي والدارقطني ضعيف، وقال يحي مرة ليس بقوي في الحديث." [6] ذكره البخاري في

---

[1] – أبو حاتم محمد **بن حبان** بن أحمد بن حبان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي– حلب، ط1: 1396 هـ، ج2، ص 303.

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 304.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 231.

[4] – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي **النسائي**، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي– حلب، ط1: 1396هـ، ص 90.

[5] – الطبري، جامع البيان، ج1، ص 5.

[6] – أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي **بن** محمد **الجوزي**، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1: 1406 هـ، ج3، ص 157.بتصرف يسير.

في الضعفاء وقال عنه:" منكر الحديث."[1] فاجتماع هذه الأوصاف في أبي معشر توهن الرواية عنه وتضعفها.

وهكذا؛ فإن الروايات التي اعتمد عليها الطبري في قصة الحية كلها ضعيفة؛ فالأولى تحمل غلطا بواحا وهو التصريح بأكل الملائكة. والثانية لها سند لا تقوم به حجة. والثالثة فيها ضعيف متهم بالكذب وهو ابن حميد، وفيها متروك الحديث وهو الليث بن أبي سليم. والرابعة فيها من قال فيه البخاري: منكر الحديث.

وفائدة القول: أن الروايات التي أوردها ابن جرير في قصة الحية روايات ضعيفة، وأن مردها إلى إسرائيلية وهب بن منبه الباطلة.

ومن الملاحظات التي يجدر بهذا البحث إعادة التنبيه عليها هي أن ما نسب هنا إلى ابن عباس وابن مسعود أو غيرهما من الصحابة غير ثابت، فطرق الأسانيد في ذلك واهية. وهي ملاحظة هامة جدا تحتم علينا وجوب التحقق مما ينسب للصحابة، خصوصا ما كان مرده إلى بني إسرائيل. وأضيف إلى هذه الملاحظة ما علق به أبو شهبة على تلك الروايات حيث قال: "ويرحم الله ابن جرير، فقد أشار بذكره الرواية عن وهب: إلى أن ما يرويه عن ابن عباس، وابن مسعود إنما مرجعه إلى وهب وغيره من مسلمة أهل الكتاب، ويا ليته لم ينقل شيئا من هذا، ويا ليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا."[2]

ومن الإنصاف في هذا المقام، أن أذكر أن صاحب المنار رشيد رضا كان له فضل كبير في التنبيه على هذه الروايات الباطلة، وأنه كان واحدا من أقلاء المفسرين الذين سعوا لصيانة تفاسيرهم عن عجائب الإسرائيليات وخرافاتها.

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم **البخاري**، الضعفاء، تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، ط1: 1426 هـ – 2005 م، ص 135.

[2] – أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 179.

النموذج الثاني: نقد المنار للإسرائيليات الواردة في قصة :" الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ "

الفرع الأول: عرض أقوال المنار وتحليلها

على خلاف النموذج السابق، قام رشيد رضا – في إطار النقد – بذكر مجموعة من الروايات الإسرائيلية التي أوردها المفسرون في تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ **[البقرة:243]**.

فقال في بداية تفسيره للآية :" فمن ثم جاءت هذه الآيات ببيان أجلى وأسلوب أفعل وأقوى كما ستعلم تفسيرها عن الأستاذ الإمام لا عن القصاصين وأصحاب الأوهام. رووا في قصة أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ **[البقرة:243]** روايات من الإسرائيليات التي ولع بها المفسرون وكلفوا بتطبيق كتاب الله تعالى عليها،أشهرها أبعدها عن السياق وهي رواية السدي"[1].

بدأ رشيد رضا بغمز المفسرين الذين ولعوا – كما يرى – بالقصص الإسرائيلي وتكلفوا إقحامه في التفسير، ثم ذكر رواية للسدي، وقال معقبا عليها: " على هذه الرواية اقتصر (الجلال) مع علمه بأن السدي هذا هو محمد بن مروان الكوفي المفسر الكذاب كما قال ابن جرير وغيره – وليس هو إسماعيل السدي التابعي الذي وثقه أحمد وضعفه ابن معين – وذكر في عددهم أقوالا أقلها أربعة آلاف وأكثرها سبعون ألفا، وأنهم عاشوا دهرا عليهم أثر الموت، لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن، واستمرت في أسباطهم!".[2]

[1] – رشيد رضا ، تفسير المنار، ج2، ص 360.

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 361.

فهنا ينتقد رشيد رضا جلال الدين السيوطي في اقتصاره على رواية السدي الكذاب- كما قال-، وينتقده أيضا على ما ذكر في عددهم من أقوال، وما حكى في شأنهم من أحوال. وإتماما للفائدة؛ فإنني أذكر رواية السدي – بطولها – كما أوردها جلال الدين السيوطي في تفسيره:

– "أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي عن أبي مالك في الآية قال: كانت قرية يقال لها داوردان قريب من واسط فوقع فيهم الطاعون فأقامت طائفة وهربت طائفة فوقع الموت فيمن أقام وسلم الذين أجلوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا إليهم فقال الذين بقوا: إخواننا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا سلمنا ولئن بقينا إلى أن يقع الطاعون لنصنعن كما صنعوا فوقع الطاعون من قابل فخرجوا جميعا الذين كانوا أجلوا والذين كانوا أقاموا وهم بضعة وثلاثون ألفا فساروا حتى أتوا واديا فسيحا فنزلوا فيه وهو بين جبلين فبعث الله إليهم ملكين ملكا بأعلى الوادي وملكا بأسفله فناداهم: أن موتوا فماتوا فمكثوا ما شاء الله ثم مر بهم نبي يقال حزقيل فرأى تلك العظام فوقف متعجبا لكثرة ما يرى منهم فأوحى الله إليه أن ناد أيتها العظام إن الله أمرك أن تجتمعي فاجتمعت العظام من أعلى الوادي وأدناه حتى التزق بعضها ببعض كل عظم من جسد التزق بجسده فصارت أجسادا من عظام لا لحم ولا دم ثم أوحى الله إليه أن ناد أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما فاكتست لحما ثم أوحى الله إليه أن ناد أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي فبعثوا أحياء فرجعوا إلى بلادهم فأقاموا لا يلبسون ثوبا إلا كان عليهم كفنا دسما يعرفهم أهل ذلك الزمان أنهم قد ماتوا ثم أقاموا حتى أتت عليهم آجالهم بعد ذلك."[1]

هذه رواية السدي، ومضمونها أن الله –جل وعلا– أهلك أمة بأكملها بمرض الطاعون عقابا لهم على فرارهم منه، ثم أحياهم إكراما لنبي من أنبيائه اسمه حزقيل – عليه السلام – فرجعوا إلى بلادهم وعليهم أثر الموت، ثم جاءت آجالهم الحقيقية فماتوا من ذلك.

وهناك روايتان غيرها ذكرهما المفسرون، وذكر رشيد رضا مضمونهما فقال: "وهناك رواية أخرى:" وهي أن ملكا من ملوك بني إسرائيل استنفر عسكره للقتال فأبوا لأن الأرض التي دعوا

[1] – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي**، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر- بيروت ، (بدون طبعة)، ج1، ص741.

إلى قتالها موبوءة، فأماتهم الله ثمانية أيام حتى انتفخوا وعجز بنو إسرائيل عن دفنهم فأحياهم الله تعالى وبقي فيهم شيء من ذلك النتن، وفي ب عض القصص أن ذلك انتقل إلى ذريتهم وسيبقى فيهم حتى ينقرضوا! وقلما نجد في العلماء من ينبه الناس لهذه الأكاذيب.

والرواية الثالثة: هي أن حزقيل النبي – صلى الله عليه وسلم – ندب قومه للقتال فكرهوا وجبنوا، فأرسل الله عليهم الموت فكثر فيهم فخرجوا من ديارهم فرارا منه، فدعا عليهم نبيهم فأرسل الله الموت على الخارجين، ثم ضاق صدره فدعا الله فأحياهم، ولكن لم يذكر في نبوة حزقيل من كتب العهد العتيق ولا في غيرها."[1]

مضمون الرواية الثانية أن الله – جل وعلا – أمات قوما من بني إسرائيل ثمانية أيام عقابا لهم على عصيانهم لملكهم الذي استنفرهم للقتال، ثم أحياهم بعد أن أنتنوا وبقي فيهم شيء من ذلك النتن وانتقل إلى ذريتهم.

ومضمون الثالثة أن نبي الله حزقيل دعا على قومه بالموت لما جبنوا عن القتال؛ فاستجاب الله له، ثم دعا لهم بالحياة لما ضاق صدره بموتهم، فاستجاب الله له مرة أخرى فأحياهم بعد موتهم.

وبعد عرض المنار لهذه الروايات، أضرب عنها صفحا وانتقل إلى تفسيرها عن الأستاذ الإمام باعتبارها مثلا لا قصة واقعة فقال:" قال شيخنا الأستاذ الإمام في هذا المثل ما مثاله: وفي تفسير ابن كثير، عن ابن جريج، عن عطاء أن هذا مثل، أي: لا قصة واقعة.

أطلق القرآن القول في هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم ولم يعين عددهم ولا أمتهم ولا بلدهم، ولو علم لنا خيرا في التعيين والتفصيل لتفضل علينا بذلك في كتابه المبين، فنأخذ القرآن على ما هو عليه، ولا ندخل فيه شيئا من الروايات الإسرائيلية التي ذكروها. وهي صارفة عن العبرة لا مزيد كمال فيها."[2]

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص361.

[2] – المصدر نفسه ، ج2، ص 362.

فالإعراض عن الخوض في مبهمات القرآن سمة واضحة في تفسير المنار، ولهذا السبب يرفض رشيد رضا وشيخه الأستاذ قبول الروايات الواردة في تعيين عدد أولئك القوم، أو الخوض في معرفة بلدهم وأمتهم، اكتفاء بما أورده القرآن الكريم بشأنهم.

الفرع الثاني : مناقشة تلك الأقوال

أولا– مناقشته في القول باقتصار السيوطي على رواية السدي الصغير

قال رشيد رضا:" على هذه الرواية اقتصر(الجلال) مع علمه بأن السدي هذا هو محمد بن مروان الكوفي المفسر الكذاب كما قال ابن جرير وغيره. وليس هو إسماعيل السدي التابعي الذي وثقه أحمد وضعفه ابن معين."[1] يمكن مناقشة هذا القول في أمرين:

أولهما: أن جلال الدين السيوطي لم يقتصر على رواية السدي، بل جاء بالروايات الثلاث التي ذكر رشيد رضا مضامينها وذكر مع كل رواية ما يوافقها من الروايات، حتى تجاوز ما أورده فيها عشرا، مستغرقا في ذلك عدة صفحات من تفسيره. [2] فلعل ما ذكره رشيد رضا من اقتصار السيوطي على رواية السدي سهو منه.

ثانيهما: أن السدي المذكور في الرواية ليس كما قال رشيد رضا أنه محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير المتهم بالكذب ، وإنما هو جده إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير المختلف فيه.[3] فقد ذكر السيوطي تلك الرواية عن مجموعة من المفسرين فقال: " أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي عن أبي مالك" [4]. ثم ذكر الرواية بتمامها. وعند الرجوع لتفسير ابن جرير الطبري – مثلا – نجده قد روى الحديث بهذا السند: " حدثني موسى بن

[1] – – رشيد رضا، تفسير المنار ، ج2، ص 361.

[2] – السيوطي، الدر المنثور، ج1، ص 741- 744.

[3] – ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ج1، ص 236 – 237، ج4، ص 33.

[4] – السيوطي، الدر المنثور، ج1، ص 741.

هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي." [1]، ورواية أسباط عن السدي كثيرة الدوران في تفسير الطبري، يذكره أحيانا بالسدي، وأحيانا أخرى بإسماعيل بن عبد الرحمن السدي.

ومما يزيل الالتباس ما أورده الخليلي حيث قال: " وتفسير إسماعيل بن عبد الرحمن السدي فإنما يسنده بأسانيد إلى عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وروى عن السدي الأئمة مثل: الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه عنه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي."[2] فأسباط بن نصر جمع تفسير إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن السدي الكبير وليس ما رواه محمد بن مروان السدي الصغير، وهذا هو وجه الشاهد في كلام الخليلي، وهو ما يؤكد خطأ رشيد رضا في عبارته السابقة.

ثانيا– مناقشته في غمز المفسرين والتعريض بهم

افتتح رشيد رضا تفسيره للآية معرّضا بالمفسرين– تبعا للأستاذ الإمام – في قوله:" القصاصين وأصحاب الأوهام"، وهذا غمز للمفسرين وتعريض بهم في أمر يمكن أن يكون لهم فيه مخرج، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

1– عقوبة الطاعون: ذكر الطاعون وارد في عقاب الأمم السابقة، وهو مذكور في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن والحديث، ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث أسامة بن زيد عندما سئل عن الطاعون فقال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلهم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا، فرارا منه."[3]

فالحديث يصرح بأن الطاعون عذاب عذب به بنو إسرائيل، أو من كان قبلنا، ويرشد إلى أدب التصرف حين حدوثه. فالرواية موافقة للحديث من هذا الوجه.

---

[1] – الطبري، جامع البيان، ج5، ص 270.

[2] – أبو يعلى خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم **الخليلي**، معرفة علماء الحديث، تحقيق: د/ محمد سعيد إدريس، مكتبة الرشد– الرياض، ط1: 1409 هـ ، ج1، ص 396.

[3] – البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم3473، ج4، ص 175.

2- مءاقبتهم بالموت ثم إحياؤهم على وجه الإكرام لنبيهم

معاقبة الله لأولئك القوم بالموت ثم إحياؤهم كرامة ومعجزة لنبي من أنبيائه ممكن عقلا وشرعا. أما الإمكان العقلي فلأن الأمر متعلق بقدرة الله - جل وعلا – وهو على ما يشاء قادر، وأما الإمكان الشرعي فلأن الموت في الدنيا قبل استيفاء الأجل ثم إعادة الحياة مرة أخرى ثابت عن الله جل وعلا في مجموعة من الآيات، وهذه واحدة منها.

نقل الفخر الرازي عن الحسن قوله:" وأما بعض الناس فقد أماتهم ثلاث مرات نحو ما حكى في قوله: أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩ **[البقرة:259]** ، وكقوله :۞ أَلَمۡ إِلَىٰ تَرَ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣ **[البقرة:243]** ، وكقوله:" وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦ **[البقرة: 55-56]**، وكقوله: فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣ "[البقرة : 73] ، وكقوله:" وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ **[الكهف:21]** ، وكقوله في قصة أيوب - عليه السلام -: وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ

وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ **[الأنبياء:84]** ، فإن الله تعالى رد عليه أهله بعد ما أماتهم."[1]

فهذه ست آيات ثبت فيها عن الله – جلا وعلا – أنه أمات في الدنيا أناسا قبل استيفاء آجالهم ثم بعثهم أحياء. وكون ذلك الإحياء معجزة لنبي من أنبياء الله آكد وأثبت، فقد أكرم تعالى خليله إبراهيم – عليه السلام – بإحياء أربعة من الطير في قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ **[البقرة : 260]**.

3– خوض المفسرين في تفاصيل القصة: ما ذهب إليه بعض المفسرين من الخوض في تفاصيل القصة من حيث ذكر بلد القوم، وعددهم ونحو ذلك، هو خوض في مبهمات القرآن التي لا يتوقف عليها فهمنا له أو علمنا به، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه – كما قال المحققون –.

ولكن، إذا كان متقدمو المفسرين قد أكثروا من الخوض في تعيين المبهمات وتفصيل المجملات؛ فإن من جاء بعدهم استدرك عليهم في كثير مما قالوه. فهذا الإمام الشوكاني – رحمه الله – يقول: "فإن ترخص بالرواية عنهم لمثل ما روي (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) فليس ذلك فيما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه بلا شك، بل فيما يذكر عنهم من القصص الواقعة لهم" [2]، والمراد عدم حمل الرخصة في الحديث عن بني إسرائيل على الزج بتلك الروايات في تفسير القرآن الكريم.

وقد كان الأولى برشيد رضا – رحمه الله – أن يلتزم بما سطره عن شيخه في قوله: " فنحن نعذر المفسرين الذين حشوا كتب التفسير بالقصص التي لا يوثق بها لحسن قصدهم، ولكننا لا نعول على ذلك بل ننهى عنه، ونقف عند نصوص القرآن لا نتعداها، وإنما نوضحها بما يوافقها

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص 377- 378.

[2] – الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص 156.

إذا صحت روايته." [1] ذلك أن التماس العذر للمفسرين هو اللائق لا عكسه، فإن توسعهم في باب الإسرائيليات ورواياتها، لم يكن عن سوء نية أو فساد طوية، وإنما وقع ذلك منهم تحت دافع الشغف والفضول.

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 268.

خلاصة المبحث

يمكن تلخيص هذ المبحث فيما يأتي:

– اتخذ رشيد رضا – رحمه الله – موقفا حازما من الروايات الإسرائيلية، فلم يقحمها في تفسير كلام الله – جل وعلا –، وهو ما أضفى على تفسيره لونا من التميز تمثل في الابتعاد عن بعض الروايات التي كانت محل رفض من طرف الشرع، أو موقع استنكار من طرف العقل. لكن ذلك الموقف – من رشيد رضا – كان ملفتا في جانب آخر من جوانبه، حيث سوى فيه بين جميع أقسام الروايات الإسرائيلية، فلم يفرق بين ما وافق الشرع منها، وبين ما خالفه أو سكت عنه، وهو ما كان سببا فاعلا في ظهور عامل المبالغة والتعميم عند رشيد رضا في نقده للإسرائيليات.

– أما موقفه من حملتها وأعلامها فقد كان نتيجة حتمية لموقفه من رواياتها، حيث أدى به ما ذكر من المبالغة والتعميم إلى تجريح رواتها من مسلمي أهل الكتاب، ورميهم بالزندقة والغش والخداع، مبررا موقفه ذلك بعدة أمور. منها القول بانخداع الصحابة والتابعين، واغترار رجال الجرح والتعديل، وعدم اطلاع علماء المسلمين على مصادر أهل الكتاب من التوراة والإنجيل.

– ظهر من خلال تحليل ذلك الرأي ومناقشته أن تلك المبررات لم تكن مسوغا كافيا أو سببا موضوعيا لذلك الموقف الملفت من رشيد رضا في الروايا ت الإسرائيلية وأعلامها ، أما الإسرائيليات فلها أحكام ثلاثة– كما سلف–، و أما رواتها أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه فالكلمة في شأنهما لأهل الاختصاص من رجال الجرح والتعديل، وقد ثبت عن هؤلاء الحكم بعدالة أولئك الرواة وتزكيتهم، فلا التفات لقول من خالف ذلك أو اعتر ض عليه.

الفـصـل الثـانـي

محتويات الفصل

المبحث الأول: موقف رشيد رضا من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم.

المطلب الأول: منزلة مرسل الصحابي وموقوفه في تفسير المنار.

المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا في ذلك الرأي.

خاتمة المبحث.

المبحث الثاني: موقف المنار من أشراط الساعة.

المطلب الأول: الموقف العام لرشيد رضا من أشراط الساعة.

المطلب الثاني: دراسة نموذج: روايات المسيح الدجال.

خاتمة المبحث.

المبحث الثالث: موقف رشيد رضا من معجزات الأنبياء.

المطلب الأول: حجية المعجزة عند رشيد رضا.

المطلب الثاني: نموذج من رفضه لبعض معجزات النبي عليه السلام – قتال الملائكة يوم بدر –.

المطلب الثالث: نماذج من رفضه لمعجزات الأنبياء.

خاتمة المبحث.

تمهيد

لقد كان لموقف رشيد رضا من الإسرائيليات ورواتها أثر بارز في كثير من القضايا التفسيرية التي عالجها تفسير المنار، وذلك لارتباط التفسير وخاصة منه المأثور – بالرواية والحديث، ويتناول هذا المبحث مجموعة من تلك القضايا التي ظهر فيها ذلك الأثر بشكل واضح وملموس .

والحقيقة التي ينبغي التنبيه عليها أن كثيرا من تلك القضايا لم تكن الإسرائيليات هي السبب الفعلي لإثارتها في تفسير المنار، وإنما كانت تلك الشبهة مجرد ذريعة عند رشيد رضا لتبرير مواقفه من تلك القضايا، وهذا ما يسعى الفصل لإظهاره وبيانه.

ويحتوي هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

الأول: موقف رشيد رضا من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم.

الثاني: موقف المنار من أشراط الساعة.

الثالث: موقف رشيد رضا من معجزات الأنبياء.

المبحث الأول: موقف رشيد رضا من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم

يتطرق هذا المبحث إلى رأي رشيد رضا فيما يعرف بمراسيل الصحابة وموقوفاتهم، في محاولة لإبراز الأثر الذي تركه تجريح رواة أهل الكتاب عنده على كثير من مرويات الصحابة بحجة الأخذ عن من أسلم من أولئك الكتابيين أمثال كعب ووهب وابن جريج .

يتفرع المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: منزلة مرسل الصحابي و موقوفه في تفسير المنار.

المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا في ذلك الرأي.

المطلب الأول: منزلة مرسل الصحابي وموقوفه في تفسير المنار

الفرع الأول: حجية مرسل الصحابي وموقوفه عند المحدثين

أولا– مرسل الصحابي:" هو ما رواه ابن عباس وابن الزبير وشبههما من أحداث الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يسمعوه منه."[1]

فمرسل الصحابي في عرف المحدثين ما يرويه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سماع منه. وتقييده " بصغار الصحابة وأحداثهم" خرج مخرج الغالب، وإلا فإن رواية الصحابي الكبير فيما ثبت عنه أنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم إلا بواسطة هي من هذا القبيل. قال النووي في شرحه على صحيح مسلم :" مرسل الصحابي وهو روايته ما لم يدركه أو يحضره كقول عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة"[2]. فسواء كانت حجة الصحابي في الإرسال صغر سنه أو عدم تمكنه من الحضور، أو غير ذلك من الأسباب فإن تحديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة يسمى مرسل صحابي.

ومذهب المحدثين الاحتجاج بمرسل الصحابي، فهو عندهم بمنزلة الموصول المسند. قال الإمام ابن الصلاح – رحمه الله –:" ثم إنا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه، ما يسمى في أصول الفقه مرسل الصحابي مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1] – شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد **الطيبي**، الخلاصة في معرفة الحديث، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع– الرواد للإعلام والنشر، ط1: 1430 هـ –2009 م، ص74.

[2] – أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف **النووي**، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط2: 1392 هـ ، ج1، ص 30.

ولم يسمعوه منه، لأن ذلك في حكم الموصول المسند، لأن روايتهم عن الصحابة، والجهالة بالصحابي غير قادحة، لأن الصحابة كلهم عدول، والله أعلم".[1]

فالمحدثون يحكمون على مرسل الصحابي بالوصل والإسناد، لأن رواية الصحابي عن مثله لا تضر، لعموم عدالتهم – رضي الله عنهم أجمعين –.

ثانيا– موقوف الصحابي: " ما يروى عن الصحابة – رضي الله عنهم – من أقوالهم، أو أفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –". [2] فالموقوف ما كان منتهاه إلى الصحابي دون النبي – صلى الله عليه وسلم –.ومن موقوفات الصحابة ما يأخذ حكم الحديث المرفوع، وهو ما يضيفونه إلى زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – مما لا يؤخذ بالرأي والاجتهاد. قال الإمام شرف الدين الطيبي – رحمه الله –:" قول الصحابي كنا نفعل كذا، إن أضافه إلى زمن النبي – صلى الله عليه وسلم –، فالصحيح أنه مرفوع، وبه قطع الحاكم والجمهور، لأن الظاهر أنه – صلى الله عليه وسلم – اطلع عليه وقرره فإن لم يضفه إلى زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – فهو موقوف."[3]

هذا هو رأي المحدثين في مراسيل الصحابة وموقوفاتهم، فمرسل الصحابي عندهم في حكم المتصل المسند. وموقوفه له حكم الحديث المرفوع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا لم يكن فيه مجال للرأي والاجتهاد.

الفرع الثاني: تحفظ رشيد رضا على مراسيل الصحابة وموقوفاتهم

فيما يأتي مجموعة من أقوال رشيد رضا في المنار تبين موقفه من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم:

1– قال في ثنايا تعليقه على كلام ابن تيمية السابق: " وأنت ترى أيضا أنه لم يجزم بما روي عن الصحابة – رضي الله عنهم – من ذلك، وإنما قال: إن النفس إليه أسكن مما ينقل عن

[1] – أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف **بابن الصلاح**، معرفة أنواع علوم الحديث(المقدمة)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، ط1: (بدون تاريخ)، ص 131-132.

[2] – ابن الصلاح. المقدمة، ص 117.

[3] – الطيبي، الخلاصة في معرفة الحديث، ص 70.

التابعين؛ لأن احتمال سماعه من النبي – صلى الله عليه وسلم – أقوى من احتمال سماعه من بعض أهل الكتاب لقلة رواية الصحابة عنهم، وهذا ينقض قول من أطلق الحكم بأن ما قاله الصحابي الثقة مما لا يعرف بالاستدلال بل بالنقل له حكم الحديث المرفوع.

وقد علم أن بعض الصحابة رووا عن أهل الكتاب حتى عن كعب الأحبار.....ومن الصحابة من روى عن بعض التابعين الذين رووا عن أهل الكتاب، فالحق أن كل ما لا يعلم إلا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي أو المستقبل وأمثاله لا يقبل في إثباته إلا الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهذه قاعدة الإمام ابن جرير التي يصرح بها كثيرا".[1]

2- وقال في موضع آخر معلقا على الروايات الواردة في تحديد عمر الدنيا: " وما يدرينا أن كل تلك الروايات أو الموقوفة منها ترجع إليهما – أي إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه– فإن الصحابة – رضي الله عنهم – لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض ومن التابعين على سبيل الرواية والنقل، بل يذكرونه بالمناسبات من غير عزو غالبا، وكثير من التابعين كذلك، بل أكثر ما روي عن أبي هريرة من الأحاديث المرفوعة لم يسمعه منه – صلى الله عليه وسلم –، ولذلك روي عنه أكثره بالعنعنة أو بقوله: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وأقله بلفظ سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول كذا، وقد روى عن بعض الصحابة وعن بعض التابعين، وثبت أنه روى عن كعب الأحبار، ومن هنا نجزم بأن موقوفات الصحابة التي لا مجال فيها للاجتهاد والرأي لا يكون لها قوة المرفوع كما قال المحدثون إلا إذا كانت ليست من قبيل الإسرائيليات."[2]

3- وقال في موضع ثالث تعليقا على بعض الروايات الواردة في الفتن وأشراط الساعة:" إن بعض الصحابة والتابعين كانوا يروون عن كل مسلم، وما كل مسلم مؤمن صادق، وما كانوا يفرقون في الأداء بين ما سمعوه من النبي – صلى الله عليه وسلم – أو من غيره وما بلغهم عنهم بمثل: سمعت وحدثني وأخبرني، ومثل: عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال، أو قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، كما فعل المحدثون من بعد عند وضع مصطلح الحديث، وقد ثبت

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 10.

[2] – المصدر نفسه، ج9، ص 398.

أن الصحابة رضي الله عنهم كان يروي بعضهم عن بعض، وعن التابعين حتى عن كعب الأحبار وأمثاله."[1]

فالملاحظ عن رشيد رضا أن له رأيا خاصا في مراسيل الصحابة وموقوفاتهم، وأن هذه الرأي له ارتباط وثيق بموقفه من الإسرائيليات ورواتها، إذ أن مرسل الصحابي وموقوفه ليس حجة عنده لأن الصحابة – رضوان الله عليهم – كان يروي بعضهم عن بعض، كما كانوا يروون أيضا عن أهل الكتاب. وقد بدا هذا التحفظ من صاحب المنار واضحا في تعامله مع روايات أبي هريرة وابن عباس– على وجه الخصوص– لاحتمال أخذهم عن كعب ووهب وأمثالهما.

الفرع الثالث: دراسة نماذج من مرويات الصحابة المردودة بحجة الوقف أو الإرسال

كان لموقف رشيد رضا من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم أثر كبير في رد العديد من الأحاديث الثابتة وهذه نماذج منها :

أولا– حديث تمثل الشيطان في صورة سراقة بن مالك

يورد المفسرون هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ **[الأنفال: 48]**.

جاء في تفسير الطبري: (عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشيطان، معه رايته، في صورة رجل من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين:(لا غالب لكم اليوم من الناس إني جار لكم). فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع

[1] – المصدر نفسه ، ج9، 422.

إبليس يده فولى مدبرا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، تزعم أنك لنا جار؟ قال: (إ إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب)، وذلك حين رأى الملائكة).[1]

أما رشيد رضا فقد تأول ما ورد في الآية بالكامل [2]، وعقب على رواية ابن عباس الواردة في تمثل الشيطان بسراقة بقوله:" وأما علي بن أبي طلحة فروايته عنه أجود الروايات إلا أنهم أجمعوا على أنه لم يسمع منه، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير، ولا خلاف في كونهما من الثقات أئمة هذا الشأن، ولكن ابن عباس كان يوم بدر ابن خمس سنين فروايته لأخبارها منقطعة، ولا يبعد أن تكون من الإسرائيليات" [3] . وهكذا يرد رشيد رضا حديث تمثل الشيطان يوم بدر في صورة سراقة بحجة انقطاع الرواية عن ابن عباس.

ثانيا– حديث أبي هريرة الوارد في بعض مخالفات بني إسرائيل

يحكي الحديث مخالفة من مخالفات بني إسرائيل للرسل والأنبياء وهذا نصه عند البخاري:" حدثنا إسحاق، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" قيل لبني إسرائيل: ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ **[البقرة:58]**، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة."[4]

---

[1] – الطبري، جامع البيان، ج13، ص 7 . والحديث من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي من أصح الطرق عنه –كما سيأتي بيانه –، ورواه الطبراني في الكبير بلفظ قريب بسند فيه عبد العزيز بن عمران وضعفه الهيثمي بذلك السند= =ينظر: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان **الهيثمي**، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي– القاهرة، (بدون طبعة)، عام النشر: 1414هـ-1994م ، ج6، ص77.

[2] – ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، ج10، ص 26.

[3] – المصدر نفسه، ج10، ص 27.

[4] – البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب {وقولوا حطة} [البقرة:58]، رقم4641، ج6، ص 60.

هذه رواية البخاري بلفظها، وهي صريحة في تبديل بني إسرائيل للذي أمروا به قولا وفعلا، حيث قالوا "حبة في شعرة" بدل قولهم "حطة"، وبدلوا ما أمروا به من السجود بالزحف على أستاههم.

أما رشيد رضا فإنه يرى للآية تفسيرا غير ذلك، حيث ينحو بها منحى التأويل، فيصرف القول والفعل المطلوب من بني إسرائيل إلى باب التشبيه والتمثيل [1]، ويقول معلقا على روايات الصحيحين وغيرها :" ولا ثقة لنا بشيء مما روي في هذا التبديل من ألفاظ عبرانية ولا عربية، فكله من الإسرائيليات الوضعية، كما قاله الأستاذ الإمام هنالك، وإن خرج بعضه في الصحيح والسنن موقوفا ومرفوعا كحديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين وغيرهما....رواه البخاري من طريق همام بن منبه أخي وهب، وهما صاحبا الغرائب في الإسرائيليات، ولم يصرح أبو هريرة في سماع هذا من النبي – صلى الله عليه وسلم – فيحتمل أنه سمعه من كعب الأحبار إذ ثبت أنه روي عنه، وهذا مدرك عدم اعتماد الأستاذ رحمه الله تعالى على مثل هذا من الإسرائيليات، وإن صح سنده."[2]

فحديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين وغيرهما مشاب – عند رشيد رضا – بشبهة الأخذ عن كعب الأحبار، لأنه لم يصرح فيه بالسماع من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والمعنى أن أبا هريرة متهم هنا باحتمال أخذه لهذا الحديث عن كعب الأحبار ثم رفعه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – دون تصريح أو بيان !. وهكذا كان صاحب المنار كثير الالتفات إلى شبهة الرواية عن أهل الكتاب، مما أدى به إلى رد مجموعة من أحاديث الصحابة وتعليلها بالوقف أو الإرسال – ولو كان ذلك احتمالا غير مؤكد –، بل ولو كان الحديث المردود مرويا في أحد الصحيحين أو في كليهما.

[1] – ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 269.

[2] – المصدر نفسه، ج9، ص 315.

المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا في ذلك الرأي

الفرع الأول: مناقشة عدم الاحتجاج بمرسل الصحابي وموقوفه

أولا– مناقشته في رد مراسيل الصحابة

إن ما ذهب إليه رشيد رضا من رد لمراسيل الصحابة وعدم القول بحجيتها قد سبق إليه من وجه، وهو احتمال الرواية عن التابعين. قال ابن كثير:" وقد حكى بعضهم الإجماع على قبول مراسيل الصحابة وذكر ابن الأثير وغيره في ذلك خلافا. ويحكى هذا المذهب عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، لاحتمال تلقيهم عن بعض التابعين. وقد وقع رواية الأكابر عن الأصاغر، والآباء عن الأبناء."[1]

وهو مذهب أبي بكر الباقلاني – رحمه الله – ، " فقد صرح في التقريب بأن المرسل لا يقبل مطلقا حتى مراسيل الصحابة – رضي الله عنهم – لا لأجل الشك في عدالتهم، بل لأجل أنهم قد يروون عن التابعين. قال: إلا أن يخبر عن نفسه بأنه لا يروي إلا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أو عن صحابي فحينئذ يجب العمل بمرسله"[2] . ونسب هذا القول للشافعي أيضا، إلا أنه خلاف المشهور من مذهبه.[3]

فهؤلاء مجموعة من العلماء ذهبوا إلى القول بعدم قبول مراسيل الصحابة لاحتمال روايتهم عن التابعين، وقيد بعضهم قبوله بتصريح الصحابي بالاقتصار في رواياته عن – النبي صلى الله عليه وسلم– أو عن الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين –.

---

[1] – أبو الفداء عماد الدين بن عمر **بن كثير**، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر– بيروت، ط2: 1429 هـ-2008م، ص37.

[2] – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد **بن حجر** العسقلاني، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: د/ ربيع بن هادي عمير، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي– المملكة العربية السعودية، ط1: 1404هـ - 1984 م، مج2، ص547.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، مج2، ص 547.

لكن ما ذهب إليه هؤلاء العلماء – رحمهم الله – معترض عليه بأمور ذكرها ابن حجر في النكت فقال:

"وجوابه أن الظاهر فيما رووه أنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم أو من صحابي سمعه من النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وأما روايتهم عن التابعي فقليلة نادرة، فقد تتبعت وجمعت لقلتها.

قلت: وقد سردها شيخنا – رحمه الله – في النكت فأفاد وأجاد."[1]

فالظاهر من فعل الصحابة أنهم لا يرفعون الحديث إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –إلا إذا سمعوه منه أو من صحابي آخر، أما روايتهم عن التابعين فقد تمكن العلماء من جمعها وتقييدها لندرة ما جاء منها.

إذن فمذهب القائلين بعدم قبول مرسل الصحابي لاحتمال روايته عن التابعين مرجوح لما ذكر. وقبول مراسيل الصحابة – رضي الله عنهم – مطلقا هو الذي عليه أئمة الحديث.[2]

قال شفيق بن عبد الله شقير في تعقيب طويل: " ومن ذكر من المخالفين يكاد لا يذكر قولهم إلا للتنبيه على المخالفة لا لكونه معمولا به أو معتبرا، لا بل إن العمل به أمر محال، وذلك لتعذر التفريق بين المرسل والمرفوع من حديث الصحابي، إلا إذا صرح بذلك وهو أمر نادر، فالصحابة رضوان الله عنهم لم يكونوا يفرقون – كما ذكر الشيخ – بين مراتب الرواية وألفاظها، فقد يروون الحديث بالعنعنة وهو سماع.....لذلك نرى أنه رغم ذكر بعض من لم يحتج بمرسل الصحابي، فإنه لم يذكر عنهم أنهم ردوا خبرا واحدا بحجة أنه "مرسل صحابي"، لا بل كيف يفعلون ذلك والحال أنه لا يوجد طريقة للتمييز بين "مرسل صحابي" من المرفوع، اللهم إلا إذا أعملوا الظن والهوى، فردوا ما لا يتفق مع مذهبهم بحجة أنه مرسل."[3]

---

[1] – ابن حجر، النكت، مج2، ص 547.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، مج2، ص 548.

[3] – شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص248.

وعليه، فإن ما ذهب إليه رشيد رضا من القول بعدم قبول مراسيل الصحابة – وإن كان قد سبق إليه – هو قول مرجوح لا يعول عليه، "والمنهج العلمي يحتم علينا أن نقبل من الصحابة مراسيلهم، لأن أكثرها عن الصحابة أيضا. وحسن الظن بهم يقتضي أن نضع في الاعتبار تصريحهم بالرواية عن التابعين فيما تلقوه عنهم وما احتج به الشيخ رضا من ثبوت ذلك إنما هو دليل على بيان الصحابة لما يروونه عن التابعين. ولا يكون الظن بمن أفنى عمره في صيانة السنة وإشاعتها غير ذلك."[1]

وإذا كان أصحاب القول المرجوح قد اشترطوا في قبول مرسل الصحابي أن يصرح بعدم روايته إلا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أو عن صحابي مثله؛ فإن رشيد رضا قد تجاوز مذهبهم ذلك وزاد عليه وجها آخر، وهو عدم قبول مرسل الصحابي لاحتمال روايته عن صحابي غيره، "فقد ثبت – كما قال – أن الصحابة كان يروي بعضهم عن بعض "!.

وقد بنى ذلك الوجه على مذهبه الملفت في عدالة الصحابة —رضوان اللهم عليهم أجمعين–، حيث يرى أن قول العلماء السابقين بعموم عدالة الصحابة:" قاعدة أغلبية لا مطردة فقد كان في عهد النبي — صلى الله عليه وسلم — منافقون."[2]

ثانيا– مناقشته في رد الحديث الموقوف

أما تقييد قبول موقوف الصحابي الذي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، وعدم إلحاقه بحكم المرفوع سدا للذريعة فيما يروى من إسرائيليات؛ فإن رشيد رضا لم يكن أول المنبهين على هذا القيد بل سبقه إليه رجال الحديث.

قال الأمير الصنعاني – رحمه الله –:" ثم إن الآثار نوعان أحدهما: ما لا يقال من قبيل الرأي، فذكر أنه إذا كان للاجتهاد فيه وجه صحيح أو فاسد فموقوف، وإلا فمرفوع" [1] . ولا شك في أن ما يرويه الصحابة من إسرائيليات هو وجه من وجوه اجتهادهم – رضي الله عنهم–.

[1] – شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص248. بتصرف يسير.

[2] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص422. وينظر في تفصيل ذلك والرد عليه: شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص 240 وما بعدها.

وقال السيوطي في التدريب:" بل أكثر ما رواه الصحابة عن التابعين ليس أحاديث مرفوعة، بل إسرائيليات أو حكايات، أو موقوفات."[2]

وقد كان قيد الاحتراس من رفع ما يؤخذ عن أهل الكتاب واضحا عند المحدثين فيما يعرف "بتفسير الصحابي"– على وجه الخصوص –. جاء في النكت: " أطلق الحاكم القول عن البخاري ومسلم أن تفسير الصحابي – رضي الله عنه – الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند. والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي – رضي الله عنه – إذا كان مما لا مجال للاجتهاد فيه ولا منقولا عن لسان العرب فحكمه الرفع وإلا، فلا كالأخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء وعن الأمور الآتية:

كالملاحم والفتن والبعث....فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع."[3]

ثم أضاف:" وأما إذا فسر آية تتعلق بحكم شرعي فيحتمل أن يكون ذلك مستفادا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن القواعد، فلا يجزم برفعه وكذا إذا فسر مفردا فهذا نقل عن اللسان خاصة فلا يجزم برفعه" [4]. والمعنى أن إطلاق القول بالرفع في تفسير الصحابي غير صحيح. وإنما يحكم بالرفع في ذلك لما لم يكن فيه مجال للرأي والاجتهاد كالإخبار عن الأمور الماضية أو عما يستقبل منها. أما ما كان مجالا لبذل الجهد والاستنباط مما يتعلق بالأحكام الشرعية ولسان العرب ونحو ذلك فالحكم فيه أنه موقوف على الصحابي الذي رواه.

ولما كان ما يتعلق بأمور الغيب من أخبار الماضي والمستقبل، قد يكون للإسرائيليات فيه مدخل من وجه ما؛ فإن ابن حجر استدرك ذلك على ابن الصلاح وأضاف:" إلا إنه يستثنى من ذلك ما كان المفسر له من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – من عرف بالنظر في

---

[1] – ينظر: محمد بن إسماعيل الأمير الحسني **الصنعاني**، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية – المدينة المنورة، (بدون طبعة)، ج2، ص 262.

[2] – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي**، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة الفاريابي، دار طيبة، (بدون طبعة)، ج1 ، ص235 .

[3] – ابن حجر، النكت، مج2، ص 531.

[4] – المصدر نفسه، مج2، ص 532.

الإسرائيليات، كمسلمة أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وغيره، وكعبد الله بن عمرو ، الذي كان قد أصاب في وقعة اليرموك كتبا كثيرة لأهل الكتاب فكان يحدث بما فيها من الأمور المغيبة حتى كان بعض أصحابه ربما قال له: حدثنا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا تحدثنا عن الصحيفة. فمثل هذا مما يروى من تلك الأمور لا يكون له حكم الرفع، لقوة الاحتمال."[1]

جاء فيما أوردته استدراك من ابن الصلاح وابن حجر على الحاكم من جهة، كما ورد فيه من جهة أخرى تقييد ابن حجر لمذهب ابن الصلاح في تفسير الصحابي.وفي هذا من قوة الدلالة على بعد نظر المحدثين ما فيه، فإن الواحد منهم كان يستفيد ممن سبقه ويستدرك عليه، دونما غمط أو مجاملة، ضبطا لعلم الحديث وتقييده.

إلى هنا يمكننا القول بالتقاء رشيد رضا في موقفه من موقوف الصحابي وتفسيره برأي المحدثين. لكن ثمة فارق دقيق بين الموقفين. فإن ما اشترطه المحدثون من عدم الأخذ عن أهل الكتاب كان محاطا بقواعد مدروسة ولم يكن بابا للمجازفة والتخمين.

أما رشيد رضا؛ فقد أخذت شبهة الرواية عن أهل الكتاب من تفسيره كل مأخذ. فكان ما اعتقده حفظا للسنة واحتياطا للدين أشبه بالهاجس الذي انصب على كثير من روايات الحديث فحاول إبطالها والتشكيك في صدقها، دون التحاكم إلى قواعد الرواية والتحديث. ويمكن التدليل على هذا بمناقشة موقفه من الحديثين السابقين.

[1] – ابن حجر، النكت، مج2، ص 532-533.بتصرف يسير.

الفرع الثاني: مناقشته في رد الحديثين السابقين

أولا– حديث ابن عباس: " تمثل الشيطان في صورة سراقة "

كانت الرواية التي جاء الحديث من طريقها مرضية عند رشيد رضا – إلى حد ما – ؛ فهي رواية علي بن أبي طلحة التي يعدها نقاد الحديث من أصح الطرق عن ابن عباس، والتي قال فيها الإمام أحمد: "بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا" [1]. ومع ذلك؛ فإن تعلق رشيد رضا بشبهة الرواية عن بني إسرائيل جعله يعرض عن هذه الرواية باعتبارها من مراسيل ابن عباس التي يحتمل أخذه لها من الإسرائيليات.والجواب على هذا من وجهين:

الأول: أن تلك الحادثة وقعت يوم بدر، ومعركة بدر لا دخل لها في أحداث بني إسرائيل، فلا مسوغ لرواية ابن عباس لها عن أهل الكتاب.

الثاني: أن هذه الرواية مروية عن ابن عباس من طريق ابن جريج أيضا، والراوي لها هو حجاج بن محمد. [2] وقد ذكر الخليلي أشهر الطرق الواردة عن ابن عباس فقال في ذلك الطريق:" وروى الحجاج بن محمد، عن ابن جريج نحو جزء، وذلك صحيح، متفق عليه."[3]

ووجه الشاهد في هذا هو ثبوت رواية عبد الملك بن جريج لهذه الحادثة عن ابن عباس من طريق صحيح.ولو كان ابن عباس هو الآخذ عن بني إسرائيل – كما قال رشيد رضا –، ما كان ابن جريج – وهو أحد أعلام الإسرائيليات ورواة أهل الكتاب – ليرجع إليه في رواية هذه الحادثة.

[1] – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي**، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1: 1394 هـ - 1974 م، ج4، ص 237.

[2] – ينظر: الطبري، جامع البيان، ج13، ص 9.

[3] – الخليلي، الإرشاد، ج1، ص 392.

إذن؛ ما تعلق به رشيد رضا من شبهة الرواية عن بني إسرائيل قد ثبت عكسه، وهو رواية ابن جريج للواقعة عن ابن عباس. ومما يجدر التنبيه عليه، أن لرشيد رضا رأي خاص في المعجزات[1]،قد أدى به إلى رفض هذه الرواية وردها.

وجملة القول: أن تمثل الشيطان – يوم بدر – في صورة سراقة بن مالك ثابت من طريق صحيح.وأما ما تعلق به صاحب المنار تغليبا لشبهة الرواية عن بني إسرائيل، فقد ثبت خطؤه وعدم الاعتماد عليه.

ثانيا– حديث أبي هريرة : " حبة في شعيرة "

حديث أبي هريرة هذا مروي في الصحيحين، ومع ذلك فإن صاحب المنار لم يكن لديه أي إشكال في رده والاعتراض عليه، معلنا في تفسيره لسورة (الأعراف) عن قولته الجريئة: " لا ثقة لنا مما روي في هذا التبديل من ألفاظ عبرانية ولا عربية"**!**، ومفصحا – قبل ذلك – في (سورة البقرة) عن قوله: " إن ما اختاره الجلال مروي في الصحيح، ولكنه لا يخلو من علة إسرائيلية" **!!**. هكذا وبكل بساطة يرد رشيد رضا حديث الصحيحين دونما مراعاة لعواقب ذلك ومآلاته. ومن أجل مناقشته في هذا فإنني سأحصر ذلك في نقطتين:

الأولى: بيان مكانة الصحيحين وما استدرك به عليهما عند المحدثين.

والثانية: بيان فساد وجه التأويل الذي لجأ رشيد رضا إليه صرفا للحديث.

مكانة الصحيحين وما استدرك به العلماء عليهما

إن الأمر في هذا المقام يتطلب منا أن نعرف للصحيحين قدرهما ومكانتهما عند العلماء. لكنني لن أطيل الحديث عن هذا، فإنه مما عم شأنه واستفاض أمره بين الخاص والعام.

[1] – يمكن معرفة ذلك من خلال مواضع كثيرة من تفسيره. انظر مثلا: ج1، ص 315، وج11، ص 128. وسيأتي الحديث عن ذلك –إن شاء الله– بتفصيل أكثر.

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: " اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول."[1]

ومن الأمور الهامة التي يحسن التنبيه عليها أن جهود المحدثين لم تقف عند الإشادة بما في الصحيحين، بل تعدت ذلك إلى فن النقد والاستدراك، وفي ذلك يقول النووي:" قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلاّ بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه....وقد ألف الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في بيان ذلك كتابه المسمى بالاستدراكات والتتبع وذلك في مائتي حديث مما في الكتابين، ولأبي مسعود الدمشقي عليهما أيضا استدراك ولأبي علي الغساني الجياني في كتابه تقييد المهمل في جزء العلل منه استدراك أكثره على الرواة عنهما وفيه ما يلزمهما وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره وستراه في مواضعه إن شاء الله "[2].

كان هذا بيانا من النووي لما استدرك به العلماء على صحيح البخاري ومسلم، وقد أجاب عنه في شرحه، كما أجاب عنه آخرون غيره. قال ابن حجر:" والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول: لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على غيرهما في معرفة الصحيح والمعلل....فإذا عرف وتقدر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له، أو ما كانت له علة لكنها غير مؤثرة عندهما، فإن ما انتقد عليهما يكون معارضا بتقديم تصحيحهما على قول غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة."[3]

ثم تتبع ابن حجر تلك الأحاديث وأجاب عنها واحدا واحدا وقال: " هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد، المطلعون على خفايا الطرق....وليست كلها قادحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف كما شرحته مجملا في أول الفصل وأوضحته مبينا أثر كل حديث منها."[4]

---

[1] – النووي، شرح صحيح مسلم، ج1، ص 14.

[2] – المصدر نفسه ،ج1، ص 27.

[3] – ابن حجر، فتح الباري،ج1، ص6 34-347. بتصرف.

[4] – المصدر نفسه، ج1، ص383.

فالعلل التي استدرك بها على الصحيحين لا تصل كلها إلى مستوى القدح، بل أكثر ذلك قد أجاب عنه العلماء، وبعضه محتمل الجواب، وقليل منه متعذر. ولذلك قال ابن الصلاح أن:" ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته، لتلقي الأمة لما في كتابيهما بالقبول سوى أحرف يسيرة هي معروفة عند أهل هذا الشأن" [1] . ويحتمل أن يكون مراد ابن الصلاح قلة تلك الروايات المنتقدة مقارنة بما لا انتقاد عليه.

وقد قام محقق المقدمة "ماهر الفحل" بتلخيص ما أورده القدامى من انتقادات على الصحيحين في فروع أربعة :

- الزيادة في بعض الروايات، من قبيل "زيادة الثقة" التي لا تنافي رواية الأحفظ والأكثر.

- رواية التابعي لحديث عن صحابي معين، ثم التحديث بالرواية نفسها عن ذلك الصحابي لكن بواسطة، فالعلة المتوهمة مندفعة بكون ذلك التابعي قد سمع ذلك الحديث بعينه من ذلك الصحابي مباشرة ثم سمعه عنه بواسطة، وهكذا الأمر فيمن بعدهم.

- إشارة صاحب الصحيح إلى علة الحديث، ترجيحا له من طريق آخر.

- ما يكون مدارا للاجتهاد، فتقدم صحته على العلة المرجوحة.[2]

وبهذا نستطيع القول - بكل اطمئنان - أن تلقي الأمة بالقبول لما في الصحيحين لم يكن مبنيا على المجازفة والتقليد، بل لم يكن فيه مكان للمجاملة أو التعاطف، وخير دليل على ذلك ما استدرك به الدار قطني عليهما في أكثر * من مائتي حديث. وقد ثبت - بما لا يبقي مجالا للشك- أن ذلك جله مجاب عنه وقليل منه صحيح الورود.

---

[1] - ابن الصلاح، المقدمة، ج1، ص 97.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 97، هامش رقم6.

* - ذكر ماهر الفحل في تعليقه على مقدمة ابن الصلاح أنها مائتين وثمانية عشر(218) حديثا. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص97، هامش رقم6.

ومهما يكن، فإن نقدا كهذا يؤكد أن لأمة "السند والرواية" قدرا معتبرا من النقد النزيه، والاستدراك الوجيه الذي يتعالى بنفسه، لا لصحته – فقد يخطئ المجتهد الصواب – ولكن لكونه نابعا عن أهل الاختصاص من "النقاد العارفين بعلل الأسانيد، المطلعين على خفايا الطرق ودقائقها." وفي الوقت ذاته، هو رد صارخ لكل من يعتقد أن تلقي الأمة لما في الصحيحين بالقبول لم يكن مبنيا على ما يكفي من ضوابط وحدود.

بيان فساد وجه التأويل الذي لجأ إليه رشيد رضا صرفا للحديث

من العجب أن يكون الأخذ بحديث الصحيحين – عند صاحبي المنار– ضربا من الوقوف على الظواهر، "وترجيحا للفظ على المعنى، والصورة على الروح". والأعجب منه أن يأخذ صاحب المنار برأي أستاذه وأن ينحو منحاه في التأويل بقوله:" وأما صورة السجود من وضع الجباه على الأرض فلا يصح أن تكون مراده؛ لأنها سكون والدخول حركة وهما لا يجتمعان، والمراد بالحطة الدعاء بأن تحط عنهم خطايا التقصير وكفر النعم، وتبديل القول بغيره عبارة عن المخالفة."[1]

ثم يضيف:" وليس المعنى أنهم أمروا بحركة يأتونها، وكلمة يقولونها، وتعبدوا بذلك، وجعل سببا لغفران الخطايا عنهم...وأي شيء أسهل على المكلف من الكلام، يحرك به لسانه، وقد اخترع أهل الأديان من ذلك ما لم يكلفوا قوله لسهولة القول على ألسنتهم، فكيف يقال أمر هؤلاء بكلمة يقولونها فعصوا بتركها؟ إنما يعصي العاصي إذا كلف ما يثقل على نفسه، ويحملها على غير ما اعتادت، وأشق التكاليف حمل العقول على أن تفكر في غير ما عرفت، وحث النفوس على أن تتكيف بغير ما تكيفت."[2]

قال ابن كثير عند تفسيره للآية: " وحاصل ما ذكره المفسرون ودل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا زحفا على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رءوسهم وأمروا أن يقولوا حطة أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا، فاستهزءوا

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص 269.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص 269.

فقالوا حنطة في شعيرة." [1] هذا ما يراه المفسرون في تفسير هذه الآية مما هو موافق للحديث الصحيح.

لكن رشيد رضا يجعل القصة كلها تمثيلا، فيفسر "السجود" بالخضوع "وتبديل القول" بالمخالفة على وجه العموم استبعادا للمعنى الظاهر من الآية والمؤيد بحديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما.

قال الله تعالى في شأن الصلاة: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ **[البقرة: 45]**.

فكيف يصرف صاحب المنار ظاهر النص المؤيد بحديث الصحيح، وكيف يستصغره بقوله:" وأي شيء أسهل على المكلف من الكلام؟". أو ليست الصلاة – في ظاهرها – مجموعة من الحركات والقراءات والكلمات التي ينقاد القلب والوجدان بالامتثال لشروطها وواجباتها؟ ومع ذلك فقد تعبدنا بها واعتبرها فارضها جل وعلا أنها"كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ".

وكيف يعرض رشيد رضا مرة أخرى عن هذا القياس الجلي إلى تأويل بعيد لا يسنده شيء سوى شبهة الرواية عن بني إسرائيل التي كثيرا ما تذرع بها لرد ما صح عن الصحابة من موقوفات ومراسيل؟

وبعد هذا كله، يمكن أن نقول أن رفض الاحتجاج بمراسيل الصحابة وموقوفاتهم قد أدى برشيد رضا إلى رد مجموعة من الأحاديث النبوية الثابتة، وقد كان ذلك كله نتيجة لاعتباره المفرط لشبهة الرواية الإسرائيلية. و"الحقيقة أن الشيخ لا يتحصن بهذا الموقف إلا عند ورود ما لا يتفق مع مذهبه من أحاديث يعتبرها من الإسرائيليات والغرائب. لا بل لم يذكر هذا الموقف إلا في سياق طعنه فيما استغربه من متون. وعلى هذا الأساس ردّ عدة أحاديث."[2]

[1] –ابن كثير، تفسير القرآن ، ج1، ص 177.

[2] – شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص249.

خلاصة المبحث

خلص المبحث إلى النقاط التالية:

– مرسل الصحابي: هو ما يرفعه الصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون سماع منه لأي سبب من الأسباب، وإرسال الصحابة له أسباب عدة أهمها صغر الصحابي أو تأخر إسلامه.

– أما الموقوف: فهو ما يرويه الصحابي دون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومرسل الصحابي حجة عند المحدثين، وكذا موقوفه بشرطين: أولهما أن يكون ما أوقفه مما لا مجال للرأي فيه والاجتهاد، ثانيها ألا يكون ذلك الصحابي معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب، والحكم في هذا للقرائن والأحوال المصاحبة لراوية الحديث.

– عرف رشيد رضا بتحفظه على المرسل والموقوف من مرويات الصحابة، وهوما أدى إلى رد كثير من الروايات بشبهة الرواية عن بني إسرائيل. وتعتبر مرويات أبي هريرة وابن عباس من أكثر الأحاديث المشبوهة في تفسير المنار، لكن الدراسة الوافية للمبررات التي أقام عليها رشيد رضا ذلك الرأي تبرز أنه مجانب للأسس السليمة التي بنى عليها نقد الرواية والحديث .

– لم تكن منزلة الصحيحين كافية عند رشيد رضا لإبعاد تلك الشبهة عنهما، ولذلك فقد كان لرواياتها نصيب من رد مراسيل الصحابة وموقوفاتهم .

المبحث الثاني: موقف المنار من أشراط الساعة

يتناول المبحث مجموعة من النقاط التي تبرز موقف رشيد رضا من الروايات الواردة في أشراط الساعة، ويعالج الإشكالات التي وردت في المنار على تلك الروايات، في محاولة لإبراز الأسس التي قامت عليها والوقوف بشكل واضح على مدى مصداقية التبرير والتذرع بالرواية عن أهل الكتاب – بشكل خاص – .

يتضمن المبحث مطلبين:

المطلب الأول: الموقف العام لرشيد رضا من أشراط الساعة.

المطلب الثاني: دراسة نموذج – روايات المسيح الدجال–.

المطلب الأول: الموقف العام لرشيد رضا من أشراط الساعة

الفرع الأول: أشراط الساعة عند العلماء

أولا– تعريفها وأقسامها

يقصد بأشراط الساعة علاماتها، وهي العلامات الدالة على قربها ومجيئها . قال النووي: "وأشراط الساعة علاماتها " [1]. وقال ابن حجر: " المراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة "[2] .

وأشراط الساعة أقسام عدة حسب تنوع اعتباراتها، فهي بالنظر إلى ظهور تلك الأشراط وانقضائها ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى، وقسم ظهر بعضه وهو في ازدياد، وقسم لم يظهر بعد لكنه سيقع حتما كما أخبرت به النصوص الشرعية . قال شمس الدين السفاريني – رحمه الله: " ثم أعلم أن أشراط الساعة وأمارتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة، وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة، وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلك"[3].وهي باعتبار هولها وقربها من الساعة قسمان:

أشراط صغرى: وهي التي تتقدم أشراط الساعة بأزمان كقبض العلم وظهور الجهل والتطاول في البنيان، وغير ذلك من العلامات الدالة في الغالب على ركون الناس إلى الدنيا وملذاتها .

أشراط كبرى: وهي العلامات العظيمة التي يعقبها قيام الساعة بزمن يسير، كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى – عليه السلام – وخروج يأجوج ومأجوج، ويضيف

---

[1]– النووي، شرح صحيح مسلم، ج 16، ص 221.

[2]– ابن حجر، فتح الباري ، ج 13، ص 79 .

[3]– أبو العوف شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم **السفاريني**، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها– دمشق، ط2 : 1402 هـ – 1982 م، ج2، ص 66.

بعضهم خروج الدابة وظهور الدخان، وهي أقسام متداخلة في بعضها، والتقسيم الأخير منها هو المتبع في دراسة تلك الأشراط عند كثير من العلماء والباحثين .[1]

ثانيا– الأدلة على ثبوتها

الأدلة على أشراط الساعة كثيرة ومستفيضة سواء منها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. أذكر من الآيات :

– قوله تعالى: فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ " **[محمد: 18]** .

– وقوله تعالى: هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾**[الأنعام:158]**.

قال ابن كثير عند الآية الأولى:" أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها " [2]. وقال في الثانية :"فقد جاء أشراطها أي أمارات اقترابها " [3].

أما الأحاديث فهي لا تكاد تحصى لكثرتها، أذكر منها :

– ما رواه البخاري: " عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم و يثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا "[4]

---

[1]– ينظر في تقسيماتها : عبد الله بن سليمان **الغفيلي** ، أشراط الساعة ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط 1 : 1422هـ ، ص 41 .

[2]– ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج 3 ، ص 333-334 .

[3]– المصدر نفسه، ج 3 ، ص 291 .

[4]– البخاري الصحيح ، كتاب العلم ، باب رفع العلم وظهور الجهل، رقم80 ، ج 1 ، ص 27 .

– وما رواه مسلم: " عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة، قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر – الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"[1].

والإيمان بأشراط الساعة جزء من عقيدة المسلمين كما تنص على ذلك كتب العقائد .

جاء في العقيدة الطحاوية: "ونؤمن بأشراط الساعة، من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها"[2].

وتظهر الحكمة من إعلام الناس بأشراط الساعة فيما نص عليه الإمام القرطبي بقوله: "قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها، تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يتباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها ".[3]

وهكذا فإن أشراط الساعة حقيقة ثابتة بنصوص الشرع ودلائله، والإيمان بها واجب، وهو جزء من عقيدة المسلمين عند علماء الأمة وأئمتها .

[1]– مسلم ، الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تقوم قبل الساعة ،رقم2901، ج4، ص 2225.

[2]– صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد **ابن أبي العز** ، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبد الله بن المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط1 : 1417هـ – 1997م، ج2، ص 754 .

[3]– أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر **القرطبي**، التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، تحقيق ودراسة: د.الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج _الرياض، ط1: 1425هـ، ص1217.

الفرع الثاني: أشراط الساعة عند رشيد رضا وما يستشكله عليها

تعتبر أشراط الساعة وأماراتها أحد المباحث الأساسية التي كان لرشيد رضا موقف ملفت من رواياتها. وهذا استعراض لرأيه فيما جاء فيها:

يقرر رشيد رضا – على وجه الجملة – بأن للساعة أشراطا وأمارات أعظمها بعثة خاتم النبيين فيقول: "إن للساعة أشراطا تثبت في الكتاب والسنة، قال تعالى: فهل ينظرون إلا الساعة أن تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم (18:47) الأشراط جمع شرط .... وهي العلامات الدالة على قربها وأعظمها بعثة خاتم النبيين بآخر هداية الوحي للناس أجمعين"[1]. ثم يضيف: "وقد ورد أن نبينا – صلى الله عليه وسلم – نبي الساعة وتقدم حديث الصحيين بعثت أنا والساعة كهاتين، وقد وردت أحاديث أخرى في أشراط الساعة يدل بعضها على أن الشهوات المادية تتنازع مع الهداية الروحية، فيكون لها الغلب زمنا ثم تنتصر الهداية الروحية زمنا قصيرا، ثم يغلب الضلال والفجور والكفر، حتى تقوم الساعة على شرار الخلق " [2].

فالشيخ رشيد رضا – رحمه الله – يقر بأن الساعة أشراطا ثابتة بالكتاب والسنة، لكنه سرعان ما يتبع ذلك الإقرار بما يضعفه أو يبطله فيقول: " ولكن في هذه الأحاديث اختلافا وتعارضا، وما ينافي حكمة الله تعالى في إخفائها، وعدم اطلاع الخلق على وقتها". [3]وقد عقد في تفسيره عنوانا اسماه: "نظرة في أشراط الساعة وتقاسيمها ومشكلاتها " قال فيه: "اعلم أيها المسلم الذي ينبغي أن يكون على بصيرة من دينه أن في روايات الفتن وأشراط الساعة من المشكلات والتعارض ما ينبغي لك أن تعرفه ولو إجمالا حتى لا تكون مقلدا لمن يظنون أن كل ما يعتمده أصحاب النقل حق "[4].

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، 98 ، ص 403 .

[2]- المصدر نفسه، ج 9، ص 404 .

[3]- المصدر نفسه، ج 9، ص 404 .

[4]- المصدر نفسه، ج9، ص 407 .

ثم أورد تقسيمات العلماء لها، وعقب عليها بقوله: " ويرد من الإشكال على ما ذكر أن ما ورد من الأشراط الصغرى المعتاد مثلها التي تقع عادة بالتدرج لا يذكر بقيام الساعة، ولا تقع به الفائدة التي من أجلها أخبر الشارع بقرب قيام الساعة، وأن ما ورد من الأشراط الكبرى الخارقة للعادة يضع العالم به في مأمن قيام الساعة قبل وقوعها كلها، فهو مانع من حصول تلك الفائدة".[1]

ومن هنا يمكننا تلخيص موقف رشيد رضا من أشراط الساعة في نقطتين :

الأولى: الإقرار بوجود أشراط للساعة – على وجه الجملة – أعظمها بعثة خاتم النبيين – عليه السلام .

الثانية: استشكال الروايات الواردة في شأنها لأمور عدة منها:

- ادعاء الاختلاف والتعارض بينها .

- عدم حصول الفائدة المرجوة من الأشراط الصغرى لوقوعها بالتدريج مع تكررها، مما يجعلها معتادة للناس .

- الأشراط الكبرى للساعة تجعل العالم بها في مأمن من قيام الساعة ومجيئها، فهو في انتظار لظهور كبرى الأشراط والأمارات.

والحقيقة التي يمكن الوقوف عليها من خلال هذه الإشكالات أن الشيخ رشيد رضا لم يكن له: "بد من إثبات أشراط للساعة – جملة – لورود ذلك في القرآن الكريم، وبناء عليه أثبتها فقال: "إن للساعة أشراطا ...."، والحق أنه لم يثبت الشيخ رشيد من علامات الساعة إلا بعثة النبي

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج9 ، ص 407 .

صلى الله عليه وسلم، وأما ما سوى ذلك من العلامات الصغرى والكبرى فلم يكن لها قبول عند الشيخ رشيد " .[1]

وكعادة صاحب المنار وكما هو شأنه ؛ فإن شبهة الرواية عن بني إسرائيل أحد الأسباب المقنعة عنده لرد ما صح من الرواية والحديث، إذ أن" أبا هريرة رضي الله عنه لم يصرح في هذه الأحاديث بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الأحبار وأمثاله فتكون مرسلة " [2]. هكذا يقول !! وله في ذلك أقوال أخر ستأتي معنا فيما بعد.

الفرع الثالث: ما يرد به على تلك الإشكالات

إن كتب السنن والحديث ملئ بروايات الساعة وأشراطها، وقد تصدى شراح الحديث لإزالة ما يتوهم من تعارض بين تلك الروايات، فأثبتوا الصحيح منها، وردوا الباطل، وأجابوا عما يستشكل من طرقها. ولو كان ذلك التعارض المزعوم بين تلك الروايات يوجب تساقطها وعدم الاعتقاد بما فيها لما جعل علماء العقيدة الإيمان بأشراط الساعة من الواجبات. قال الإمام ابن قدامة – رحمه الله –: ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه ... ومن ذلك أشراط الساعة ". [3]

ذاك جواب الإشكال الأول، أما الإشكالان الأخيران فأجيب عنهما بما أورده تامر متولي فيهما، حيث أجاب عن الأول منهما بقوله: " إن ما استشكله الشيخ رشيد غير مشكل، لأن ما أورده في الأشراط الصغرى من كونها أمورا صارت معتادة لا تذكر بالآخرة، وهو الحكمة من تقديم الأشراط. ليس صحيحا على إطلاقه هذا، فإن من الناس من يوفقه الله تعالى للاعتبار، فإذا رأى من أشراط الساعة شيئا مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم تنبه من غفلته وقام من رقدته، وأصلح من شأنه، لا يألو جهدا في التوبة ولا يتوانى في الحوبة، كالمريض إذا ظهر له قرب أجله فإنه

[1]– متولي ، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، ص 837-838 .

[2]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج8 ، ص187

[3]– أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد **بن قدامة** المقدسي ، لمعة الاعتقاد ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط2: 1420هـ-2000م ، ص 28-29 .

يسارع في الإحسان، وينظر لنفسه وورثته وأصحاب الحقوق عنده، وينقطع عن الدنيا إلى الآخرة، ومنهم من طبع الله على قلبه وتمكنت منه الغفلة فهو على حد قوله تعالى:" وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ **[هود: 34]**[1].

ثم أضاف مجيبا عن الإشكال الثاني: " وأما الأشراط الكبرى فإن ما استشكله فيها يجاب عليه من وجوه:

أحدها: أن يقال فيه ما قيل في سابقه من اختلاف في الناس وأصنافهم، فمنهم حي القلب المنتفع بما ينصح به، ومنهم الغافل المطبوع على قلبه، المعرض عن موعظة ربه .

ثانيها: أن الأخبار قد وردت عن الله ورسوله بمجيء الساعة بغتة مع وجود أشراطها وعلاماتها، فالعلم بتلك الأشراط لا يورث العلم بزمن وقوعها تحديدا . وعليه فإن ما خاف منه الشيخ رشيد غير مخيف "[2].

يضاف إلى ذلك كله، أن الأشراط في حد ذاتها ابتلاء من الله لعباده وامتحان منه جل وعلا، لينظر كل فاعل ما هو فاعله، وليتميز المصدق المستسلم لله وما جاء عنه، من المماري المكذب لما لا يستسيغه فكره أو يحتمله عقله، والله الهادي إلى الصواب. أما جعل الرواية عن بني إسرائيل وما تسرب منها إلى أفكار المسلمين أحد المبررات لتلك الاستشكالات، فسوف يأتي الحديث عنه في مواضعه – إن شاء الله .

[1]- متولي، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، ص838- 839.

[2]- المصدر نفسه، ص839 . بتصرف.

المطلب الثاني: دراسة نموذج –روايات المسيح الدجال–

الفرع الأول: إشكالات المنار على روايات المسيح الدجال

الدجال واحد من أشراط الساعة الكبرى التي ينبيء ظهورها عن اقتراب وشيك لظهور الساعة وقيامتها. وقد دلت الأحاديث النبوية الصحيحة على هذه الحقيقة وأكدت عليها، روى البخاري :" أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول فيه قولا لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور " .[1]

وهو واحد من تلك الأشراط التي عقد العلماء وجوب الإيمان بها والتصديق بحقيقتها –كما مر معنا آنفا–.

الإشكالات العامة

كان رشيد رضا – رحمه الله – على خلاف ما ذكر، فقد اعترض على مسألة المسيح الدجال بمجموعة من الإشكالات فقال: " إن أحاديث الدجال مشكلة من وجوه:

أحدها: ما ذكرناه آنفا من منافاتها لحكمة إنذار القرآن الناس بقرب قيام الساعة وإتيانها بغتة .

ثانيها: ما ذكر فيها من الخوارق التي تضاهي آيات الرسل أو تفوقها، وتعد شبهة عليها.

ثالثها: مخالفة ما عزي إليه من الخوارق لسنن الله تعالى في خلقه .

رابعها: اشتمال بعض تلك الراويات على مخالفة بعض القطعيات الأخرى من الدين كتخلف أخبار الرسل أو كونها عبثا وإقرارهم على الباطل وهو محال في حقهم .

خامسها: أنها متعارضة تعارضا كثيرا يوجب تساقطها ."[2]

وقبل التطرق لما ذكره من صور ذلك التعارض، فإني سأعرج على مسألتين لهما اتصال وثيق بأحاديث الدجال:

---

[1]– البخاري ، الصحيح ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، رقم7127، ج 9 ، ص 60.

[2]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص408 409. بتصرف .

الأولى – مسألة ابن صياد

ابن صياد رجل يهودي كان يساكن الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكان يشبه الدجال في بعض صفاته، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرقبه ويحذر منه، تخوفا على أمته أن يكون هو المسيح الدجال الموعود به.

جاء في الصحيح عن عبد الله بن عمر: " أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة [1]، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره بيده، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد: أتشهد أني رسول الله . فنظر إليه ابن صياد، فقال أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشهد أني رسول الله ؟ فرفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: آمنت بالله وبرسله . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ماذا ترى ؟ " قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :" خلط عليك الأمر "، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إني قد خبأت لك خبيئا " فقال ابن صياد: هو الدخ[2]، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ": اخسأ فلن تعدو قدرك " فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله "[3] .

الثانية – قصة الجساسة

وهي رواية رواها مسلم وغيره عن فاطمة بنت قيس وملخصها –كما أوردها مسلم – أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الناس ليحدثهم بقصة الجساسة فقال:" أتدرون لم جمعتكم ؟ " قالوا الله ورسوله أعلم، قال :" إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح

[1]– الأطم:"البناء المرتفع ويطلق على الحصن، وجمعه آطام". وأطم بني مغالة حصنها. أبو محمد عبد الله بن مسلم **بن قتيبة**، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مكتبة العاني– بيروت، ط1: 1397هـ، ج2، ص286. بتصرف يسير.

[2]– الدخ: هو الدخان. ينظر في المراد به : النووي، شرح صحيح مسلم، ج18، ص48-49.

[3]– مسلم ، الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد ، رقم2930، ج4 ، ص 2244.

الدجال "، وتتمتها أن تميما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ركب سفينة بحرية فيها دابة أهلب[1] كثيرة الشعر، ثم قادتهم إلى دير [2] فيه رجل " هو أعظم إنسان رئى قط، وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد "، فدار بينهم وبينه حوار ثم قال :" إني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع أرضا إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة – أو واحدا – منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعن بمخصرته [3] في المنبر:"هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة " – يعني المدينة – " ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ " فقال الناس: نعم . "فإنني أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا أنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق، ما هو " قالت: فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم " .[4]

ومن أبرز وجوه الإشكال في هذه المسائل الثلاث هو كيفية الجمع بين ما ورد فيها من صحيح الروايات، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة كثيرة [5]، سوف يأتي معنا بعض منها – إن شاء الله. وقد أورد رشيد رضا صورا كثيرة من ذلك التعارض أذكر أهمها :

[1]– دابة أهلب: "الأهلب غليظ الشعر كثيره". النووي، شرح صحيح مسلم، ج18، ص81.

[2]– الدير:"مبنى معد لسكنى الرهبان والراهبات النصارى، وهو مفرد جمعه أديار وأديرة وديورة". د/أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1: 1429هـ، 2008م، ج1، ص794. بتصرف.

[3]– المخصرة:"ما أمسكه الإنسان من عصا أو عكازة ونحوها". أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله **الهروي**، غريب الحديث، تحقيق: د/محمد عبد المعيد خان، مطبعة دار المعارف العثمانية–الدكن، ط 1: 1384هـ، 1964م، ج 1، ص308. بتصرف.

[4]– مسلم ، الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قصة الجساسة ، رقم2942، ج4 ، ص 2262 .

[5]– ينظر : النووي ، شرح صحيح مسلم ، كج 18، ص 46-49، وينظر أيضا : ابن حجر ، فتح الباري ، ج 13، ص 325 -329 .

1- تصريح بعض الروايات باحتمال ظهور الدجال في زمنه النبي- عليه السلام-.
2- شكه صلى الله عليه وسلم في ابن صياد هل هو الدجال أم لا ؟ لا سيما ما كان من حلف عمر – رضي الله عنه – على ذلك بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم إنكاره.
3- اختلاف الروايات الواردة بشأنه في تحديد مكان خروجه [1].

وخص تفسير المنار حديث الجساسة بمجموعة من الاعتراضات منها:
1- عدم تواتر الحديث مع كونه من الأحاديث التي تتوافر الدواعي على نقلها بالتواتر، وانحصار رواياته في الشعبي وفاطمة بنت قيس.
2- تردد الرسول صلى الله عليه وسلم في مكان الدجال، مما ينافي أن يكون ما قاله في شأنه عن وحي من الله تعالى.
3- نفي النبي صلى الله عليه وسلم لبعض قول تميم (وهو قوله بوجود الدجال في بحر الشام أو اليمن)، يبطل الثقة به كله (وفي هذا تجريح لتميم الداري – رضي الله عنه –).
4- على فرض تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لتميم، فهل كان صلى الله عليه وسلم معصوما من تصديق كل كاذب في خبر، فيعد تصديقه لحكاية تميم دليلا على صدقه فيها ؟ ويعد ما يرد عليها من إشكال واردا على حديث له حكم المرفوع، وفي معناه إقراره – صلى الله عليه وسلم – لعمر على حلفه بأن ابن صياد هو الدجال كما تقدم [2].

والحقيقة أن تلك الإشكالات في معظمها قد طرحت قبل من قبل المحدثين فنوقشت وأجيب عنها، لكن تبقى الإشكالات الأربع الأخيرة محل سبق للشيخ رشيد رضا. فلا نعلم أحدا ممن يعتد بعلمهم قد استشكل روايات الدجال بها، خصوصا ما تعلق من ذلك بمسألة العصمة والوحي وتجريح تميم الداري الصحابي الجليل.

وربطا للمقدمات بنتائجها والأسباب بمسبباتها، فإن تلك الإشكالات لم تكن وحدها دافعا لرد روايات صحيحة أوردها رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ

[1]- رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 9 ، ص 9 .بتصرف يسير.
[2]- المصدر نفسه ، ج 9 ، ص 410 – 414 .بتصرف يسير.

مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ **[الأعراف:187]**، وإنما هي استجابة منه لشبهتين ردت بهما كثير من روايات الصحاح في تفسير المنار أولاهما: شبهة الرواية بالمعنى، والأخرى: شبهة الرواية عن أهل الكتاب.

قال – رحمه الله: " بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم، وخدع به الناس لإظهار التقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وجملة أخبار الدجال قالوا: إنها متواترة، يعنون التواتر المعنوي، وهو أن لها أصلا، وإن لم يتواتر شيء من رواياتها، ويدل القدر المشترك منها على أن النبي صلى الله عليه وسلم –كشف له وتمثل له ظهور دجال في آخر الزمان يظهر للناس خوارق كثيرة وغرائب يفتتن بها خلق كثير، وأنه من اليهود ... وقد كشف له ذلك محملا غير مفصل ولا بوحي عن الله تعالى –كما كشف له غير ذلك من الفتن – فذكره فتناقله الرواة بالمعنى فأخطأ كثير منهم، وتعمد الذين كانوا يثبتون الإسرائيليات الدس في رواياته، ولا يبعد أن يقوم طلاب الملك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنة في هذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون العصرية كالكهرباء والكيمياء، وغير ذلك والله أعلم [1].

الفرع الثاني: الرد على تلك الإشكالات

أولا– الجواب على وجوه الإشكالات الخمس

فيما يأتي مناقشة لأهم الإشكالات التي اعترض بها رشيد رضا على الروايات الواردة في شأن المسيح الدجال.

الإشكال الأول: إن القول بمنافاة راويات الدجال للحكمة التي أخفيت الساعة لأجلها فقد أجيب عنه فيما تقدم من صفحات.

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص416، المقام يقتضي ألا يختم ذلك القول بتلك اللفظة مع تقديم ذلك التأويل الغريب العجيب .

أما الإشكال الثاني: فهو صحيح الورود لو كان الدجال مدعيا للنبوة والرسالة، والحال أنه مدع للألوهية فلا اشتباه، وهذه كلمة مطولة جدا للقاضي عياض رحمه الله أنقلها – على طولها فهي كالخلاصة لما ورد في شأن الدجال من روايات صحاح، كما أنها تحمل إجابة وافية على هذا الإشكال:

قال النووي:" قال القاضي هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام، ويثبت الله الذين آمنوا هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ...وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه .... ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس ... رغبة في سد الرمق أو تقيه وخوفا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدا تدهش القلوب وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ....وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون..."[1]

وأما الإشكال الثالث: فما أورده فيه رشيد رضا صحيح من جهة، لكنه مجانب للصواب من وجه آخر، لأن سنن الله تعالى ليست واحدة، " فهناك سنن كونية يسير عليها الكون بانتظام وتلتحق فيه المسببات بأسبابها ... وهناك سنن إلهية أيضا لا تتخلف، وهي خارقة لتلك السنن الكونية. فمعجزات الأنبياء مثلا سنن إلهية جيء بها خرقا للسنن الكونية، وهذا مما علم من الدين بالضرورة. ومثال ذلك ما أيد الله به نبيه عيسى عليه السلام من إحياء الموتى، وسنة الله الكونية تقتضي أنه لا عودة إلى الدنيا بعد الموت. فكيف ؟. والحقيقة أن إحيائهم قد تم بسنة إلهية لا

[1]– النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج 18 ، ص 58 -59. والكلام للقاضي عياض–رحمه الله–.

تحويل لها ولا تبديل أيضا. ومنه نفهم أنه لا تعارض بين ما هو جار على سنن الله الكونية التي تحفظ سير الكون ونظامه، وبين ما هو خارق لها بمقتضى سنة إلهية إنسانية تعطل عالم الأسباب لتتم حكمة الله في خلقه"[1].

وأما الرابع: فإن إنذار الرسل قومهم بالدجال مع علم الله المسبق أنه ليس خارجا فيهم ليس فيه تخلف لأخبار الرسل أو كونها عبثا، وإنما هو لحكم يعلمها الله، ومن تلك الحكم ما ينتظر المؤمن منهم بذلك من الأجر والثواب .

ولهذا الإنذار نظير يستشف في قوله تعالى من سورة آل عمران: وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكۡمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ **[آل عمران: 81]**، فمما يدخل في تفسيرها ما قاله ابن كثير: " قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمن نبه وينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وقال طاوس والحسن البصري وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا، وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه "[2].

ومن الآيات التي قد تعتبر نصا في هذا — أي في هذه البشارة — قوله تعالى: ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ

[1]– شقير ، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ، ص303 – 304 .بتصرف.

[2]– ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج 2 ، ص 58 . وقول علي وابن عباس مروي عند الطبري بذلك المعنى من عدة طرق منها روايتان لابن عباس. ينظر: الطبري، جامع البيان، ج6، ص556 – 557.

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ **[الأعراف:157]**، فإن ذكر التوراة والإنجيل في الآية يدل على تبشيرهما جميعا بنبينا محمد عليه السلام .ومن المعلوم أن بعثة النبي عليه السلام كانت في علم الله الأزلي ليست واقعة في قوم موسى، وهذا من حقائق الدين بالضرورة .ومع ذلك فقد نالت بعثة النبي من التعظيم والإجلال عند الله جل وعلا ما استدعى التبشير بها حتى في التوراة ،بل وفي سائر الكتب كماتقدم .وما كان ذلك الأمر إلا تعظيما ل تلك البعثة وإجلالا .

أفلا يصلح هذا أن يكون أصلا يقاس عليه في تعليل ما استشكله صاحب المنار من تخلف أخبار الرسل والأنبياء ؟ بلى .

وأما الإشكال الخامس: فإن الروايات الواردة في الدجال كغيرها من الأحاديث، تخضع لقواعد الجمع والترجيح عند اختلاف مضامينها، ولو كان الاختلاف في الروايات موجبا دوما لتساقطها لضاعت كثير من معالم الدين وأحكامه. ويكفي للتدليل على ذلك ما وقع من اختلاف ظاهر في روايات واردة في فروع كثيرة من فروع الصلاة . والصلاة ثابتة في أصلها بنص القرآن، فهل يعقل أن يعترض على ثبوت الأصل لوجود اختلافات في فروعه ؟. وهذا الأمر نفسه وارد على مسألة الدجال، فهل يمكن إنكار وجوده بالأصل لاختلافات واردة في تفاصيل رواياته ؟ لا يستقيم هذا القول إلا إذا كان معتقده فاقد الثقة بالسنة وتشريعاتها، وعندئذ يكون مدار النقاش معه من وجه آخر.

وللعلماء كلام نفيس جدا في باب جمع الروايات ومقابلتها هذا بعضه : قال ابن المديني – رحمه الله –: " الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه " [1]. وقال الخطيب البغدادي :" قل من يتمهر في علم الحديث ويقف على غوامضه ويستثير الخفي من فوائده إلا من جمع متفرقه وألف

[1]– ابن الصلاح ، المقدمة ، ج1 ، ص 188 .

مشتته وضم بعضه إلى بعض واشتغل بتصنيف أبوابه وترتيب أصنافه" [1]. تلكم إجابة عن أصل التعارض ووجهه الذي قلما تسلم منه رواية من الروايات.

ثانيا– الجواب بالتفصيل على تعارض تلك الروايات ووجه الجمع بينها

فيما يأتي بيان لوجه الجمع بين الروايات الواردة في الدجال وما يشكل عليها من روايات أخرى:

جاء في الصحيح: "عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: "ما شأنكم؟ " قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال :" غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم " [2]. الحديث ، قال ابن حجر :" قوله صلى الله عليه وسلم في بعض طرقه إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه فإنه محمول على أن ذلك كان قبل أن يتبين له وقت خروجه وعلاماته فكان يجوز أن يخرج في حياته صلى الله عليه وسلم، ثم بين له بعد ذلك حاله ووقت خروجه فأخبر به فبذلك تجتمع الأخبار"[3].

وهذا الأمر وارد على روايات ابن صياد أيضا، وقد اختاره جمع من العلماء في الربط بين تلك الراويات، قال ابن كثير :" والأحاديث الواردة في ابن صياد كثيرة، وفي بعضها التوقف في أمره على هو الدجال أم لا، فالله أعلم، ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الدجال وتعيينه، وقد تقدم حديث تميم الداري في ذلك وهو فاصل في هذا المقام، وسنورد من الأحاديث ما يدل على أنه ليس ابن صياد والله تعالى أعلم وأحكم " .[4]

---

[1]– أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب **البغدادي** ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق: د/محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، (بدون طبعة)، ج 2 ، ص 280.

[2]– مسلم ، الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ،رقم2937، ج 4 ،ص 2250.

[3]– ابن حجر ، فتح الباري ، ج 13 ، ص 96 .

[4]– أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير**، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت، ط: 1408هـ/ 1988م، ج 1 ، ص 118 .

أما ما جاء في حديث جابر من حلف عمر على كون ابن صياد هو الدجال وعدم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم فقد علله بعض العلماء بنفس السبب، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قد أوحى إليه بالتفصيل، ثم جاءه الوحي مفصلا فأخبر الناس بحديث الجساسة. وهذا حديث جابر بلفظه :" عن محمد بن المنكدر، قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله: أن ابن صائد الدجال، قلت: تحلف بالله ؟ قال: " إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم، فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم " [1].

ثالثا– الجواب على القول بعدم تواتر الروايات الواردة في حديث الجساسة

إن رد الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بحجة عدم تواترها منهج شاذ عند المحققين من العلماء، ولو كان التواتر مشروطا فيما يجب أن نأخذ به من الروايات لم يبق لنا من السنة النبوية إلا النذر اليسير .

أما حديث الجساسة فقد رواه عامر الشعبي عن فاطمة بنت قيس، ومجموع طرقه عن الشعبي قد بلغ حد التواتر أو كاد. لكن رشيد رضا اعتبره غريبا، وقال إن ما أورده الحافظ من طرقه لا ينفي عنه صفة الغرابة، وهذا غير سليم، لأن الحديث الغريب :" ما تفرد به واحد، وقد يكون ثقة، وقد يكون ضعيفا ولكل حكمه. فإن اشترك اثنان أو ثلاثة في روايته عن الشيخ سمي:"عزيزا "، فإن رواه عن جماعة سمي:" مشهورا ". والله أعلم " [2].

ثم إن رواياته لم تنحصر في الشعبي عن فاطمة بنت قيس، وإنما رواه الشعبي أيضا من طريق المحرز بن أبي هريرة عن أبيه، ومن طريق محمد بن أبي بكر عن عمته عائشة — أم المؤمنين — فاجتمع لنا ثلاثة من الصحابة في رواية هذا الحديث [3].

---

[1]– البخاري ، الصحيح ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب من رأى ترك النكير من النبي صلى الله عليه وسلم حجة، لا من غير الرسول ، رقم7355، ج 9 ، ص 109 .

[2]– ابن كثير ، الباعث الحثيث ، ص 117. بتصرف يسير .

[3]– ينظر: ابن كثير ، النهاية في الفتن والملاحم ، ج 1 ، ص 114 - 115 . وأيضا : ابن حجر ، فتح الباري ، ج13، ص328_329.

وقد وقف صاحب المنار على ذلك كله، فلم يكن له فيه مبلغ، وما ذلك منه إلا لسبق إصراره وعدم قناعته – هنا – بقواعد الرواية والتحديث . أما احتجاجه بعدم رواية البخاري له، فإن البخاري – رحمه الله – لم يستوعب كل الصحيح كما هو معلوم، وما أضعف الاحتجاج بمثل هذا في كتاب ردت فيه روايات البخاري في أكثر من موضع.

رابعا– الجواب على تجريحه لتميم الداري الصحابي الجليل

أما تجريح تميم الداري واعتباره صانعا لتلك الرواية فلا دليل عليه، وهذا مناف لمقام الصحبة ومستلزماتها. ولو كانت تلك الرواية من صنع تميم ما كان ليثبت فيها الكذب على نفسه، ولو كان استثناء الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض قول تميم تكذيبا له، لصرح صلى الله عليه وسلم بذلك، فكيف يصح أن يقال: " أن نفي النبي صلى الله عليه وسلم لبعض قول تميم يبطل الثقة به كله " ؟ .

الفرع الثالث: ما قاله في مسألة العصمة و الجواب عليه

أولا– ما استشكله في مسألة العصمة

أما مسألة العصمة فقد أورد فيها صاحب المنار إشكالا مستغربا قال فيه: " هل كان صلى الله عليه وسلم معصوما من تصديق كل كاذب في خبر فيعد تصديقه لحكاية تميم دليلا على صدقه فيها ؟، ويعد ما يرد عليها من إشكال واردا على حديث له حكم المرفوع، وفي معناه إقراره – صلى الله عليه وسلم– لعمر على حلفه بأن ابن صياد هو الدجال كما تقدم ". [1] ثم أضاف:" إن ما قالوه في العصمة لا يدخل فيه هذا، فالمجمع عليه هو العصمة في التبليغ عن الله تعالى، وعن تعمد عصيانه بعد النبوة ". إذن، فرشيد رضا يرى جواز تصديق النبي صلى الله عليه وسلم للكذب وانطلائه عليه، ويرى أن مقام العصمة لا يخدش بهذا .

وقد أورد فيما يستدل به على هذه القاعدة كلاما طويلا أنقله كاملا للتمكن من مناقشته، قال: " قال السفاريني في شرح عقيدته: قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: وإنهم معصومون فيما

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج 9، ص 413 .

يؤدون عن الله تعالى، وليسوا معصومين في غير ذلك، وقال ابن عقيل في الإرشاد: إنهم عليهم السلام لم يعصموا في الأفعال بل في نفس الأداء .قال: ولا يجوز عليهم الكذب في الأقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى، وقال الحافظ العراقي: النبي – صلى الله عليه وسلم – معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالإجماع، ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجويز ذلك إلخ .انتهى ملخصا . وتصديق الكاذب لا يعد ذنبا، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصدق بعض ما يفتري به المنافقون حتى يخبره الله بما كان من المصلحة إخباره به منه، كما وقع في غزوة تبوك وغيرها، وصدق بعض أزواجه في القصة المشار إليها في سورة التحريم، حتى أخبره الله تعالى به وبأن من أسر إليها الحديث أفشته، وذلك قوله تعالى: قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ **[3:66]** وتردد في حديث أهل الإفك، وضاق صدره زمنا حتى نزلت عليه آيات البراءة المكذبة لهم في سورة النور، فعلى هذا لا يكون ذكره –صلى الله عليه وسلم– لقصة تميم في حكم المرفوع الذي يقوله هو –صلى الله عليه وسلم–، كما أن ما يقوله –صلى الله عليه وسلم– برأيه وظنه لا يدخل في عموم ما هو معصوم منه، وهو تعمد الكذب، كما قال صلى الله عليه وسلم في مسألة تلقيح النخل : " إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله " [1] وقال فيها أيضا :" إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر". [2] رواهما مسلم في صحيحه .

وقال المحقق ابن دقيق العيد في مسألة تقريره – صلى الله عليه وسلم – من أوائل شرح الإلمام إذا أخبر في حضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أمر ليس فيه حكم شرعي، فهل يكون سكوته – صلى الله عليه وسلم – دليلا على مطابقة ما في الواقع، كما وقع لعمر في حلفه على أن ابن صياد هو الدجال فلم ينكر عليه، فهل يدل عدم إنكاره على أن ابن صياد هو

[1]– مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، رقم2361، ج4، ص1835.والحديث من رواية موسى بن طلحة عن أبيه.

[2]– المصدر نفسه، رقم2362، ج4، ص1835.والحديث من رواية رافع بن خديج.

الدجال كما فهمه جابر حتى صار يحلف عليه ويستند إلى حلف عمر، أولا يدل ؟ فيه نظر، والأقرب عندي أنه لا يدل لأن مأخذ المسألة ومناطها هو العصمة من التقرير على باطل، وذلك يتوقف على تحقيق البطلان ولا يكفي فيه عدم تحقيق الصحة إلخ ".[1]

هذا ما استدل به رشيد رضا على القول " بعدم عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق كل كاذب ". وهذا القول من صاحب المنار عجيب في نفسه، والأعجب منه أن كل تلك الاستدلالات التي ساقها لتأييد رأيه ليس له فيها حرف واحد يسنده، بل هي —كلها — ناطقة بضد ذلك وعكسه، وليس المقام مقام بسط لما أورده العلماء في مسألة العصمة، لأن موضوع البحث لا يستوعب كل هذا التوسع، لكنني سأحاول مناقشة ما أورده فيها من نقاط.

ثانيا– الجواب على استدلاله بقول ابن حمدان وابن عقيل من عبارة السفاريني

أما عبارة السفاريني التي نقلها عنه رشيد رضا فقد تتبعت أصلها فوجدتها هكذا: "قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: وإنهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى، وليسوا معصومين في غير ذلك (**من الخطإ والنسيان والسهو والصغائر في الأشهر، لكن لا يقرون على ذلك ...الخ**)".[2] وهي العبارة نفسها عدا ما ميزته منها بقوسين، والغريب من الشيخ رشيد اعتبار ذلك الحذف تلخيصا، وليس كذلك، بل هو استبعاد لعبارة تعد رأس القصيم في الاحتجاج عليه بها، ذلك أن من قال بجواز الخطإ والنسيان والسهو والصغائر على الأنبياء عليهم السلام اشترط فيه عدم إقرار الله جل وعلا لهم على ذلك . فإذا كان تصديق الكاذب لا يعد ذنبا كما قال رشيد رضا–وهو كذلك–، فإنه لا يخرج عن كونه خطأ، والأنبياء قد يخطئون سهوا، لكنهم لا يقرون على أخطائهم، بل سرعان ما يتداركهم الله سبحانه بالوحي حفظا لمقام النبوة والتبليغ[3].

---

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 9 ، ص 413 -414 . ينظر : أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب المعروف **بابن دقيق العيد** ، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام ، تحقيق : محمد خلوف العبد الله ، دار النوادر — سوريا ، ط 2: 1430هـ – 2009م ، ج 1 ، ص 96 . وينظر أيضا : ابن حجر، فتح الباري ، ج 13 ، ص 327 .

[2]– السفاريني ، لوامع الأنوار ، ج 2 ، ص 304 .

[3]– ينظر : المصدر نفسه، ج 2 ، ص 303 -305 .

وما أورده السفاريني من قول ابن عقيل مستلزم لذلك أيضا، لأن حديث الجساسة لا يخرج عن باب الأداء والتبليغ، فبأي وجه صرف عنه ذلك الاستدلال ؟.

وقد كان بوسع الشيخ رشيد رضا أن يجد من الأقوال ما هو أشد توسعا من هذا في باب العصمة إن كان يرتضيه، ولكنه لن يجد ما يوافق مقولته في كتب العلماء المعدودين، ولو كان بوسعه العثور على ذلك لما عدل عنه إلى الحذف والتحوير، والحقيقة أن مقام تقدير العلماء وستر زلاتهم يقتضي مني ألا أتتبع الشيخ في هفواته أو سقطاته، ولكن مقام النبوة أرفع وأعلى.

ثالثا–الجواب على استدلاله بتصديق النبي– عليه السلام– لبعض المنافقين ولبعض من أخطأ من أزواجه

أما ما ذكره رشيد رضا من تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لبعض المنافقين، ولبعض أزواجه في قصة التحريم، وما وقع له من تردد في قصة الإفك، فقد ذكر – هو نفسه – ما كان من استدراك الله – جل وعلا – عليه، وفي ذلك جواب لن يعقل. ومن جهة أخرى، فإن الأمثلة التي جاء بها لا تحمل في معناها حقيقة التبليغ، بل هي أمور خاصة به – صلى الله عليه وسلم – وفيها إظهار واضح للجانب البشري المعرض للسهو والخطإ والنسيان، المؤيد في الوقت نفسه بالوحي والبيان، خلافا لقصة الجساسة، فإن جمع النبي صلى الله عليه وسلم للناس وتحديثهم بها يحمل في نفسه من دلالات التحمل والتبليغ ما لا مجال لرده أو إنكاره .

رابعا– الجواب على استدلاله بحادثة التأبير الواردة في روايتي مسلم

وأما ما استدل به من روايتي مسلم الواردتين في تأبير النخل فهو صريح في الأمور الدنيوية التي لا علاقة لها بمسألة التبليغ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ألوان من ذلك. وقصة الجساسة من الغيبيات وليست من قبيل ما يؤخذ فيه بالظن أو الرأي، فكيف يقاس القول في أمر غيبي يجمع له الناس ليُعلموا به ويكونوا على حذر في مواجهته على النخل وتأبيره ؟.

خامسا– الجواب على استدلاله بقول ابن دقيق العيد

أما قول ابن دقيق العيد فإنه منتظم مع ما ذكر قبلُ في الجمع بين روايات الدجال والجساسة وابن صياد. والمعنى أن حلف عمر –في حديث جابر– على كون ابن صياد هو الدجال مع سكوت النبي صلى الله عليه وسلم وعدم إنكاره لا يدل على مطابقة ذلك للواقع، أي لا يدل على أن ابن صياد هو الدجال، ذلك أن سكوت النبي صلى الله عليه وسلم قد يدل على التوقف في الأمر لانعدام الوحي فيه لا عن تقرير للمتكلم، والأمر واضح في قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر عندما أراد قتل ابن صياد :" إن يكنه فلن تسلط عليه، وان لم يكنه فلا خير لك في قتله"[1]. وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحي إليه بعض صفات الدجال، وكان ابن صياد يشبهه فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذره لأجل ذلك، ثم أوحي إليه بخبر الجساسة الذي وافق فيه رواية تميم الداري فجمع الناس لذلك وحدثهم به، مما يجزم بأن ابن صياد ليس هو الدجال. أما حلف بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – على ذلك فهو استصحاب منهم للأمر الأول.

والغريب في هذا الاستدلال هو المجيء به هنا، ذلكم أن رشيد رضا أراد نفي العصمة عن الرسول–صلى الله عليه وسلم–في تصديق الكاذب، تذرعا بهذا الأصل إلى تجريح تميم وإبطال حديثه، فأثبت حديث الجساسة من حيث لا يعلم، وذلك بإزالة ما يستشكل عليه من حديث ابن صياد .

وبهذه المناسبة، أذكر ترجمة البخاري لذلك الحديث بباب (من رأى ترك النكير من النبي صلى الله عليه وسلم حجة، لا من غير الرسول)، فإن البخاري – رحمه الله – اختار القول بأن ترك النكير من النبي–صلى الله عليه وسلم–في مثل ذلك الموقف حجة خلافا لما ذهب إليه ابن دقيق العيد. ومن هنا يُعلم لماذا اقتصر البخاري على روايات ابن صياد وترك حديث الجساسة ولم يروه في صحيحه؟، ففي ذلك لطيفة من لطائف فقهه واستدلاله، ولكنه ليس دليلا على عدم الثبوت.

الفرع الرابع: الجواب على نفيه لصفة الوحي عن النبي –عليه السلام – في تلك الروايات

[1]– سبق تخريجه من صحيح مسلم برقم 2930 .

أولا– أقواله بذلك الخصوص

من أكثر الآراء استشكالا في اعتراضات رشيد رضا على آية الدجال هو نفي صفة الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الروايات الواردة فيه. قال في بعض اعتراضاته:" فإن صح الحديث رواية فهذا التردد من النبي صلى الله عليه وسلم في مكان الجزيرة التي ذكرها تميم الداري في أي البحرين هي ؟ ثم إضرابه عنهما وجزمه بأنه في جهة المشرق إلخ، إشكال آخر في متنه .. ينظر ..إلى سبب هذا التردد ومنافاته لأن يكون كلامه صلوات الله وسلامه عليه في أمر الدجال عن وحي من الله تعالى "[1]. وقال في وضع آخر:" ويدل القدر المشترك منها (أي من روايات الدجال) على أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف له وتمثل له ظهور دجال في آخر الزمان يظهر للناس خوراق كثيرة وغرائب يفتتن بها كثير من المسلمين ... وقد كشف له ذلك مجملا غير مفصل ولا بوحي عن الله تعالى – كما كشف له غير ذلك من الفتن – "[2] وقال في موضع ثالث:" أنه (أي النبي) كان يتمثل له صلى الله عليه وسلم بعض أمور المستقبل كأنه يراه، كما تمثلت له الجنة والنار في عرض الحائط، وكما تمثل له في أثناء حفر الخندق ما يفتح الله لأصحابه من الممالك ... وكشفه هذا حق، وهو ما يسميه أهل الكتاب نبوءات، وقد ظهر منه شيء كثير كالشمس "[3].

ثانيا– الجواب عليها

والسؤال المطروح: ما هو هذا الكشف النبوي الذي جعله صاحب المنار بديلا للوحي الإلهي؟. لنتقدم صفحات إلى الأمام لعلنا نجد الجواب عند تفسيره لقول الله –جل وعلا– من سورة يونس: ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ **[يونس:63–64]** فقد وضع عنوانا أسماه (بطلان الأخذ بالكشف في الدين) كتب تحته:

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار، ج 9 ، ص 12 .

[2]– المصدر نفسه ، ج 9 ، ص 416 .

[3]– المصدر نفسه ، ج 9 ، ص 421

" وأما الكشف فهو ضرب من إدراك النفس الناطقة غير ثابت ولا مطرد، فليس بدليل عقلي ولا شرعي، وإنما هو إدراكات ناقصة تخطئ وتصيب، وقد عرفت أسبابه الطبيعية وأن منها ما هو فطري، ومنها ما هو كسبي وصناعي، كالتنويم المغناطيسي المعروف في هذا العصر، وما يسمونه قراءة الأفكار ومراسلة الأفكار، ويشبهونه بنقل الأخبار بخطوط الأسلاك الكهربائية وبدونها، وهو يقع للمؤمن والكافر، والبر والفاجر ....وقلة من يميز بين الكشف الشيطاني والكشف الحقيقي منهم، ولا يصح أن يسمى حقيقيا إلا ما وافق نصا قطعيا، ومن دلائل الخطإ والتلبيس والتخيلات في الكشف الذي يسمونه النوراني تعارض أهله وتناقضهم فيه، وما يذكرونه فيه من معلوماتهم المختلفة باختلاف معلوماتهم الفنية والخرافية والشرعية ".[1]

وفي هذا النص ما يكفي لإثبات خطورة هذه الألفاظ الموهمة في التعبير عما يراه الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو يقوله، وإن كانت هذه العبارة ليست مسوقة في كشف النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هي في كشف الأولياء والأدعياء فإنها تستلزمه، وذلك بدليل ورود عدة ألفاظ فيها، منها مثلا: "وهو يقع للمؤمن والكافر، والبر والفاجر"، وبدليل قوله في موضع قبله: "وتكلمنا فيه عن الكشف وغير ذلك من معرفة بعض الأمور المستقبلية المتعلقة بمسألة الغيب الإضافي أو التي لا يصح أن تسمى غيبا، لأن لها أسبابا فطرية، وفي الكلام على أشراط الساعة الذي مر بك قريبا بحث فيما أطلع الله عليه رسوله بما دون الوحي من بعض الحوادث المستقبلية، كتمثل الأشياء له تمثلا متفاوتا في الوضوح "[2].

فإذا كان بعض ما يخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب قد يكون عن غير وحي، وإنما هو ضرب من الكشف الذي هو في حقيقته :" ضرب من إدراك النفس الناطقة غير ثابت ولا مطرد"، بل إنه ليس دليلا عقليا ولا شرعيا"، "وإنما هو إدراكات ناقصة تخطئ وتصيب"، بل الأدهى أنه: "يقع للمؤمن والكافر، والبر والفاجر "...إذن فما قيمة ذلك الكشف وما جدواه؟.

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج 11، ص 365.

[2]– المصدر نفسه، ج 9 ، ص 428 .

وتأمل تلك العبارة الأخيرة: "كتمثل الأشياء له – صلى الله عليه وسلم – تمثلا متفاوتا في الوضوح "، لتدرك مؤداها، وهو أن الكشف النبوي الذي هو حسب رشيد رضا – " في نفسه حق ": "متفاوت في وضوحه ". وهذه مدعاة صريحة – شاء صاحب المنار أم أبى، شعر بذلك أم لم يشعر – لإعمال أداة الشك والتقدير والتخمين في كل ما أتى من تلك الغيبيات التي أخبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم–، لأنها ببساطة: لم تأت عن طريق الوحي المعصوم وإنما بطريق الكشف المتفاوت الوضوح .

فما سبب هذا العدول عن كون ما أوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن الدجال وحيا من عند الله تعالى، واعتباره كشفا من الكشوفات؟ ."لا ندري لهذا سببا إلا أن يكون متأثرا بشبهات المستشرقين ممن أنكر الوحي الإلهي منهم وزعم أنه وحي نفسي نابع من نفس محمد لا من خارج ذاته "[1].

وقد تساءل الدكتور شقير عن مراد رشيد رضا من وراء ذلك اللفظ فقال " فهل أراد الشيخ رضا بهذا الذي أسماه كشفا ما يعرف بالوحي النفسي ؟ أم أنه استنباط من روح النبي المنطوية على جملة الدين قبل نزول الوحي عليه حسب طريقة أستاذه عبده ؟ أم المراد به ما يسمونه إلهاما وهو الذي فرق محمد عبده بينه وبين الوحي وعبر عنه بأنه أشبه " بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور"؟[2]. لعل ما ذكرته فيه جزء من جواب.

ثم لنعد إلى قوله: "وكشفه هذا حق، وهو ما يسميه أهل الكتاب: نبوءات، وقد ظهر شيء كثير منه كالشمس ". فما دخل ما يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم من غيبيات في نبوءات أهل الكتاب ؟.

والجواب فيما ذكره صبحي الصالح إذ يقول :" قد يكون مؤسفا لنا – بعد أن استهوتنا الفكرة القرآنية التي تؤكد اتحاد مفهوم الوحي عند الأنبياء جميعا – أن نقع في قاموس الكتاب المقدس على تفسير للوحي يختلف اختلافا جوهريا عن تفسيره الجامع الموحد " هو حلول روح الله في روح الكتاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية من غير أن يُفقد هؤلاء

[1]– الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج2 ، ص 489 .

[2]– شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ، ص310 .

الكتابَ الوحيُ شيئا من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير "، وإنما أسفنا لاختلاف وجهتي النظر ههنا، لأن الوحي – بتعريفه القاموسي هذا — أضحى ما يكون أبعد عن الصعيد الديني المتصل بالله، الآخذ عن الله، وأقرب ما يكون إلى مدلول الكشف الذي عرفت البشرية ألوانا صافية منه لدى الشعراء الملهمين والمتصوفين العارفين: وألونا عكرة كدرة لدى الكهان والعرافين، وأكثرهم من الدجاجلة الكذابين " [1].

إذن فتأثر رشيد رضا بالتعريف التوراتي للوحي ظاهر في استبداله لكلمة الوحي المقدسة بمفهوم "هلامي " مقتبس من غير المسلمين. فكيف تسرب هذا الأثر إلى صاحب المنار وهو الذي طالما عاب على المفسرين والمحدثين وعلماء المسلمين ما وصلهم من ذلك في أبواب هي أقل شأنا من باب الوحي بكثير ؟.

وعلاجا لهذه الجزئية التي أطلت فيها النفس اضطرارا فإنني أقول ما قاله صبحي صالح :"نرى لزاما علينا — خشية أن نقع في اللبس من أثر استعمال الكلمات في غير مواضعها — أن نقصي عن ظاهرة الوحي لفظ الكشف الذي كنا فيه، وما يشبهه من ألفاظ الإلهام والحدس الباطني والشعور الداخلي أو " اللاشعور " ....إن الكشف بمفهومه ذلك يخلو من الدلالة النفسية الواضحة المحددة، لأنه غالبا ما يكون ثمرة من ثمار الكد والجهد وأثرا من آثار الرياضة الروحية أو نتيجة للتفكير الطويل، فلا ينشئ في النفس يقينا كاملا ولا شبه كامل، بل يظل أمرا شخصيا ذاتيا لا يتلقى الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى ".[2]

ذلكم هو المنطلق الذي أزال به رشيد رضا ــ في الشعور أو اللاشعور ــ قدسية المصدرية الإلهية عن أخبار نبوية مستفيضة باعتبارها نوعا مما يسميه أهل الكتاب: نبوءات، فأفقد تلك الغيبيات معانيها السامية، ولا غرو؛ فإن قولنا فيما يراه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–كشفا بذلك المفهوم هو كقولنا في أي إنسان :" إنه من أولي الكشف والإلهام، لأن ذلك لن يسمو به إلى درجة النبوة والوحي، إذ أن في كل وحي وعيا، وفي كل نبوة شعورا بمعناها، وإدراكا لمغزاها، وإنما يرمي " باللاوعي " من فقد الوعي، ويوهم " باللاشعور " من فقد الشعور .

[1]– **صبحي الصالح**، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، ط 24: 2000م ، ص 25 ، 26 .

[2]–المصدر نفسه، ص 26.

وطبيعة الحقائق الدينية والأخبار الغيبية في ظاهرة الوحي تأبى الخضوع لهذه الأساليب "اللاشعورية " التي – مهما بلغت ذروتها – فلن تعدو أن تستشف حجاب المجهول بالفراسة الذكية الخفية والحدس الباطني السريع وتأبى في ذات الوقت أن تخضع لمقاييس الحس الظاهرة التي تخترق حرمات المجهول بالأدلة المنطقية والاستنباط المتروي البطيء، وإنما تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين: ذات متكلمة آمرة معطية، وذات مخاطبة مأمورة متلقية "[1] .

قد يقول قائل: لقد أطلت القول في الحديث عن ما يسمى بالكشف، لكن لم نحصل على تحديد واضح لمراد رشيد رضا من الكشف النبوي على وجه الخصوص، فأي الأقوال كان مراده ؟.

والجواب :" سواء كان أي منها فخطورة تلك الأقوال واحدة، ومفسدتها سواء، ومآلها واحد: وهو مباينتها تماما للوحي كما هو معلوم عند الأمة وسلفها."[2]

ويكفي بيانا لذلك: أن رشيد رضا قد اختصر بتلك الكلمة كل ما كان يعتقده المسلمون في المسيح الدجال، وقبل ذلك وما هو أخطر منه: ما كانوا يعتقدونه في خبر نبيهم – عليه السلام– من علوية المصدر ونور النبوة والوحي، ذلك أن كشفه الذي هو حق–حسب رشيد–لن يتخلف: ولكن ليس كما يعتقد فيه جمهور المسلمين ويتصورونه، فهو–كما أراد صاحب المنار مرة أخرى– قد لا يعدو أن يكون ضربا من مكائد اليهود التي " لا يبعد أن يقوم طلاب الملك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنة في معناها يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون العصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك والله أعلم –كما قال – ".

وصدق الشيخ رشيد رضا فيما قال بخصوص نفسه، فمقولته تلك هي–في ذاتها–فتنة قد هيء لها فكره وحضر لها عقله، من حيث يشعر أو لا يشعر، حتى صار أصدق لهجا بالشبه من أصحابها ..... والله المستعان.

[1]– صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ، ص27. بتصرف يسير .

[2]- شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص310. بتصرف يسير.

الفرع الخامس: الرد على شبهة الدسائس الإسرائيلية

أولا– الرد على أصل تلك الشبهة

– ما رواه كعب الأحبار من إسرائيليات في شأن الدجال وغيره يرد حكمه إلى ما ذكر قبل في حكم الروايات الإسرائيلية وأقسامها.

– أما ما أورده رشيد رضا من اعتراض ابن حجر على بعض الروايات التي أخرجها نعيم بن حماد شيخ البخاري في كتاب الفتن وتعليقه على ذلك بقوله :" ومنه يعلم أن الحافظ لم يسلم من ضرب بعض هذه الروايات المضطربة المتعارضة المتنافرة ببعض، وبأنه يعد احتمال الأخذ عن أهل الكتاب علة صحيحة لرد روايات الثقات، ولو فيما لا مجال للعقل ولا للرأي فيه " [1]، فإن هذه القاعدة معروفة عند المحدثين، وقد فصل الكلام فيها عند الحديث على مسألة " مرسل الصحابي وموقوفه " .

ورد روايات الثقات بتلك العلة أو غيرها من علل المتون الخفية يعد مزية لأصحاب الحديث ومدعاة لتعزيز الثقة بقواعد التحديث وأصوله، وفي ذلك رد على من يدعي أن دراسة المتون كانت قاصرة عند المحدثين ،وأنها لم تصل عندهم إلى المستوى المطلوب. هو حجة أيضا على ما تكرر في هذا التفسير من القول باغترار الحافظ ابن حجر وأمثاله براويات كعب الأحبار وأشباهه . لكن، ليس كل احتمال يعد مقبولا في رد الروايات وإنما ما ثبت بالدليل أو بالقرائن، وقد ذكر الحافظ من ذلك ما هو ظاهر ومقنع تماشيا مع قواعد الرواية والتحديث [2]، وليس ما هو من باب الشبه المتنافرة التي لا دليل عليها ولا بيان.

– وأما رواية كعب الأخيرة التي نقلها رشيد رضا عن الحافظ وعقب عليها بقوله: " بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين، ليفسد عليهم دينهم وسنتهم .." [3]، فكثير مما

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 9 ، ص 415.

[2]– ينظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج 13 ، ص 92 .

[3]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج9 ، ص 416 .

جاء فيها له شواهد من روايات الصحابة — رضي الله عنهم –، ومن ذلك حديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم، وسيأتي معنا بعضه إن شاء الله.

– إن مجموع الروايات الصحيحة الواردة في الدجال يستبعد شبهة تسربها عن بني إسرائيل، وإذا سلمنا جدلا بتسرب تلك الشبهة إلى ما رواه صغار الصحابة منها كابن عباس أو روايات أبي هريرة مثلا، فإن عددا كبيرا غير هؤلاء قرروا تلك الأخبار مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تتبعت روايات الدجال في صحيح البخاري فوجدت من رواتها: عائشة أم المؤمنين، حذيفة بن اليمان، أنس بن مالك، عبد الله بن عمر، سالم عن أبيه، أبا سعيد الخدري، أبا هريرة، ابن عباس.[1] كما تتبعت رواياته في صحيح مسلم أيضا فوجدت من رواتها: أنس بن مالك، عبد الله بن مسعود، حذيفة بن أسيد، عبد الله بن عباس، عمران بن حصين، عبد الله بن عمرو، أبا هريرة، النواس بن سمعان.[2]

ثانيا– الرد على شبهة الإرسال

ودفعا لشبهة الإرسال وعدم التصريح بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم، فإنني سأورد مجموعة من روايات الصحيحين فيها ما يدفع تلك الشبهة ويدحضها.

– حديث أبي سعيد الخدري: جاء في صحيح البخاري :" أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال :" يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه، فيقول الدجال: أرأيت إن قتلت هذا، ثم أحييته هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة

[1]– ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الفتن: باب ذكر الدجال، ج9، ص 59–60، وباب: لا يدخل الدجال المدينة، ج9، ص60–61. وبعض تلك الراويات موزع على أبواب أخرى من غير كتاب الفتن.

[2]– ينظر : مسلم، الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج4، ص2247-2250 .

مني اليوم، فيقول الدجال أقتله فلا أسلط عليه " [1]. فقول أبي سعيد:"حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم" صريح في سماعه من النبي عليه السلام.

– **حديث حذيفة بن أسيد:** روى مسلم :" عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال :" ماذا تذاكرون ؟" قالوا: نذكر الساعة . قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر– الدخان، والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج ،وثلاثة خسوف...."[2] الحديث.

وقول حذيفة :" اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر " صريح أيضا في السماع، أما قوله صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات " فليس المقصود منه تأمين الصحابة من هولها، وإنما المقصود إعلامهم بإماراتها .

– **حديث النواس بن سمعان:** روى مسلم :" عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظننناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال :" ما شأنكم " قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظننناه في طائفة النخل، فقال :" غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط[3]، عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" [4] الحديث.

فحكاية النواس صريحة في حضوره لهذه القصة بنفسه وسماعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حديث طويل، ذكر فيه مدة مكث الدجال بالأرض، وبعض خوارقه، ثم نزول عيسى عليه

---

[1]– البخاري ، الصحيح ، كتاب الفتن ، باب : لا يدخل الدجال المدينة ،رقم1882، ج3 ، ص 22 .

[2]– مسلم ، الصحيح ، كتاب في أشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ، ج4 ، ص 2225 .

[3]– قطط:شديد جعودة الشعر. ينظر:أبو الفضل **عياض** بن موسى بن عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (بدون طبعة)، ج1، ص158.

[4]– مسلم، الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ،رقم2937، ج 4 ، ص 2250 .

السلام وقتله له .... الخ ما ذكر فيه، والمقصود من كلام النبي صلى الله عليه وسلم تثبيت الصحابة وتعزيز ثقتهم بالله وبرسوله لما رأى من شدة خوفهم وخشيتهم من الدجال.

– **حديث عبد الله بن عمرو** : جاء في صحيح مسلم :" عن النعمان بن سالم، قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، يقول: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الذي تحدث به ؟ تقول: غن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله أو لا إله إلا الله – أو كلمة نحوها – لقد هممت ألا أحدث أحدا شيئا أبدا .... ثم قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-:" يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين – لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه "، قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1] .الحديث، ففي هذه الرواية تأكيد من ابن عمرو على سماعه لهذا من النبي صلى الله عليه وسلم.

– **حديث حذيفة بن اليمان:** جاء في الصحيحين واللفظ لمسلم :" عن عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري، قال: انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان، فقال له عقبة: حدثني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدجال قال :" إن الدجال يخرج، وإن معه ماء ونارا، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا، فإنه عذب طيب "، فقال عقبة وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة ".[2]

فهذه خمسة أحاديث دافعة في مجموعها لشبهة الإرسال. وأذكر بهذه المناسبة قول رشيد رضا:" أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يخبر أصحابه بكل ما يطلعه الله عليه من ذلك .... وكان

[1]– مسلم ، الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ، رقم2940، ج4 ، ص 2258 .

[2]– المصدر نفسه ، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ،رقم2935، ج4 ، ص 2250 .

يخص بعض أصحابه ببعضها كما روي في مناقب حذيفة – رضي الله عنه – .....فلأن يخفى عليهم تأويل ما خص الله بعض الأفراد أولى "[1].

والحقيقة أن حذيفة قد صرح في أحاديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث الصحابة أيضا بتلك الفتن حيث قال: " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما، ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به»، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه "[2]، فكلام حذيفة فيه اعتراف بسماع الصحابة لتلك الأحاديث من الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلم من كان حاضرا معه بها .

وختام القول في مسألة الدجال أنه حقيقة أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم فيما تواتر عنه من الأخبار، وأن الله جعله شرطا من أشراط الساعة الكبرى وعلاماتها ، أما ما ورد من تعارض بين رواياته، فهو مما يقع عادة بين روايات الحديث، ويكون العمل فيه بقواعد الجمع والترجيح، وأن ذلك التعارض لم يكن تعارضا حقيقيا يوجب تساقط الروايات وإبطالها.

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 9 ، ص 421 – 422 . بتصرف يسير.

[2]– مسلم، الصحيح،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم2891، ج 4، ص2217.

خاتمة المبحث

هذا ما خلص إليه المبحث من نقاط:

– للساعة أشراط وأمارات نصت عليها مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولهذا فإن الاعتقاد بما ثبت من تلك الأشراط جزء من عقيدة المسلمين وأصول دينهم.

– قرر رشيد رضا– على وجه العموم– بأن للساعة أشراطا، لكنه نازع في تفاصيلها وأبطل كثيرا من الروايات الواردة فيها، فنتج عن ذلك عدم اعترافه بمجيء كثير من الأشراط الثابتة ومرها: خروج المهدي، وطلوع الشمس من مغربها، ومجئ المسيح الدجال.

– كان لرد تلك الروايات تداعيات ملفتة على بعض مباحث المنار المتعلقة بالعقائد والأصول: كالبحث في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في بعض فروعها، وعلى بعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن كالحديث عن الوحي النبوي، حيث استبدل مسماه في كثير من مواضعه بأسماء بديلة عنه كالكشف ونحوه.

– لم تكن الإسرائيليات هي السبب الحقيقي لرد رشيد رضا لتلك الروايات، لكنها كانت إحدى المبررات التي سلكها رشيد رضا في أمثال تلك المواقف.

المبحث الثالث: موقف رشيد رضا من معجزات الأنبياء

معجزات الرسل والأنبياء أحد القضايا التي كانت مثار شبهة في تفسير المنار. وأمام مجموعة من الإشكالات وتبريراتها، نجد شبهة الرواية عن بني إسرائيل حاضرة في تعليل المنار لرد الكثير من الروايات الورادة في المعجزات.

ويسعى المبحث من خلال هذا العرض للنظر في صحة ذلك الربط بين ما رواه رشيد رضا من تلك المعجزات وما علله بها .

وهو مقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حجية المعجزة عند رشيد رضا.

المطلب الثاني: نموذج من رفضه لبعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم – قتال الملائكة يوم بدر– .

المطلب الثالث: نماذج من رفضه لمعجزات الأنبياء.

المطلب الأول: حجية المعجزة عند رشيد رضا

الفرع الأول: المعجزة وحجيتها عند العلماء

أولا– تعريفها

عرف الزرقاني المعجزة بقوله :" هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله أو هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه " [1]. فالمعجزة تقوم على خرق العادة، ومجاوزة الأسباب، يأتي بها الله سبحانه تأييدا لرسله وأنبيائه .

ولما كانت المعجزة تظهر بقدرة الله جل وعلا– على أيادي الأنبياء تصديقا لهم وتأييدا لدعواهم، فقد اقتضت حكمته – سبحانه – أن يؤيد كل نبي بما يتناسب مع طبيعة قومه ونوع بيئته، مما يكون أدعى لإقامة الحجة عليهم بالدليل الذي يفهمونه والبرهان الذي يعقلونه .قال ابن كثير: " قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، ... وأما عيسى عليه السلام، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة ... وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم، بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وما ذلك إلا لأن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا "[2].

---

[1]– محمد عبد العظيم **الزرقاني**، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ط1: (بدون تاريخ)، ج1، ص73.

[2]– ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج2 ، ص 37 .

ثانيا– حجيتها

المعجزة حجة الأنبياء على أقوامهم، ولذلك فقد أكثر القرآن الكريم من تأنيب من لا يؤمن بآيات الرسل وبيناتهم ومن ذلك قوله تعالى:وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ۝ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ **[الأنعام :4_5]**.

قال ابن كثير في تفسيرها :" يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين، إنهم مهما أتتهم من آية أي دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات، على وحدانية الله وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها، قال الله تعالى :فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ وهذا تهديد لهم، ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غبه وليذوقن وباله".[1]

الفرع الثاني: منزلة المعجزات في تفسير المنار

أولا– تعريف رشيد رضا للمعجزة ومميزاتها عنده

أكثر رشيد رضا من الحديث عن المعجزات في تفسيره، وكان له اهتمام خاص بتوجيهها وإبداء رأيه فيها، وهذا تعريفه لها :" الآية أو المعجزة أمر يؤيد الله تعالى به نبيه ويخضع له به النفوس، وكان يختلف باختلاف الأمم ومعارفها ودرجات ارتقائها " .[2] ومما يميز هذا التعريف هو ربط المعجزة باختلاف الأمم ومعارفها ودرجات ارتقائها، وقد تكلم العلماء عن هذا في حديثهم

[1]– ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج3 ، ص 215 .

[2]– رشيد رضا، أمالي دينية الدرس–29–الآيات البينات على صدق الوحي و النبوات مقال بمجلة المنار، مج4، ص371.

عن مناسبة معجزات الأنبياء لأزمانهم – كما مر في قول ابن كثير –، وأشار السيوطي إلى هذا المعنى عند تعريفه للمعجزة فقال :" وهي إما حسية أو عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ".[1]

وقد تميزت المعجزة عند رشيد رضا بمحاولة ربطها بالعقل، و إرجاعها لسنن الكون وقوانينه، وهذا ملاحظ في كثير من صفحات تفسيره. قال نقلا عن شيخه :" إن الخوارق الجائزة عقلا، أي التي ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما لا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى – في يد نبي من الأنبياء، ويجب أن نؤمن بها على ظاهرها، ولا يمنعنا هذا الإيمان من الاهتداء بسنن الله – تعالى – في الخلق واعتقاد أنها لا تتبدل ولا تتحول " . ثم أضاف :" وجملة القول أن الذي يمنعه العقل هو وقوع المحال، فلا يمكن أن يؤيد نبي بما هو مستحيل عقلا، لأن المستحيل هو الذي لا يمكن وقوعه، وما وقع لا يكون مستحيلا "[2].وقال في موضع آخر :" وإنما الذي يقضي به العقل ألا نصدق بوقوع شيء على خلاف السنن الثابتة المطردة في نظام الأسباب العامة إلا إذا ثبت ثبوتا قطعيا لا يحتمل التأويل، وهذا هو المعتمد عند المحققين من المسلمين وعلماء المادة وعلماء النفس وغيرهم ".[3]

وقد أدى هذا الاعتدا د الزائد بالعقل وسنن الكون عند تفسير رشيد رضا للمعجزات إلى أمور مثلت سمات أساسية في موقف رشيد رضا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزات الأنبياء .[4]

الأمر الأول: حصر معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، باعتباره آية عقلية باقية مع مرور الأزمان .

---

[1]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص3

[2]- رشيد رضا ، تفسير المنار، ج1، ص261.

[3]- المصدر نفسه ، ج11 ، ص 191 .

[4]- ينظر، المصدر نفسه ، ج1 ، ص 261 .

الأمر الثاني: التهوين من شأن معجزات الأنبياء، واعتبارها تابعة لزمن كان الإنسان فيه قاصرا عن سن الرشد والاستقلال، وهذا بيان ذلك:

ثانيا– حصره لمعجزة النبي– عليه السلام– في القرآن

قال تحت عنوان أسماه: آية نبوة محمد عقلية علمية وسائر آياته الكونية :" هذا وإن ما رواه المحدثون بالأسانيد المتصلة تارة وبالمرسلة أخرى من الآيات الكونية التي أكرم الله تعالى بها رسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم – هي أكثر من كل ما رواه الإنجيليون وأبعد عن التأويل. ولم يجعلها برهانا على صحة الدين ولا أمر بتلقينها للناس.

ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها، وفي موضوعها لأن البشر قد بدءوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك، بل هو من موانعه، فجعل صحة نبوة خاتم النبيئين عين موضوع نبوته، وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظي والمعنوي .. ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال إلى ما هم مستعدون له من الكمال"[1].

وقال في موضع آخر: "لو كان للبشر حاجة بعد القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم إلى الآيات، كما يدعي المفتونون بالكرامات ومخترعو الأديان والنحل الجديدة لما كان لختم النبوة معنى"[2].

وقال في موضع ثالث: "وبينا أن ما تدل عليه الآيات القرآنية المؤيدة بحديث الصحيحين الصريح في حصر معجزة نبوته صلى الله عليه وسلم في القرآن، وكون الآيات المقترحة تقتضي إجابة مقترحيها عذاب الاستئصال، هو الحق الذي لا ينهض لمعارضته شيء"[3].

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج11، ص 131.

[2]– المصدر نفسه، ج11، ص 196.

[3]– المصدر نفسه، ج11، ص 273.

فمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم محصورة عند رشيد رضا في القرآن الكريم دون ما سواه، "وأما ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية فلم يكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته، بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد [1]"، فقط لا غير .

ثالثا – موقفه من معجزات الأنبياء

ذاك بعض ما يخص موقف رشيد رضا من معجزات النبي – صلى الله عليه وسلم – بإجمال، أما معجزات الأنبياء فيرى أنها كانت نتيجة مرحلة من مراحل الإنسان التي لم يكن قد بلغ فيها بعد سن الرشد والاستقلال، وهو ما أشار إليه في تعريفه للمعجزة – كما سبق – ومما قال في ذلك نقلا عن الأستاذ عند تعليقه على بعض معجزات موسى عليه السلام: " فلق البحر كان من معجزات موسى "، ثم أضاف :" ولا يمنعنا هذا الإيمان من الاهتداء بسنن الله – تعالى – في الخلق واعتقاد أنها لا تتبدل ولا تتحول ... فانتهى بذلك زمن المعجزات، ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد، فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال، كما كان في سن الطفولة (النوعية)[2].

فلهذا فإن كلام رشيد رضا عن المعجزات كثيرا ما يقترن بما يضعف مقام تأثيرها في النفوس ومن ذلك قوله عن بني إسرائيل: " ومما حفظ من أخبار أنبياء بني إسرائيل: أن الله تعالى أيدهم بالأخبار عن بعض المغيبات وأيد المرسلين منهم: كموسى وعيسى – عليهم السلام – أجمعين بآيات أخرى من خوارق العادات، فقامت بها حجتهم على الناس، فآمن بها المستعدون، وكابرها المعاندون المتكبرون، وأعرض عنها المقلدون الجامدون "[3]، وقوله في موضع آخر: " أن الله تعالى لم يؤيد رسله بما أيدهم به من المعجزات إلا لتكون حجة لهم على أقوامهم يهدي بها المستعد للهداية"[4].

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج11، ص 132.

[2]- المصدر نفسه، ج1 ، ص 261 .

[3]- المصدر نفسه، ج1 ، ص 181.

[4]- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 186 .

فهو يرجع الإيمان بتلك المعجزات لوجود استعداد مسبق عند من اهتدى بها " بمعنى أن تأثير المعجزات في الناس لا يرجع إليها في ذاتها، باعتبارها قوة ربانية داعية إلى التصديق والإيمان، وإنما مرده فقط إلى وجود استعداد مسبق للاهتداء بها عند بعض الأشخاص .

وقد كان اهتمام رشيد رضا بالتفريق بين المعجزة والكرامة وأفعال السحر والشعوذة واضحا من خلال كتابته عن المعجزات، إلا أنه تجاوز القدر المحمود من ذلك إلى حد التقليل من شأن المعجزة وربطها بالخرافة والدجل. قال: " وقد كان أكثر من آمن بتلك الآيات إنما خضعت أعناقهم واستخذت أنفسهم لما لا يعقلون له سببا، وقد انطوت الفكرة على أن ما لا يعرف له سبب فالآتي به مظهر للخالق سبحانه إن لم يكن هو الخالق نفسه، وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والمشعوذين والدجالين، ولا يزالون كذلك "[1].

فالشيخ رشيد رضا يقر بوقوع معجزات للأنبياء، لكنه ينكر تأثيرها عند أهل العقول الراقية"[2]. أما معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فيحصرها في القرآن الكريم وحده، وما عداه منها فهو لا ينكر وقوع بعض منه، إلا أنه يفقده معنى الحجة والتحدي، ويعلله بأسباب أخرى، خارجة عن معنى الإعجاز ودوافعه .[3]

ومما ينبغي التنبيه عليه في موقف رشيد رضا من المعجزات أنه لم يسر فيها على نسق واحد، بل عرف موقفه منها كثيرا من التناقض، بين الإثبات تارة والإنكار تارات أخر .

فمن المعجزات التي كانت محل قبول منه: معجزة انفلاق البحر لموسى – عليه السلام – إذ يقول عند تفسير قوله تعالى: وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ (البقرة: 50) نقلا عن الإمام:" فلق البحر كان من معجزات موسى .. ويجب أن نؤمن بها على ظاهرها " [4]، ولا يكتفي رشيد رضا وأستاذه – هنا – بتقرير تلك المعجزة وإثباتها

[1]- رشيد رضا ، تفسير المنار، ج11 ، ص 132 .

[2]- ينظر: الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج2 ، ص 556 .

[3]- ينظر: متولي ، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، ص756 .

[4]- رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج1 ، ص 261 .

لموسى – عليه السلام –، بل يحاجون المنكرين لها بقولهم :" وزعم الذين لا يحبون المعجزات من المتهورين أن عبور بني إسرائيل البحر كان في إبان الجزر ... ولكن يدل على كونه آية له وصف كل فرق منه بالطود العظيم "[1] .

ثم يحكي مذهب المؤولين لهذه الآية – أي المعجزة – الناظمين لها في باب التشبيه والتصوير البلاغي ويعقب عليه بقوله :" وإنما بسطنا تأويلهم لئلا يتوهموا أننا لم نقل به، لأننا لم نهتد لتوجيهه مثلهم، ولا يهمنا أن ننازعهم في تأويل آية بخصوصها إذا علمنا أنهم يثبتون الآيات الكونية تأييدا للأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فإذا كانوا ينفونها كلها فالأولى لهم ألا يتعبوا في تأويل جزئياتها، فإن منها ما لا يقبل التأويل بحال من الأحوال، وحينئذ يكون الكلام بيننا وبينهم لإثباتها أولا في قدرة الله وإرادته، ثم في إثبات أصل الوحي وإرسال الرسل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".[2]

فانظر كيف يؤمن أصحاب المنار بهذه المعجزة ويدافعون عن ثبوتها، ويجعلون إنكارها ضربا من التهور، ويعرضون عن مناقشة تأويلها، لأن من آياتها ما لا يقبل التأويل بحال من الأحوال ".

ثم انظر إلى موقفهم من معجزة إبراهيم عليه السلام الواردة في قوله تعالى: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة:260).

وانظر إلى إنكارهم لها وصرفهم لمعناها تبعا لقول من أنكرها :" والكلام ههنا مثل لإحياء الموتى . ومعناه خذ أربعة من الطير فضمها إليك وآنسها بك، حتى تأنس وتصير بحيث تجيب دعوتك، فإن الطيور من أشد الحيوان استعدادا لذلك، ثم اجعل كل واحد منها على جبل ثم ادعها فإنها تسرع إليك لا يمنعها تفرق أمكنتها وبعدها من ذلك، كذلك أمر ربك إذا أراد إحياء الموتى يدعوهم بكلمة التكوين "كونوا أحياء فيكونوا أحياء ".[3]

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج1 ، ص 262 .

[2]- المصدر نفسه، ج1 ، ص 263 .

[3]- المصدر نفسه ، ج3 ، ص 47 .

وإذا ما تساءل سائل من المؤمنين بتلك المعجزة عن وجه الإعجاز في هذا المثل، فإن الجواب فيما قاله الإمام الأستاذ:" وهو أن الطير أكثر نفورا من الإنسان في الغالب، فإتيانها بمجرد الدعوة أبلغ في المثل" [1].

تأمل ذلك كله، وتأمل معه وجه اعتراضه على تقبلها في قوله :" وما صرف جمهور المتقدمين عن هذا المعنى على وضوحه إلا الرواية بأنه جاء بأربعة طيور من جنس كذا وكذا وقطعها وفرقها على جبال الدنيا، ثم دعاها فطار كل جزء إلى مناسبه حتى كانت طيورا تسرع إليه، فأرادوا تطبيق الكلام على هذا ولو بالتكلف، وأما المتأخرون فهمهم أن يكون في الكلام خصائص للأنبياء من الخوارق الكونية إن كان المقام مقام العلم والبيان والإخراج من الظلمات إلى النور، وهو أكبر الآيات ولكل أهل زمان غرام في شيء من الأشياء يتحكم في عقولهم وأفهامهم، والواجب على من يريد فهم كتاب الله تعالى أن يتجرد بالتأثر من كل ما هو خارج عنه، فإنه الحاكم على كل شيء ولا يحكم عليه شيء "[2].

وهنا يطرح السؤال: ما الفرق بين إنكار المنكرين لانفلاق البحر بعصا موسى، وتأويل هؤلاء لإحياء الطير بكلمة من الخليل – عليهما السلام – ؟. وما هو الوجه الذي ردوا به تأويل المنكرين لمعجزة سيدنا موسى ،وأيدوا به قول المنكرين لمعجزة سيدنا إبراهيم ؟.

لعلنا نجد الجواب في تعليقهم على لمعجزة الأولى بأنه: " هو الموافق لما في التوراة ".أما المعجزة الثانية فإن ما قاله علماء الإسلام فيها :" مأخوذ (حسب قولهم) من روايات حكموها في الآية، ولآيات الله الحكم الأعلى ".[3]

وهذه مفارقة عجيبة من رشيد رضا في قبول معجزات الأنبياء ورفضها . ولعل العجب يزول إذا علمنا أن الروايات المقررة لمعجزة موسى – عليه السلام – واردة في معظمها عن ابن عباس

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج3 ، ص 46 .

[2]- المصدر نفسه، ج3 ، ص 49 .

[3]- المصدر نفسه ، ج3 ، ص 48 .

وتلامذته وأصحابه ، وهو المتهم عند رشيد رضا بالرواية عن أهل الكتاب، بل إن وهب بن منبه " صاحب الغرائب والعجائب " هو واحد من رواتها أيضا [1] .

روى سعيد بن منصور بسند حسن عن ابن عباس :" في قوله عز وجل: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك "، قال: قطع أجنحتهن أرباعا، ربعا هاهنا، وربعا هاهنا في أرباع الأرض، (ثم ادعهن يأتينك سعيا)، قال: هذا مثل، كذلك يحي الله الموتى مثل هذا "[2].

قال الرازي في تفسيره :" أجمع أهل التفسير على أن المراد بالآية: قطعهن، وأن إبراهيم قطع أعضاءها ولحومها وريشها ودماءها، وخلط بعضها على بعض، غير أبي مسلم (يعني الأصفهاني) فإنه أنكر ذلك ".[3]

[1]- ينظر:ابن كثير، تفسير القرآن، ج1، ص528.

[2]- أبو عثمان **سعيد بن منصور** بن شعبة، التفسير من سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق: د/سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط 1 :1417هـ- 1997م، رقم443، ج3، ص972- 973. وقد علق المحقق على الحديث بأن سنده حسن لذاته وهو صحيح لغيره، وذكر عددا ممن أورده من المحدثين والمفسرين منهم البيهقي، والطبري، وابن أبي حاتم ، وأورد تفصيلا نفيسا يرجع إليه.

[3]- الرازي. مفاتيح الغيب، ج7، ص37.

المطلب الثاني: نموذج من رفضه لبعض معجزات النبي: قتال الملائكة يوم بدر

الفرع الأول: أقوال رشيد رضا في رفض تلك المعجزة

قتال الملائكة يوم بدر معجزة ثابتة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وقد وردت روايات المفسرين بوقوعها في تفسيرهم لقوله تعالى من سورة آل عمران: وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إلى قوله تعالى: وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ **[آل عمران:123-126]**، وقوله تعالى في سورة الأنفال: ۞ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ **[الأنفال:9-10]**.

أولا- التأويل اللغوي للقصة

لكن رشيد رضا أنكر وقوع تلك المعجزة وذهب إلى تأويلها، فقال في معنى **التسويم** الذي جاءت به آية آل عمران وصفا للملائكة وخيلها: " ومسومين من التسويم، قرأها ابن كثير وأبو عمر وعاصم ويعقوب بكسر الواو المشددة، والباقون بفتحها. وقد ورد سومه الأمر بمعنى كلفه إياه، وسوم فلانا: خلاه وسومه في ماله: حكمه وصرفه، وسوم الخيل: أرسلها، وكل هذه المعاني ظاهرة على قراءة فتح الواو من (مسوَّمين) فيصح أن، يكون المعنى: إن هؤلاء الملائكة يكونون مكلفين من الله تثبيت قلوب المؤمنين، أو محكمين ومصرفين فيما يفعلونه في النفوس من إلهام النصر بتثبيت القلوب والربط عليها أو مرسلين من عنده — تعالى — وأما قراءة كسر الواو (مسوِّمين) فهي من قولهم سوم على القوم إذا أغار ففتك بهم ولو بالإعانة المعنوية على ذلك، وقال بعض المفسرين: إنه من التسويم بمعنى إظهار سيما الشيء أي علامته، أي معلمين أنفسهم

أو خيلهم وهو كما ترى – لولا الرواية – لم يخطر على بال أحد منهم ويمكن أن يقال: مسومين للمؤمنين بما يظهر عليهم من سيما تثبيتهم إياهم " .[1]

ومما يستغرب فيما قاله رشيد رضا أنه أورد جميع معاني التسويم الموجودة عند اللغويين، وأبعد منها معنى" وضع العلامة على الشيء لتمييزه "، وقال أنه أثر من أثر الروايات في أقوال المفسرين. والحق أن ذلك المعنى وارد عند متقدمي أهل اللغة ومتأخريهم وهذه بعض أقوالهم في ذلك :

– قال الخليل الفراهيدي: "سوم فلان فرسه تسويما: أعلم عليه بحريرة، أو شيء يعرف بها...والوسم أثر كي. وبعير موسوم: وسم بسمة يعرف بها، من قطع أذن أو كي" [2] وقوله هذا واحد ضمن ما أورده من معانيها الكثيرة .

– وجاء في لسان العرب لابن منظور:" الخيل المسومة المرسلة وعليها ركبانها، وهو من قولك: سومت فلانا إذا خليته وسومه أي وما يريد، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيما والسومة وهي العلامة. وقال ابن الأعرابي: السيم العلامات على صوف الغنم. وقال تعالى: من الملائكة مسومين؛ قرئ بفتح الواو، أراد معلمين. والخيل المسومة: المرعية، والمسومة: المعلمة ".[3]

والأقوال في هذا كثيرة ومشتهرة عند اللغويين . وما أورد هرشيد رضا عن أهل اللغة في أن معانيها: "سوم على القوم إذا غار ففتك بهم "، كاف لرد تأويله، ومع ذلك فقد قيده بالإعانة المعنوية. ولا دليل له في ذلك .

وبهذا التأويل اللغوي، جعل رشيد رضا تلك المعجزة ضربا من الإمداد النفسي والمعنوي فقال:" أقول ما معنى هذا الإمداد بالملائكة فهو من قبيل إمداد العسكر بما يزيد عددهم أو

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار ،ج4 ، ص 91

[2]– أبو عبد الرحمن **الخليل** بن أحمد بن عمرو الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، (بدون طبعة) ، ج 7 ، ص 320- 321. .

[3]– ابن منظور ، لسان العرب، ج 12 ، ص 312.

عدتهم وقوتهم ولو النفسية وهذا هو الظاهر " .[1] ثم أضاف " والإمداد بالملائكة يمكن أن يكون من قبيل الإمداد بالمال الذي يزيد في قوة القوم، وأن يكون من الإمداد بالأشخاص الذين ينتفع بهم ولو نفعا معنويا، وذلك أن الملائكة تلابس النفوس فتمدها بالإلهامات الصالحة التي تثبتها وتقوي عزيمتها" [2]. وقال في آية الأنفال: " ثم بين تعالى أن هذا الإمداد أمر روحاني يؤثر في القلوب فيزيد في قوتها المعنوية فقال: وما جعلهالله إلا بشرى.."، ثم أضاف: "وظاهر نص القرآن أن إنزال الملائكة، وإمداد المسلمين بهم فائدته معنوية "[3].

فالإمداد الذي تحدثت عنه الآيات بوصفه بينة مؤيدة للرسول عليه السلام هو عند رشيد رضا إمداد معنوي لا غير. وذلك لأنه: "ليس في القرآن الكريم نص ناطق بأن الملائكة قاتلت بالفعل وإنما جاء ذكرا لملائكة في سياق الكلام عن غزوة بدر في سورة الأنفال على أنها وعد من الله –تعالى– بإمداد المؤمنين بألف من الملائكة، وفسر هذا الإمداد بقوله –عز وجل– إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ **[12:8]**.

هكذا قال، ثم زاد في الآية الأخرى أن: " مقتضى السياق أن وحي الله للملائكة قد تم بأمره إياهم بتثبيت المؤمنين، كما يدل عليه الحصر في قوله عن إمداد الملائكة: وما جعل هالله إلا بشرى ... وقوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب.. بدء كلام خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون تتمة للبشرى، فيكون الأمر بالضرب موجها إلى المؤمنين قطعا، وعليه المحققون الذين جزموا بأن الملائكة لم تقاتل يوم بدر تبعا لما قبله من الآيات وقيل إن هذا مما أوحي إلى الملائكة ،وتأوله هؤلاء بأنه تعالى أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى في قلوب المؤمنين بالإلهام، كما كان الشيطان يخوفهم، ويلقي في قلوبهم ضده بالوسواس".

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 4، ص 92 .

[2]– المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 92.

[3]– المصدر نفسه ، ج 9 ، ص506.

ثانيا– نقد رواياتها

ولما كانت الروايات سندا للقول بقتال الملائكة يوم بدر،فقد كان عمل رشيد رضا حثيثا في نقدها ،ورد ما ورد منها ،ولكن بعيدا عن قواعد المحدثين . قال :" وقد وردت روايات ضعيفة تدل على قتال الملائكة لم يعبأ الإمام ابن جرير بشيء منها ولم يجعلها حقيقة أن تذكر،ولو لترجيح غيرها عليها. وواصل كلامه مستفهما:" وما أدري أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التي يردها العقل، ولا يثبتها ماله قيمة من النقل"[1].

ثم قال: " وفي كتب السير وصف للمعركة علم منه القاتلون والآسرون لأشد المشركين بأسا – فهل تعارض هذه البينات النقلية والعقلية بروايات لم يرها شيخ المفسرين حرية بأن تنقل . ولم يذكر ابن كثير منها إلا قول الربيع بن أنس[2]: " كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوا بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به " ومن أين جاء الربيع بهذه الدعوى؟ ومن ذا الذي رؤي من القتلى بهذه الصفة ؟ وكم عدد من قتل الملائكة من السبعين وعدد من قتل أهل بدر غير من سموا وقالوا قتلهم فلان وفلان ؟ كفانا الله شر هذه الروايات الباطلة التي شوهت التفسير وقلبت الحقائق، حتى أنها خالفت نص القرآن نفسه "[3].

وأمام ذلك الكم المعتبر من الروايات الواردة في ذلك الشأن، لم يجد رشيد رضا بدا – كعادته – من الإلقاء باللائمة على كعب الأحبار وأمثاله لاحتمال أن يكون ابن عباس قد تحمل جزءا منها عنه فرواها مرسلة دون بيان: " ألا إن في هذا من شأن تعظيم المشركين، وتكبير شجاعتهم، وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول، وأشجعهم مالا يصدر عن عاقل إلا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند، ولم يرفع منها إلا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألوسي وغيره بدون سند، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر، لأنه كان صغيرا، فرواياته عنها

[1]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 9، ص 510.

[2]– الربيع بن أنس:ذكره ابن حبان في طبقة أتباع التابعين الذين رووا عن التابعين. ينظر:ابن حبان، الثقات، ج6، ص300.

[3]– رشيد رضا، تفسير المنار ، ج 9 ، ص 510- 511. . وحديث الربيع هذا ذكره ابن كثير في تفسيره: ج4، ص22، وذكر ابن حجر أن الحديث أخرجه يونس بن بكير في زيادات المغازي والبيهقي من طريق الربيع. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص312. وهو حديث موقوف على الربيع ولكن له رواية تؤيده في صحيح مسلم سوف تأتي معنا.

حتى في الصحيح مرسلة، وقد روى عن غير الصحابة حتى عن كعب الأحبار وأمثاله "[1]. هذا هو رأي رشيد رضا في هذه المسألة، وفيما يأتي مناقشة لبعض ماورد فيه :

الفرع الثاني: مناقشة تلك الأقوال

يمكن مناقشة رشيد رضا في جوانب عديدة من رأيه أركز على ما هو مهم منها:

1- مناقشته في القول بأن الإمداد بالملائكة كان إمدادا روحانيا فقط .

2- مناقشته في الاستدلال بأقوال الطبري .

3- مناقشة أقواله في روايات الحادثة .

أولا- مناقشته في قصر عمل الملائكة على الجانب الروحاني

القول بأن الإمداد بالملائكة يوم بدر كان إمدادا روحانيا متعلقا بملابسة نفوس الصحابة – رضوان الله عليهم – وإمدادهم بالإلهامات الصالحة التي تقوي العزائم وتثبتها، هو أثر من آثار الإمداد الجسماني، فإن الملائكة إذا نزلت بمنزل تغشته الرحمات وحلت به السكينة والبركات كما ورد في حديث أبي هريرة في الصحيح :" وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده "[2]. فقراءة القرآن سبب في تنزل الملائكة بالرحمة والسكينة، وهذا شأن ملائكة الرحمة أينما حلت .

وإذا كان رشيد رضا لديه اعتراض على كثرة عدد الملائكة الذي نزل لإعانة المسلمين بالقتال فإن ذلك الاعتراض نفسه وارد على قوله في حصر عمل أولائك الملائكة في الإلهام وما يشبهه،

[1]- رشيد رضا ، تفسير المنار ،ج 9 ، ص 511 .

[2]- مسلم، الصحيح، باب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم2699،ج4، ص 2074.

فالمعلوم أن كل إنسان له قرين من الجن يلهمه الشر، وقرين من الملائكة يلهمه الخير، فهو بهذا مكفي من حصر ذلك الإمداد بمجرد الإلهام النفسي والتثبيت المعنوي .

أما استكثار نزول الملائكة لما فيه من الدلالة على تحقير شأن الصحابة وتعظيم شأن المشركين، فهو نظرة قاصرة لمن يتعلق بالأسباب الظاهرة ويقف عندها . فإن الله جل وعلا وهو القائل في تلك الآيات نفسها : وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ **[الأنفال:10]**، إنما قدر إنزال أولائك الملائكة تكريما لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن ورائه تكريم صحابته – رضوان الله عليهم — ومن ثم زيادة ثقة المؤمنين بالله ورسوله، وإقامة الحجة على المشركين، فقد وردت عدة روايات تحكي عن المشركين مشاهدتهم لتلك المعجزة — وإن كان رشيد رضا لا يؤمن بشيء منها — .

فالسبب الرئيسي من نزول الملائكة هو مؤازرة المؤمنين وإشعارهم بأن لله جندا في السماء يقاسمونهم نفس الهم، ويحملون معهم نفس الهدف إضافة إلى إقائمة الحجة على الجاحدين، وإلا فإن جبريل — عليه السلام —كان قادرا وحده كما احتج المعترضون على قلع جيش المشركين بريشة واحدة من جناحه ولكن كما قال– صلى الله عليه وسلم– لملك الجبال عندما عرض عليه إهلاك قومه: "بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا "[1].

إذن فإنزال الله للملائكة تقاتل مع المسلمين يوم بدر، لم يكن عن ضعف منه –جل وعلا وحاشاه– في نصر المؤمنين بغير ذلك، بل كان لحكم أظهر لنا بعضا منها وأخفى منها الكثير.

قال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله :" سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأن تكون الملائكة مددا على عادة

[1]– مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ، رقم1795، ج 3، ص1420، والحديث ورد من رواية السيدة عائشة–رضي الله عنها–.

مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده والله تعالى هو فاعل الجميع والله اعلم "[1].

وقد تعلق رشيد رضا في تأويله ذلك بثلاث آيات: الأولى والثانية قوله تعالى: " وما جعله الله إلا بشرى " في سورتي آل عمران والأنفال، والثالثة قوله تعالى في سورة الأنفال: "إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ **[الأنفال:12]**.حيث جعل تثبيت الملائكة المذكور في هذه الآية تفسيرا للإمداد الذي ذكر في الآية التي قبلها فقال: " إنما جاء ذكر الملائكة في سياق الكلام عن غزوة بدر في سورة الأنفال على أنها وعد من الله تعالى_ بإمداد المؤمنين بألف من الملائكة، وفسر هذا الإمداد بقوله _عز وجل _: إذ يوحي ربك ...بنان الأنفال: 12 [2].وأيد ذلك بما ورد من الحصر في البشرى في الآيتين.

وقال في تفسير بشرى آل عمران: "الظاهر أن يكون التقدير وما جعل الله ذلك القول الذي قاله لكم الرسول وهو (ألن يكفيكم) إلخ إلا بشرى يفرح بها روعكم وتنبسط بها أسارير وجوهكم ...أي إن قول الرسول له هذا التأثير في تقوية القلوب وتثبيت النفوس. وإنما أرجعنا ضمير (جعله) إلى الرسول صلى الله عليه وسلم — لا إلى وعد الله — لأن الآيتين السابقتين ليستا وعدا من الله بالإمداد بالملائكة، وإنما هي إخبار عما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أخبر في تينك الآيتين أن رسوله قال لأصحابه ذلك القول، وبين في هذه الآية فائدة ذلك القول ومنفعته".[3]

أما ربط التثبيت بالإمداد فقد استدل عليه بكلام أبي جعفر الطبري، وسوف يأتي بيان ذلك قريبا. وأما قوله بأن آيتي آل عمران ليستا وعدا من الله بالإمداد بالملائكة، وإنما هي إخبار عما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، لا على الوعد بالإمداد، فيقال فيه: لنسلم أن الآيتين ليستا

[1]- ابن حجر ، فتح الباري، ج 7 ، ص313 .

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج4، ص93.

[3]- المصدر نفسه ، ج 4، ص 92-93 .

وعدا من الله، وإنما هي حكاية لقول النبي صلى الله لصحابته . ومع ذلك فهي لا تخرج عن كونها وعدا من الرسول صلى الله عليه وسلم، بدليل لفظها ومعناها وهذا يستلزم أمرين :

الأول: أن ذلك القول من الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته إما أن يكون على وجه الثقة بالله- سبحانه- من باب قوله- صلى الله عليه وسلم-فيما رواه عنه أنس بن مالك: " إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره "[1]. وهذا يستلزم إبرار الله جلا وعلا لوعد نبيه صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك بشرى للصحابة من بعده، أو تخلفه فيكون ذلك من باب خذلان الله لنبيه وحاشاه – جلا وعلا – أن يفعل ذلك .

الثاني: أن يكون ذلك القول من النبي- صلى الله عليه وسلم - من باب التفتي على الله وتبشير الصحابة بما لا رجاء له في تحققه، وحاشا رسول الله – عليه السلام- أن يقترف ذلك . فالتخريج على هذا الوجه الذي ذهب إليه رشيد رضا بعيد عن مدلول الآية . قال الشوكاني :" والضمير في قوله: جعله للإمداد المدلول عليه بالفعل، أو للتسويم، أو للإنزال " [2].

ثانيا- مناقشته في الاستدلال بأقوال الطبري

أكثر رشيد رضا في هذه المسألة من الاستشهاد بأقوال الطبري، حتى أنه ليخيل للقارئ أن ما قال به رشيد رضا هو نفسه ما ذهب إليه الطبري – رحمه الله – لكن الأمر على خلاف ذلك وهذا بيانه:

1- تفسير الطبري لمعنى " البشرى " الواردة في الآيتين

قال أبو جعفر في آية **آل عمران**: " وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم :" إلا بشرى لكم "، يعني بشرى، يبشركم بها " ولتطمئن قلوبكم به "، يقول وكي تطمئن بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبكم، فتسكن إليه ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم، وقلة عددكم "[3] .

---

[1]- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى:(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا).الأحزاب : 23، رقم2806، ج4، ص 19 .

[2]- الشوكاني، فتح القدير ، ج 1 ، ص433 .

[3]- الطبري ، جامع البيان ، ج7 ، ص 190 .

ثم ذكر عددا من الروايات المؤيدة لذلك المعنى الذي ذهب إليه، ابتدأها برواية لمجاهد جاء فيها: "وما جعله الله إلا بشرى لكم "، يقول: إنما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا إليهم، ولم يقاتلوا يومئذ – يعني يوم أحد – قال مجاهد: ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر"[1].

وقال في آية **الأنفال**: " يقول تعالى ذكره: لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضا وتتابعها بالمصير إليكم، أيها المؤمنون مددا لكم " إلا بشرى لكم "، أي بشارة لكم تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم " ولتطمئن به قلوبكم " ،يقول ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وتوقن بنصرة الله لكم " [2] واقتصر على رواية لمجاهد جاء فيها :" ما مد النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين، وذكر الثلاثة والخمسة بشرى، ما مدوا بأكثر من هذه الألف الذي ذكر الله عز وجل في " الأنفال "، وأما الثلاثة والخمسة فكانت بشرى "[3] .

فهاتان روايتان لمجاهد يستدل بهما الطبري على أن الإمداد بالملائكة حصل يوم بدر، وفي الأولى تصريح مجاهد بقتال الملائكة.

2- تفسير الطبري لمعنى " التثبيت " الوارد في آية الأنفال

قال تعالى في سياق الحديث عن غزوة بدر: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ **[الأنفال:12]**، قال الطبري في تفسيرها :" وأما قوله: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ) أنصركم (فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)، يقول: قووا عزمهم ،وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين ".[4]

---

[1]- الطبري ، جامع البيان ، ج 7 ، ص 191 .

[2]- المصدر نفسه ، ج 13 ، ص 418/417.

[3]- المصدر نفسه ، ج 13 ، ص 418 .

[4]- المصدر نفسه، ج 13، ص428

فهذه أقوال الطبري، ليس فيها شئ من الجزم بحصر عمل الملائكة في تقوية القلوب.لكن رشيد رضا ينقل قوله في معنى التثبيت ويعلق عليه بقوله :" وأنت ترى أنه جزم بأن عمل الملائكة في ذلك اليوم إنما كان موضوعه القلوب بتقوية عزيمتها، وتصحيح نيتها، وذكر قول من قال: إن ذلك كان بمعونتهم في القتال بصيغة تدل على ضعفه " [1] .

ومراد رشيد رضا من هذا هو حمل كلام الطبري على قصر معنى الإمداد بالملائكة على " عمل القلوب "، لكن ما قاله الطبري وارد في معنى " التثبيت " لا " الإمداد "، وما قاله فيه هو اجتهاد رآه، وقد اختار آخرون رأيا غيره .فاختيار الطبري لذلك المعنى في التثبيت غير لازم منه أن يكون مراده حصر عمل الملائكة كله في ذلك، بل هو ملازم لمعنى التثبيت عنده . وإن كان بعض ما قاله في تفسيره موهم بذلك، فإن استدلاله بروايتي مجاهد السابقتين ينفيه بشكل قاطع.

أما استئناس رشيد رضا بتفسير الطبري لآية آل عمران في البشرى، فكلام الطبري فيها وارد عن الإمداد بالثلاثة أو الخمسة آلاف، وهو محل خلاف بين العلماء في وقوعه من عدمه، وفي محل الوعد به أهو بدر أم أحد؟ .أما الإمداد يوم بدر بالألف فلا يشك فيه، ولذلك قال الطبري قبل تفسيره لآية البشرى: " غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة "[2]. وقد نقل رشيد رضا هذا الكلام عنه [3]. لكنه وجهه فيما بعد توجيها آخر فقال: " واعتمدنا في جله على تحقيق ابن جرير... وجملته أن الله تعالى أمد المؤمنين يوم بدر بألف من الملائكة فكان قوة معنوية لهم " [4].وهذا القيد الذي استنبطه صاحب المنار اعتمادا على تحقيقه لكلام الطبري غير وارد في كلام الطبري عن أصل الإمداد بالملائكة، وإنما هو وارد في كلامه عن التثبيت الذي هو فرع من فروع الإمداد، واختار الطبري أن يكون محله القلب، واختار غير هغير ذلك . فمزج رشيد رضا بين كلام الطبري عن الإمداد وكلامه عن التثبيت.

[1] رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 4، ص94.

[2]- الطبري ، جامع البيان ، ج 7 ، ص 181.

[3]- ينظر: رشيد رضا ، تفسير المنار، ج 4 ،ص 91_92.

[4]- المصدر نفسه ، ج9، ص506

إذن فالاتكاء على أقوال أبي جعفر الطبري للوصول إلى نتائج لم يقل بها طريق غير سائغ، وهو سلوك موهم بغير مراد الطبري من كلامه . والتحقيق العلمي المنصف يقتضي منا أن ننظم أقوال الآخرين في سياقها ،وأن نأخذ أحكامهم منها في مجموعها ،لا أن نجزئ أوصالها، ونشتت بناءها لنصل منها إلى نتائج لم يقل بها أصحابها... والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثالثا– مناقشة اعتراضه على الروايات الواردة فيها

وجه رشيد رضا انتقادات لاذعة للروايات الواردة في تلك المعجزة، فركز على القول بضعفها، واعترض على ما ورد فيها مرفوعا من حديث ابن عباس بحجة الإرسال والرواية عن كعب الأحبار وأمثاله. وهذا جواب ذلك :

إن ورود روايات ضعيفة في حادثة ما ليس مستغربا في باب الحديث وعلومه، والحكم فيه يرجع لقواعد التعديل والترجيح. لكن القول بعدم وجود روايات صحيحة في تلك الحادثة غير صحيح، بل إنه معارض بروايات الصحيحين ذاتها، ومن الأمثلة على تلك الروايات ما يأتي :

1– رواية ابن عباس في البخاري:" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر " هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب" [1]. وإذا كان رشيد رضا قد قدم اعتراضه على روايات ابن عباس بقوله:" فرواياته عنها حتى في الصحيح مرسلة " فإن صاحب الفتح قد سبقه إلى ذكر ذلك وتوجيهه فقال في تلك الرواية: "هو من مراسيل الصحابة، ولعل ابن عباس حمله عن أبي بكر" [2]. ثم ذكر بعد ذلك ما يستدل به على أخد ابن عباس له من الصديق– رضي الله عنه — .

2– ولابن عباس رواية أخرى في صحيح مسلم جاء فيها: "حدثني أبو زميل وهو سماك الحنفي، حدثني عبد الله بن عباس، قال حدثني: عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه :" اللهم أنجز لي ما وعدتني...

[1]– البخاري ، الصحيح ، كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرا، رقم3995، ج5 ، ص 81 .

[2]– ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص 313.

فأنزل الله عز وجل: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ **[الأنفال:9]** فأمده الله بالملائكة. قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري: فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :" صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة " فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين"[1]

فهذه رواية مسلم كافية وافية في الرد على كل اعتراض: فهي رواية مرفوعة، مسندة، مصرح فيها بالسماع، وفي ذلك رد على القول بأن روايات الحادثة "لم يرفع منها إلا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألوسي [2] وغيره بغير سند" -كما قال صاحب المنار- . وهي رواية نافية لشبهة الرواية أو الإرسال عن كعب الأحبار وأمثاله. وهي رواية مصدقة لرواية الربيع بن أنس والتي تعتبر مع رواية مسلم نصا في قتال الملائكة يوم بدر. ولذلك كانت هذه الرواية — عند صاحب المنار- محلا لوابل من الانتقاد والاعتراض.

ومن غريب ما يذكر أن رشيد رضا قد صور رواية ابن عباس تلك بكل وصف مسقط لحجيتها، وهو الذي روى صدرا منها في بداية تفسيره لقوله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ **[الأنفال:12]** تبيينا لمعنى الاستغاثة[3] .

---

[1]- مسلم ، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم رقمج3 ، ص 1383.

[2]- ترظر تلك الرواية عند الألوسي في تفسيره: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني **الألوسي**، روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني، تحقيق: علي عبد الرحمن عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1415هـ ج 5، ص 166 .

[3]- ينظر : رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 9 ، ص 501.

أما غمز تلك الروايات بأن" ابن جرير لم يعبأ بشيء منها ،ولم يجعلها حقيقة أن تذكر، ولو لترجيح غيرها عليها "، فإن صفحات تفسير اب ن جرير شاهدة بغير ذلك، ويكفيه روايتان صريحتان عن مجاهد.

وأخيرا فإن قتال الملائكة يوم بدر معجزة ثابتة للنبي صلى الله عليه وأصحابه. وهي معجزة مؤيدة برواية ترجمان القرآن عن فاروق الإسلام، في كتاب هو من أصح الكتب بعد القرآن، وليس فوق هذا أدنى بيان.

المطلب الثالث: نماذج من رفضه لمعجزات الأنبياء

الفرع الأول: القربان الذي تأكله النار

أولا– المراد منه

القربان الذي تأكله النار هو إحدى معجزات أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.تحدث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ (آل عمران: 183) .

قال ابن عباس :" نزلت هذه الآية في كعب بن الأشرف، وكعب بن أسد، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وزيد بت التابوت، وفنحاص بن عازوراء، وغيرهم، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد تزعم أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتابا، وقد عهد الله إلينا في التوراة أن لا نومن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، ويكون دوي خفيف، تنزل من السماء، فإن جيئتنا بهذا صدقناك، فنزلت هذه الآية "[1] .

والقربان: " هو ما يتقرب به العبد إلى ربه من صدقة "[2] . وقد كان أكل النار للقربان في بني إسرائيل علامة قبول لصدقاتهم، وكان ذلك الأمر معروفا عندهم، قال ابن عباس :" قوله: حتى

[1]– الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج 9 ، ص 449 . وروى ابن المنذر قريبا من هذا الحديث موقوفا على الضحاك. ينظر: أبو بكر محمد بن إبراهيم **بن المنذر** ،كتاب تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر– المدينة النبوية، ط 1: 1423 هـ – 2002م، ج2، ص519.

[2]– الطبري ، جامع البيان ، ج 7 ، ص 448 .

يأتينا بقربان تأكله النار "، كان الرجل يتصدق، فإذا تقبل منه، أنزلت عليه نار من السماء فأكلته"[1]، أي أكلت القربان .

وهذا الأمر يعد معجزة لأنبياء بني إسرائيل، حيث أيدهم الله به ليميزوا بذلك صدق أقوامهم من كذبهم فيما يقولون ويدعون .

ثانيا– رأي رشيد رضا فيه

أبعد رشيد رضا ذلك الوجه الإعجازي عن تلك الآية، وجعلها حكاية لشريعة عند اليهود، فقال نقلا عن الأستاذ الإمام :" ويجوز وهو الأظهر أن يكون معنى حتى تأتينا بقربان تأكله النار أن يفرض علينا تقريب قربان يحرق بالنار، فقد كان من أحكام الشريعة عندهم أن يحرقوا بعض القربان "[2].

وكان قد استدل لذلك القول بكلام نقله من سفر لليهود، وعقب على أقوال المفسرين بقوله:" فمن هنا تعلم أنهم كانوا يوقدون النار بأيديهم ويحرقون بها القرابين المحرقات، ولكن اليهود كانوا يلقون إلى المسلمين أخبارا من خرافاتهم، أو مخترعاتهم ليودعوها كتبهم، ويمزجوها بدينهم، ولذلك نجد في كتب قومنا من الإسرائيليات الخرافية ما لا أصل له في العهد القديم، ولا يزال يوجد فينا من يقدس كل ما روي عن أوائلنا في التفسير وغيره، ويرفعه عن النقد والتمحيص، ولا يتم تمحيص ذلك إلا لمن اطلع على كتب بني إسرائيل" [3].

هذا هو رأي رشيد رضا في تلك المعجزة التي أيد بها أنبياء بني إسرائيل، فهي لا تعدو أن تكون شريعة من شرائع اليهود في تقديم الصدقات والقرابين.

---

[1]– المصدر نفسه ، ج 7 ، ص 448-449 . والحديث رواه ابن المنذر موقوفا على الضحاك، وفي رواية على ابن جريج، ورواه ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس موقوفا، وسوف يأتي معنا ما يؤيده من روايات الصحيحين في حديثهما عن الغنائم. ينظر: ابن المنذر، كتاب تفسير القرآن، ج2، ص518 – 519. وينظر أيضا: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس = = بن المنذر **بن أبي حاتم** ، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، ط3 : 1419هـ، ج3، ص831.

[2]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 4 ، ص 220.

[3]– المصدر نفسه، ج4 ، ص 219.

ثالثا– المناقشة: يمكن مناقشة ذلك الرأي عبر بيان النقاط التالية:

1– تحدي اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك الطلب: إن إلقاء اليهود لذلك الطلب من النبي صلى الله عليه وسلم جاء على وجه التحدي له والتعجيز، وسياق الآية صريح في ذلك أو يكاد، ومعلوم أن المعجزة لا تقع باختيار الرسل ولا بكسبهم، وإنما هي أمر يؤيدون به خارج عن ذواتهم وإراداتهم، وهذا هو وجه الخطإ في تأويل صاحبي المنار، ذلك أن الإتيان بشريعة من شرائع اليهود غير متعذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خصوصا إذا كان ثمنه إيمان صناديد اليهود وكبرائهم، واعترافهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة . فما أيسر التظاهر بمثل ذلك، وما أسهل " تقديم قربان وحرقه " يكون نتاجه إسلام يهود وإيمانهم .

قد يقول قائل أن ذلك كان اختبارا من اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم أيمتثل لشريعتهم أم لا ؟، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمتثل لما فيه مخالفة لشرعنا، وتحريق القربان مخالف لشرعنا في حكم الصدقات، بل هو تبذير وإسراف تنهى عنه شريعة الإسلام، واليهود يعلمون ذلك، فجاء طلبهم لذلك المحال إمعانا منهم في التكبر والإعراض. والجواب على هذا أن قصر المراد على ذلك الوجه ممتنع بدليل ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الرد عليهم بقوله :" قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين "، فلفظ " البينات " قوي في الدلالة على إرادة ما يحتج به الأنبياء لدعوتهم وصدق رسالتهم. ولو استغنينا عن روايات المفسرين التي كانت محل شغب على الشيخ رشيد رضا لكان نص الآية وسياقها كافيان بمفردهما لتقرير تلك المعجزة وإثباتها لأنبياء بني إسرائيل.

2– استشهاد رشيد رضا بالتوراة: أما ما حكاه رشيد رضا عن التوراة فهو على ما فيه من المخالفة لأصول التدليل والاستشهاد، شاهد على تحريف اليهود لما بين أيديهم من شرائع الدين، وما ذلك إلا تستر منهم على قبح ما آلوا إليه، فإنهم لما علموا أن الله سوف يفضحهم فلا يتقبل منهم صدقاتهم، عمدوا إلى شريعتهم فحرفوها، وإلى قرابينهم فحرقوها، إخفاء لذلك الخزي، وإمعانا في التحريف والتبديل، وهذا هو السر في عدم وجود ذلك في كتب العهد القديم .

وكان الأولى بصاحب المنار أن يعتبر هذا الإخبار إعجازا من إعجازات القرآن، وأن يؤيد ما صح فيه من روايات، لا أن يعمد إلى إبعادها واستبدالها بأسفار أهل الكتاب، وهو القائل فيمن دونوها: " إنهم قد يتفقون في نقل الأقوال الخسيسة....وقد يتخالفون في نقل الأقوال العظيمة"[1].

3- ما يؤيد روايات المفسرين: أما ما رواه المفسرون في تلك المعجزة فهو مؤيد بحديث أبي هريرة الوارد في الصحيحين وغيرهما، وهذا لفظه عند البخاري :" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " غزا نبي من الأنبياء " فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ؟ ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولما يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات [2] وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك... فجمع الغنائم، فجاءت يعني النار لتأكلها، فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلان أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا، وعجزنا فأحلها لنا "[3].

وجاء في رواية مسلم :"حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث .."[4].

وقد كانت الغنائم محرمة على من قبلنا من الرسل والأمم، فكان إحلالها لنا خصيصة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وهذا الحديث يدل على صحة ما قاله المفسرون في شأن القربان عند بني إسرائيل . ومن لطائف الربط بين الآية والحديث أن أولائك القوم من اليهود

---

[1]- رشيد رضا ، تفسير المنار، ج9، ص248.

[2]- الخلفات:"جمع مفرده خلفة وهي الناقة الحامل". أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله **الحميدي**، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق:د/ زبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة – القاهرة، ط 1: 1415هـ- 1995م، ج1، ص365.

[3]- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:أحلت لكم الغنائم،رقم3124، ج4، ص86.

[4]- مسلم ، الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ،رقم1747، ج3 ، ص 1366 .

حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم على تلك الخصيصة التي كانت محرمة عليهم في شرعهم، فتحدوه بما قالوا . والله أعلم .

4- شبهة الإسرائيليات: أما شبهة الرواية عن بني إسرائيل، فمما يقوي ورودها عند رشيد رضا- فيما أعتقد- أن روايات المفسرين تدور في معظمها على ابن عباس وأصحابه كالضحاك وقتادة، ومنها رواية لابن جريج ذكرها ابن المنذر في تفسيره [1]. وروايات الصحيحين وغيرهما من كتب المحدثين مدارها على " همام بن منبه عن أبي هريرة "، ورواية مسلم التي صرح فيها همام بتحديث أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقها عبد الرزاق، وهؤلاء جميعا متهمون في روايتهم عند صاحب المنار.

فتهمة همام بن منبه أنه "أخو وهب "، وهما " صاحبي الغرائب في رواية الإسرائيليات " [2] وأما عبد الرزاق فتهمته أنه" ابن همام الصنعاني الشهير "، وهو كما قال " معروف بالتشيع، وعمي في آخر عمره فخلط، وكان من مشايخه عمه وهب بن منبه وناهيك به " [3]. أما تهمة الصحابيين الجليلين أبي هريرة وابن عباس وتلاميذه فهي تهمة تكاد تأتي على روايات التفسير المأثور من الأساس، إذ أن " البلية -كما قال الشيخ رشيد رضا - في الرواية عن كعب الأحبار، وممن روى عنه أبو هريرة وابن عباس، ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن تلاميذه، ومنهم المدلسون كقتادة، وكذا غيره من كبار المفسرين كابن جريج " [4].

وهكذا استحكمت شبهة الرواية عن أهل الكتاب في رد معجزة ثابتة بالقرآن، ومشهود لها برواية صحابيين جليلين: أحدهما ابن عباس ترجمان القرآن، وثانيهما أبو هريرة الذي اتفق الشيخان وغيرهما على تخريج روايته في شأن القربان. ولنا أن نحاكم رشيد رضا إلى ما قاله بنفسه في التفسير وهو :" أن كون الشيء بعيدا عن الأسباب المعتادة والأمور المعهودة والسنن المعروفة — لا يقتضي

---

[1]- ينظر: ابن المنذر، كتاب تفسير القرآن، ج2، ص 518.

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج 9، ص 315، بتصرف يسير.

[3]- المصدر نفسه، ج 9 ، ص 420. وينظر في تحليل تلك التهمة والرد عليها : شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص133-141.

[4]- رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج9، ص 423.

أن يكون محالا يجزم بعدم وقوعه، وبكذب المخبر به، مع قيام الدليل على صدقه، وإنما غايته أن يكون الأصل فيه عدم الثبوت فيتوقف ثبوته على الدليل الصحيح "[1].

ومن هنا يقال : إذا كان ما تقدم في تلك المعجزة مما حكاه القرآن وبينه الشيخان وأصحاب الحديث لا يرقى – عند رشيد رضا – إلى مستوى "الدليل الصحيح " فإننا لا نفقه لهذا الدليل مسمى يصدق عليه .

الفرع الثاني: رفع جبريل لقرية قوم لوط– عليه السلام–

أولا– رأي رشيد رضا في القصة

تحدث القرآن الكريم عن عذاب مجموعة من الأمم التي كذبت رسلها و أنبياءها فاستحقت بذلك عذاب الله وعقابه، وكان عقاب المكذبين –في العادة–يحمل في نفسه أنواعا من ألوان التحدي والإعجاز، ومن ذلك عقاب قوم لوط الذي تحدث عنه القرآن في عديد من الآيات، منها قوله تعالى في سورة هود:" فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾

وقد جاءت روايات المفسرين مبينة لهذا المعنى، وهو ما انتقده رشيد رضا في قوله :" وفي خرافات المفسرين المروية عن الإسرائيليات أن جبريل– عليه السلام – قلعها من تخوم الأرض بجناحه، وصعد بها إلى عنان السماء حتى سمع أهل السماء أصوات الكلاب والدجاج فيها، ثم قلبها قلبا مستويا فجعل عاليها سافلها" [2].

ثم بين رشيد رضا وجه اعتراضه على تلك الروايات بقوله :" ولكن الشرط الأول لقبول الرواية في أمر جاء على غير السنن والنواميس التي أقام الله بها نظام العالم من عمران وخراب، أن تكون الرواية بنقل إلهي نقل بالتواتر عن المعصوم أو بسند صحيح متصل الإسناد لا شذوذ فيه ولا علة على الأقل، ولم يذكر في كتاب الله – تعالى– ولم يرد فيه حديث مرفوع إلى نبيه – صلى الله

[1]– المصدر نفسه، ج 11، ص 199 .

[2]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 12 ، ص 114 .

عليه وسلم – ولا تظهر حكمة الله فيه، وإنما روي عن بعض التابعين دون الصحابة ولا شك أنه من الإسرائيليات" [1].

وقد حاول رشيد رضا تقريب تلك الصورة للأذهان بتفسير علمي تعيه العقول فقال: "وسنة الله تعالى في خسف قطر من الأقطار أن يحدث تحتها فراغ بقدرها بسبب تحول الأبخرة التي في جوفها بمشيئته وقدرته فينقلب ما فوقه إما مستويا وإما مائلا إلى جانب من الجوانب إن كان الفراغ تحته أوسع، وفي بعض هذه الأحوال يكون عاليها سافلها ... والمرجح عند علماء الأرض أن قرى لوط التي خسف بها تحت الماء المعروف ببحر لوط أو بحيرة لوط، وقيل من عهد قريب أن الباحثين عثروا على بعض آثارها كما تقدم "[2].

ثانيا– المناقشة

1– قول رشيد رضا: " إنما روي عن بعض التابعين دون الصحابة " هو كذلك في معظم كتب التفسير مروي عن مجاهد وقتادة ومحمد بن كعب القرظي، لكن توجد رواية لابن عباس رواها ابن أبي حاتم في تفسيره :" عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فلما كان في جوف الليل أدخل جناحيه تحت القرية فرفعها حتى إذا كانت في جو السماء حتى إنهم ليسمعون أصوات الطير قلبها ثم تتبع الشذاذ من خرج منهم بالحجارة "[3].

وإذا كانت رواية ابن عباس هذه محتملة – عند رشيد رضا – لمجيئها من طريق الإسرائيليات فإن هناك رواية أخرى لحذيفة في مصنف ابن أبي شيبة جاء فيها :" وقال ملك فأهوى بجناحه هكذا – يعني– شبه الضرب، فما غشيه أحد منهم، تلك الليلة إلا عمي، قال: فباتوا بشر ليلة عميانا ينتظرون العذاب، قال: وسار بأهله حتى قال: استأذن جبريل في هلكتهم فأذن جبريل

[1]– المصدر نفسه ، ج 12 ، ص 115 .

[2]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج12 ، ص 113. وانظر تعليقه بعكس ذلك تماما عند تفسيره لقصة لوط–عليه السلام– في سورة الأعراف: ج8، ص453.

[3]– ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص2067 .

فاحتمل الأرض التي كانوا عليها، قال: فأهوى بها حتى سمع أهل السماء الدنيا صغاء كلابهم، قال ثم قلبها بهم"[1]. وهي رواية طويلة جدا في قصة قوم لوط .

فهاتان الروايتان تقوي القول أن لهذه القصة أصلا عند الصحابة ؛ فابن عباس من أعلمهم بالتفسير، وحذيفة من أعلمهم بالفتن، وهذه منها.

وبهذا يسقط قول المنار بأن القصة مروية عن بعض التابعين دون الصحابة، وإن كانت رواية التابعين لها في كتب التفسير هي الأكثر فعلا .

يضاف إلى هذا من الدلائل قوله تعالى في سورة النجم :" والمؤتفكة أهوى "(النجم: 53)، فهي في قوم لوط، وأورد البخاري في تفسيرها قوله :" أهوى" (النجم : 53) ألقاه في هوة "2 أي في حفرة عميقة، قال الفيروزآبادي: "الهوة: ... ما انهبط من الأرض، أو الوهدة الغامضة منها "[3].

2- قول رشيد رضا: " وسنة الله تعالى في خسف قطر من الأقطار أن يحدث تحتها فراغ بقدرها..." هو نحو في تفسير هذه الآية تفسيرا علميا يقربها من الأذهان والعقول، في محاولة لإبعاد معنى الخارقة والإعجاز عن موضوعها. وكون تلك القرى المخسوف بها موجودة تحت الماء - حسب ما رجحه علماء الأرض كما قال – لا يمنع من اجتماع الأمرين معا، فالروايات تفيد أن جبريل رفعها إلى السماء ثم ألقى بها إلى الأرض، مما يمكن معه نزول تلك القرى إلى المياه الموجودة أسفل الأرض بعد إلقائها من السماء، وهذا قريب من آية النجم، فإن الله – تعالى – ذكر في سورة هود أنه جعل عاليها سافلها، وذكر في النجم أنه أهواها، أي ألقاها في هوة، وهي الحفرة

---

[1]-أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم **بن أبي شيبة**، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد-الرياض، ط1: 1409 هـ،كتاب الفضائل، ما ذكر في لوط عليه السلام ،رقم31835،،ج 6، ص 331= =وروى الحاكم مثله عن ابن عباس وقال أنه صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. ينظر: أبو عبد الله **الحاكم** محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1411هـ-1990م، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، ج2، ص374.

[2]- البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن،، ج6، ص 63.

[3]- أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب **الفيروزآبادي** ، القاموس المحيط ، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،-بيروت، ط8: 1426هـ-2005م، ج1، ص1347.

الغامضة من الأرض- كما مر معنا- . فالقول بوقوع هذه المعجزة لا يتنافى مع ما اكتشفه علماء الأرض— إن كان ثابتا — حتى يكون دافعا عند رشيد رضا، لرد ما ورد فيها من روايات.

وليس الغرض مما ذكر تحميل القرآن ما لا يحتمله مسايرة لاكتشافات العلماء، ولكن الغرض أن ما اكتشفه العلماء — إن ثبتت صحته — ليس فيه ما يتنافى مع الفهم الصحيح لتلك الآيات وما ورد فيها من روايات، وليس المقصود أيضا من إثبات رواية جبريل موافقة المفسرين في كل ما جاءوا به في هذه القصة وأمثالها، وإنما المقصود أن تدرس الروايات وتنتقد نقدا علميا متزنا بعيدا عن الإفراط والتفريط.

وهذه كلمة للإمام الشوكاني في تلك الروايات الواردة في هذه القصة، ذكرها بعد تفسيره للآية بحادثة جبريل ثم أضاف: " وقد ذكر المفسرون روايات وقصصا في كيفية هلاك قوم لوط طويلة متخالفة، وليس في ذكرها فائدة، لاسيما وبين من قال بشيء من ذلك وبين هلاك قوم لوط دهر طويل لا يتيسر له في مثله إسناد صحيح، وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب وحالهم في الرواية معروف " [1]. فانظر إلى نقد الشوكاني لإسرائيليات التفسير. ومن مثل ذلك نعلم كيف يمحص التفسير المأثور، فلا يرد كله، ولا يقبل كله، ولكن لكل حالة دليل وبيان.

الفرع الثالث : بعض أوصاف حجر حجر موسى – عليه السلام –

أولا – عرض القصة ورأي رشيد رضا فيها

قال تعالى في سورة البقرة :"وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ **[البقرة:60]**.

وقال تعالى في سورة الأعراف: وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ

[1] الشوكاني ، فتح القدير ، ج2 ، ص 586 .

عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ **[الأعراف:160]**.

تحكي الآيتان معجزة من معجزات موسى – عليه السلام – وهي تمكين الله له من توفير الماء لقومه يوم أن كانوا في التيه، وذلك بضرب موسى للحجر بعصاه فيتفجر عيونا بعدد أسباط قومه الاثنتي عشرة، وأورد المفسرون روايات عدة في وصف ذلك الحجر، منها المقبول والمردود. ومن تلك الروايات ما يصف ذلك الحجر بصغر حجمه .

وقد أثبت رشيد رضا من معجزات موسى – عليه السلام – ما ورد ذكره في القرآن الكريم، لكنه رفض معظم ما ورد في رواياتها من تفاصيل فاعترض على ما ذكره المفسرون من صفات ذلك الحجر فقال :" وفي عرائس المجالس عن وهب بن منبه أن موسى كان يقرع لهم أقرب حجر فتنفجر منه عيون ..... ولولا جنون الرواة بكل ما يقال عن بني إسرائيل لما قبلوا من مثله أن يشرب مئات الألوف من حجر صغير يحمل "[1].

وكان قد استنبط من رواية التوراة للقصة كبر ذلك الحجر :" فلا بد أن تكون مساحة ذلك الصخر واسعة جدا، وأن يكون السهل أمامه أفسح ليسع الألوف من الأسباط يردون ويصدرون"[2]. ومهد لتلك الفكرة بمناقشة أقوال اللغويين في معنى " الانبجاس والانفجار " فقال: "والانبجاس والانفجار واحد .... وزعم الطبرسي أن الانبجاس خروج الماء بقلة، والانفجار خروجه بكثرة، وأنه عبر بهما لإفادة أنه خرج أولا قليلا ثم كثر، وأدق منه قول الراغب: الانبجاس أكثر ما يقال في الخروج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه، وفيما يخرج من شيء واسع، فاستعمل حيث ضاق المخرج اللفظان ... أقول: ولكن رواة اللغة فسروا أحدهما بالآخر، وذكروا من الشواهد عليه ما يدل على الكثرة "[3].

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج 9، ص 310.

[2]- المصدر نفسه ، ج9 ، ص 310 .

[3]- المصدر نفسه، ج 9 ، ص 309 .

ثانيا– المناقشة

1– رواية وهب بن منبه رواية إسرائيلية وطريق الحكم عليها معروف، أما ما ورد فيها من القول بصغر الحجر الذي جعل رشيد رضا قبول القول به ضربا من جنون الرواة فإن له أصلا في حديث الفتون الطويل الذي رواه ابن عباس في تفسير قوله تعالى:**وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا [طه:40]**.

وحديث الفتون رواه جماعة منهم النسائي في سننه، وشهد لابن عباس برفعه فقال :" وجعل بين أظهرهم حجرا مربعا، وأمر موسى فضرب بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، في كل ناحية ثلاثة أعين، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها، فلا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان فيه بالأمس، رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشا على موسى أمر القتيل الذي قتل، فقال: كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك ؟ فغضب ابن عباس، فأخذ بيد معاوية فانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له: يا أبا إسحاق، هل تذكر يوما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون ؟ الإسرائيلي أفشا عليه أم الفرعوني ؟ قال: إنما أفشى عليه الفرعوني ما سمع من الإسرائيلي شهد على ذلك وحضره "[1].

[1]– أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني **النسائي**، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط 1: 1426هـ-2005م، كتاب التفسير، سورة طه، حديث الفتون، رقم11263، ج10، ص172.وقال الهيثمي: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أيوب وهما ثقتان". الهيثمي، مجمع الزوائد، ج7، ص66.

هذا من جهة ثبوت الرواية. والسؤال الذي يطرح: إذا كان رشيد رضا معترفا بمعجزة انفجار الحجر لموسى – عليه السلام– بضربة من عصاه فما المانع أن يضاف إلى تلك المعجزة وجه آخر من وجوه إعجازها، إذا ثبت لدينا بطريق صحيح؟ أي ما المانع من كون ذلك الحجر صغيرا يشرب منه مئات الألوف ما دام المقام مقام تحد وإعجاز؟.

طرح الرازي سؤالا في ذلك المقام لتقرير تلك المعجزة فقال: "كيف يعقل خروج المياه العظيمة من الحجر الصغير؟ الجواب: هذا السائل إما أن يسلم وجود الفاعل المختار أو ينكره، فإن سلم فقد زال السؤال...وإن نازع فلا فائدة له في البحث عن معنى القرآن، والنظر في تفسيره، وهذا هو الجواب"[1].

2– أما قول الطبرسي والراغب الأصفهاني في التفريق بين الانفجار والانبجاس، فقد سبقهما إليه أبو عمرو بن العلاء، كما اختار القول به مجموعة من العلماء [2]، وعليه فإن التفريق بين المعنيين مذهب لجماعة من أهل اللغة والتفسير، فلا مبرر لاستدراك رشيد رضا على من ذهب إليه .

ومن جهة أخرى، فإن التفريق بين اللفظتين لا يخرج عند القائلين به عما يكون بين الألفاظ من العموم والخصوص، وإنما كان قولهم بالتفريق من أجل الإشارة إلى لطيفة من لطائف القرآن الكريم من حيث دقته في التعبير .

والظاهر أن مراد رشيد رضا من هذا هو التنبيه على تأثر التفسير اللغوي للقرآن بمرويات أهل الكتاب، فجعل ذلك التفريق يبدو شاذا لا سند له، مع أنه مذهب لمجموعة من اللغويين الذين استعملوه – كما ذكر– فيما يكون بين الألفاظ من الخصوص والعموم .

وإنما الحامل لرشيد رضا على هذا النقد اللغوي هو نفي صفة الصغر عن حجر موسى – عليه السلام– ليكون كما قال – موافقة للتوراة –:" واسع المساحة، فسيح السهل، ليكون فيه

[1]– الرازي، مفاتيح الغيب،ج3، ص529 .

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ج 15، ص 388 .

متسع للألوف من بني إسرائيل ". ولعل عقولنا هي التي ينبغي أن تنفسح وتتسع لتفهم عن القرآن دقائق عباراته ولطائف تعابيره.

خاتمة المبحث

يمكن تلخيص المبحث في النقطتين التاليتين :

– معجزات الرسل والأنبياء من أقوى الدلائل التي يؤيدهم الله جل وعلا بها، لإظهار صدقهم وإقامة الحجة على المكذبين من أقوامهم.

– تعامل رشيد رضا مع المعجزات بنزعة عقلية حسية، جعلته يرد الكثير منها، خصوصا ما جاء عن طريق الرواية والحديث، لأنها –كما يعتقد– مجالا قابلا لدخول الإسرائيليات وخرافاتها، لكن ذلك الاعتقاد كان مبنيا في كثير من جوانبه على أسس غير سليمة، لم تسلم منها حتى روايات الصحيحين. مما يؤكد لنا أن تذرعه بروايات أهل الكتاب كان مجرد تبرير لقضية قرر الحكم فيها وفقا للعقل وما يتقبله بعيدا عن الرواية وأحكامها. وهذا منهج غير قويم في نفسه لأن العقول تتفاوت تفاوتا نسبيا فيما ترفضه من قضايا أو تتقبله.

الفصل الثالث

محتويات الفصل

المبحث الأول: التوراة والإنجيل في مفهوم اليهود والنصارى والمسلمين.

المطلب الأول: التوراة والإنجيل وموقف القرآن منهما.

المطلب الثاني: موقف علماء الإسلام من تحريفها وجهودهم في نقدها.

خاتمة المبحث.

المبحث الثاني: نقد التوراة والإنجيل عند رشيد رضا.

المطلب الأول: نقدها في جانب العقيدة والثبوت.

المطلب الثاني: موقفه من تحريفها.

خاتمة المبحث.

المبحث الثالث: روايات الإنجيل والتوراة في المنار وأثرها في تفسير القرآن ورد الحديث.

المطلب الأول: استدلاله بالتوراة والإنجيل في تفسير القرآن الكريم .

المطلب الثاني: أثر ذلك الاستدلال في رد الحديث النبوي الصحيح .

خاتمة البحث.

المبحث الرابع: إقحامها في نقد الإسرائيليات والتفسير المأثور.

المطلب الأول: قصة بقرة بني إسرائيل.

المطلب الثاني: ما حرم على بني إسرائيل من الطعام .

خاتمة المبحث.

تمهيد

يتناول هذا الفصل مجموعة من النقاط التي نحلل من خلالها موقف رشيد رضا من توراة اليهود وإنجيل النصارى، ونتعرف على مسالكه في توظيف رواياتها.

وهو مقسم إلى أربعة مباحث:

أولها: التوراة والإنجيل في مفهوم اليهود والنصارى والمسلمين.
ثانيها: نقد الإنجيل والتوارة عند رشيد رضا.
ثالثها: روايات الإنجيل والتوراة في المنار وأثرها في تفسير القرآن ورد الحديث.
رابعها: إقحامها في نقد الإسرائيليات والتفسير المأثور.

المبحث الأول: التوراة والإنجيل في مفهوم اليهود والنصارى والمسلمين

يتحدث هذا المبحث عن بعض المفاهيم المتعلقة بالتوارة والإنجيل من حيث تعريفهما، ومكانتهما بين المصادر اليهودية والنصرانية، ونظرة القرآن الكريم لهما.

كما يتناول موقف المسلمين مما وقع من تحريف في تلك المصادر وأقوالهم في حكم قراءتها ومطالعتها، وإبراز جهودهم في نقدها ؛ في محاولة لإعطاء نظرة تمهيدية يقيم من خلالها موقف رشيد رضا من تلك الروايات الكتابية التي أخذت حيز معتبرا من تفسير المنار.

وهذه مطالب المبحث :

الأول: التوراة والإنجيل وموقف القرآن منهما.

الثاني: موقف علماء الإسلام من تحريفها وجهودهم في نقدها.

المطلب الأول: التوراة والإنجيل وموقف القرآن منهما

الفرع الأول: تعريفهما

أولا– تعريف التوراة

التوراة لغة: لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة " [1] .أي أنه يحمل مجموعة من التعاليم ومجموعة أخرى من التشريعات.

التوراة اصطلاحا: يطلق لفظ التوراة في الاصطلاح على :" خمسة أسفار يقول أهل الكتاب أن موسى كتبها بيده "[2]، وهذه الأسفار الخمسة هي :

1 **سفر التكوين:** يتحدث عن خلق السماوات والأرض، وخلق آدم وحواء، والأنبياء إلى حين موت –يوسف عليه السلام–.

2 **سفر الخروج** : ويتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى – عليه السلام –.

3 **سفر اللاويين** : نسبة إلى سبط بني لاوى بن يعقوب الذي من نسله موسى وهارون عليهما السلام، ويتضمن بعض الأمور المتعلقة بهم، وبعض الشعائر الدينية الأخرى .

4 **سفر العدد** : وهو معني بعد بني إسرائيل، ويتضمن توجيهات وأحداث وقعت لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر .

5 **سفر التثنية** : ويعني تكرير الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي على اليهود كرة بعد الأخرى، وينتهي هذا السفر بالحديث عن موت موسى عليه السلام [3].

---

[1]– محمد بن **رحمت الله** بن خليل الرحمن الكيراوني العثماني **الهندي** الحنفي، إظهار الحق، دراسة وتحقيق وتعليق: د/محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد – السعودية ، ط 1 : 1410هـ ، 1989م ، ج 1 ، ص 99 .

[2]– رشيد رضا، تفسير المنار ، ج 3 ، ص 129 .بتصرف يسير.

[3]– ينظر: سعود بن عبد العزيز **الخلف**، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف– الرياض، ط4: 1425هـ-2004م، ص74-75.

وتعتبر التوراة من أهم المصادر التي يستمد اليهود منها عقيدتهم وتعاليم ديانتهم اليهودية ، وهذه المصادر هي:" التوراة والكتب الملحقة بها والتلمود ويضاف إليها البروتوكولات لدى الصهاينة في العصر الحديث وإن كانت هذه الأخيرة ليست مصدرا مقدسا إلا أنها جديرة بالإشارة والذكر "[1].

التوراة في عرف القرآن : وتطلق التوراة في المفهوم القرآني على:" ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى – عليه الصلاة والسلام – ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به"[2].

ثانيا– تعريف الإنجيل

الإنجيل لغة: لفظ معرب " كان في الأصل اليوناني (انكليون) بمعنى البشارة والتعليم "[3] . فهو في الأصل – كما التوراة أيضا – لفظ أعجمي غير عربي، ومع ذلك فقد اشتغل بعض علماء المسلمين من المفسرين وغيرهم بالبحث عن مادة اشتقاقه، قال الزمخشري: "والتوارة والإنجيل اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وأفعيل، إنما يصح بعد كونهما عربيين، وقرأ الحسن: الإنجيل بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمة، لأن أفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب " [4] . وقال الرازي بعد ذكر مجموعة من المسائل المتعلقة بلفظ الإنجيل :" فالتوراة والإنجيل اسمان أحدهما بالعبرية والآخر بالسريانية، فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بتطبيقهما على أوزان لغة العرب، فظهر أن الأولى بالعاقل أن لا يلتفت إلى هذه المباحث والله أعلم "[5].

الإنجيل اصطلاحا: ويطلق لفظ الإنجيل في الاصطلاح على :" مجموع أربعة أناجيل هي إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا "[6]. وهذه " الأناجيل الأربعة عبارة عن كتب وجيزة في سيرة المسيح – عليه السلام – وشيء من تاريخه وتعليمه "[7].

---

[1]– الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص 71 .

[2]– رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج3 ، ص 129 .

[3]– رحمت الله الهندي ، إظهار الحق ، ج1 ، ص 103 .

[4]– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، **الزمخشري** جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي– ببروت ، ط3 :1407 هـ، ج1 ، ص 335-336 .

[5]– الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج 7 ، ص 132 .

6 – ينظر: رحمت الله الهندي ، إظهار الحق ، ج1 ، ص 103 .

7 – رشيد رضا، تفسير المنار ، ج3 ، ص 131 .

الإنجيل في عرف القرآن : الإنجيل في مفهوم القرآن "عبارة عن الكلام الذي أنزله الله على عيسى – عليه السلام –"[1].

وقد حمل الإنجيل لواء التبشير بالنبي الخاتم – عليه السلام – وهو ما نجده جليا في القرآن الكريم عند قوله تعالى على لسان عيسى : **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ [الصف:6]**.

وذكر الشيخ رحمت الله الهندي – رحمه الله – أن: "البشارات الإنجيلية في حق النبي محمد صلى الله عليه وسلم موجودة بكثرة إلى الآن رغم وقوع التحريف في تلك الكتب، وأن تلك الإخبارات المحمدية في غاية القوة "، وذكر منها ثماني عشرة بشارة نقلها عن الكتب المعتبرة عند علماء المسيحين البروتستنت[2].

وقد مر معنا في التعريف اللغوي للإنجيل معنى البشارة، وهو ما يناسب مفهومه في عرف القرآن، وإن كان النصارى يحرفون ذلك المعنى ويحملونه على معان تناسب عقيدتهم وديانتهم المحرفة.

ثالثا– مكانتهما ضمن المصادر اليهودية والنصرانية

تعتبر التوارة مصدرا مهما عند اليهود لاستمداد تعاليم الديانة اليهودية وتشريعاتها، وتدخل ضمن ما يعرف بالعهد العتيق أو **العهد القديم** الذي يطلق على :" كتاب اليهود المقدس، والتوراة جزء منه، وتسمى أيضا أسفار موسى الخمس، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، أو للمكانة التي يحتلها موسى – عليه السلام – فهو في منظورهم من أبرز زعمائهم، وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي "[3].

---

[1] – ينظر:رحمت الله الهندي، إظهار الحق ، ج2 ، ص 394-395 .

[2] – المصدر نفسه ، ج4 ، ص 1115.

[3] – كمال معزي ، أثر الاسرائيليات في الفكر العقدي الإسلامي (رسالة ماجستير) ، ص 13.

ويدعي النصارى في كتب العهد القديم أنها وصلت إليهم بواسطة الأنبياء الذي كانوا قبل عيسى – عليه السلام– وهو عندهم ينقسم إلى قسمين:

– **قسم متفق عليه بين جمهور قدمائهم**: يضم ثمانية وثلاثون كتابا منها التوراة بأسفارها الخمسة.

– **قسم مختلف في صحته**: وعدده تسعة كتب[1].

فالعهد القديم على هذا مصدر مشترك بين اليهود والنصارى، فهو يمثل " القسم الخاص بالعبادة اليهودية التي هي أساس المسيحية الحالية " [2]، ومنه يعرف النصارى أخبار العالم في عصوره الأولى وأجياله القديمة وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادات، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داوود "[3] .

وبالمثل يعتبر الإنجيل مصدرا مهما عند النصارى في استمداد سيرة المسيح – عليه السلام– ووصاياه وهو جزء مهم مما يعرف بكتب **العهد الجديد** الذي يطلقونه على:"مجموع الكتب التي يدعون أنها كتبت بالإلهام بعد عيسى عليه السلام " .[4] ويتكون من ثلاثة أقسام هي: الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنسية، ورسائل الرسل، ورؤيا يوحنا اللاهوتي [5].

---

[1] – ينظر : رحمت الله الهندي ، إظهار الحق ، ج 1 ، ص 98-102 .

[2] – رمضان مصطفى **الدسوقي** حسنين ، جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر (عرض ونقد) ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة– جامعة الأزهر– فرع المنصورة (1424 هـ-2004م) ، إشراف : د /عمارة نجيب محمد موسى ، ص 65 .

[3] – محمد بن أحمد مصطفى بن أحمد المعروف **بأبي زهرة**، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط 3 : 1381هـ– 1966م ، ص 40.

[4]– المصدر نفسه، ص98.

[5]– ينظر: كمال معزي، أثر الإسرائيليات في الفكر العقدي الإسلامي، ص47.

ويقسم باعتبار صحته – عند النصارى – إلى قسمين أيضا كالعهد الجديد:

قسم مختلف في صحته عندهم: وعدده سبعة كتب، وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا، **وقسم متفق على صحته** : وهو عشرون كتابا، منها الأناجيل الأربعة التي تختص بإطلاق لف ظ الإنجيل عليها، وقد يطلق هذا اللفظ مجازا على كتب العهد الجديد[1].

وهذا ما يعطي صورة واضحة عن مكانة الإنجيل ضمن كتب هذا العهد، وبالأحرى ضمن الديانة النصرانية بالكامل ف"فمكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء أي أنها تشتمل على لب المسيحية في نظرهم بعد المسيح ومعناها ".[2] وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها، ولكن التاريخ يروي لنا إنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى، قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها"[3] .

رابعا– علاقة العهد الجديد بالعهد القديم

يكون مجموع العهدين القديم والجديد ما يسمى عند النصارى (**بالكتاب المقدس**) الذيهو":مجموع الكتب الموحاة من الله – في زعمهم – والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه، ومجموع النبوات عما سيكون المنتهى والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع البشر في كل الأزمنة "[4] .

ومما ينبغي التنبيه عليه أن إطلاق وصف القداسة على هذا الكتاب ليس باعتباره مصدرا مقدسا – بالفعل – عند المسلمين، ولكن " لأن هذا الاسم صار علما بالغلبة على مجموع الأسفار التي يدين بها النصارى بالقداسة والإجلال" .[5]

[1]- ينظر: رحمت الله الهندي،إظهار الحق، ج1، ص103-105.
[2]- أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص40.
[3]- المصدر نفسه، ص40.
[4]- الدسوقي، جهود علماء الإسلام في نقد الكتاب المقدس، ص65.
[5]- المصدر نفسه، ص65.

الفرع الثاني: موقف القرآن منهما

أشار هذا البحث في صفحاته السابقة إلى علاقة القرآن بالكتب السماوية ومكانته منها، وفيما يأتي مزيد بسط لما سبق ذكره:

أولا– حديث القرآن عنهما باعتبارهما كتابين سماويين (مرحلة ما قبل التحريف)

إن المطلع على آيات القرآن الكريم يلحظ بوضوح وجلاء اعتراف القرآن بالأنبياء السابقين، وما أنزل عليهم من كتبهم، ومن بينها: التوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل الذي أنزله على عيسى – عليهما السلام –، فقد وردت مجموعة كبيرة من الآيات تشيد بهذين الكتابين وتصفهما بالهداية والنور، أذكر منها :

1- قوله تعالى: نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ **[آل عمران:3–4]**.

2- قوله تعالى: إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ **[المائدة:44]**.

3- قوله تعالى: وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ **[المائدة:46]**.

4- قوله تعالى: ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا

عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ **[الحديد:27]**. فهذه الآيات وغيرها تقرر بأن التوراة والإنجيل – في الأصل –كتابان سماويان نزلا كالقرآن نورا للناس وهداية.

ولا يكتفي القرآن بهذا الحد من الإشارة والاعتراف، بل يدعو إلى تصديقها والإيمان بما جاء فيها، ويعتبر الإعراض عنها كفرا وضلالا.

قال جل وعلا: "قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ **[المائدة:68]**.

وقال سبحانه :" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ **[النساء:136]**.

قال ابن كثير :" وقوله: والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة "[1].

ثانيا– حديث القرآن عنهما باعتبارهما كتابين محرفين (مرحلة ما بعد التحريف)

وردت الآيات السابقة مشيدة بالإنجيل والتوراة باعتبارهما كتابين سماويين، وإلى جنب تلك الآيات وردت آيات أخرى تخبر وتقرر بأن اليهود والنصارى قد حرفوا وبدلوا وغيروا .

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن، ج2، ص 384.

1- قال تعالى: وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧ **[آل عمران:187]**.

2- وقال جل وعلا : أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤ **[النساء:44]**.

3- وقال عن اليهود :مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا **[النساء:46]**.

4- وقال عن النصارى : وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ **[المائدة:14]**.

5- وقال مواسيا لنبيه – عليه السلام-: ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ **[المائدة:41]**.

فهاته آيات القرآن تقرر في جانب آخر من جوانب كلامها عن كتب الأنبياء: أن التوراة والإنجيل الذين هما في الأصل كتابان سماويان منزلان من عند الله جل وعلا قد طالتهما عوامل التحريف والتبديل والكتمان والتغيير، وأن أربابهما قد باعوا هداها واستبدلوه بأثمان زهيدة لا ترقى – وإن جلت في أعينهم – إلى مستوى العهد الذي عهد به إليهم، ولا إلى مستوى الميثاق الذي أخذ عليهم .

قال سيد قطب – رحمه الله – في إطار تفسيره لآيات المائدة المتحدثة عن أهل الكتاب:"وما كان للأميين أن يكونوا أوصياء على هذه البشرية لولا هذه النعمة وما كان لهم – وليس لهم بعد – من زاد يقدمونه للبشرية إلا ما يزودهم به هذا الدين .. وهذا نداء إلهي لأهل الكتاب، يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام، مدعوون للإيمان بهذا الرسول ونصره وتأييده...فهو رسول الله إليكم، ودوره معكم أن يبين لكم ويوضح ويكشف ما تواطأتم على إخفائه من حقائق كتاب الله الذي معكم ..سواء في ذلك اليهود والنصارى .. وقد أخفى النصارى الأساس الأول للدين وهو التوحيد ...وأخفى اليهود كثيرا من أحكام الشريعة كرجم الزاني، وتحريم الربا كافة، كما أخفوا جميعا خبر بعثة النبي الأمي " الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل "[1] .

[1]- **سيد قطب** إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة، ط17:1412هـ، ج2، ص 861 . بتصرف يسير.

المطلب الثاني: موقف علماء الإسلام من تحريفها وجهودهم في نقدها

الفرع الأول: أقوالهم في أنواع التحريف ومقداره

أولا- عرض أقوالهم : إن وقوع التحريف في مصادر أهل الكتاب حقيقة جاء بها القرآن الكريم وأكد عليها -كما مر معنا آنفا -، ولكن علماء الإسلام اختلفوا في طبيعة ذلك التحريف وفي مقداره: هل كان تحريفا معنويا فقط، أم كان لفظيا أيضا ؟ وهل كان تحريفا كليا أم جزئيا ... كثيرا أم يسيرا؟.

وقد لخص الحافظ ابن حجر تلك الأقوال وأوردها في فتح الباري فقال: " قال بعض الشراح المتأخرين اختلف في هذه المسألة على أقوال :

أحدها: أنها بدلت كلها، وهو مقتضى القول المحكي بجواز الامتهان وهو إفراط، وينبغي حمل إطلاق من أطلقه على الأكثر وإلا فهي مكابرة والأخبار كثيرة في أنه بقي منها أشياء كثيرة لم تبدل .

ثانيها: أن التبديل وقع، ولكنه ليس فيها كلها وإنما في معظمها، وأدلته كثيرة وينبغي حمل القول الأول عليه .

ثالثها: أن التبديل وقع في اليسير منها، ومعظمها باق على حاله، وهذا القول نصره الشيخ ابن تيمية في كتابه الرد الصحيح .

رابعها: أن التبديل وقع في المعاني دون الألفاظ، فهو المذكور هنا"[1].

ويقصد ابن حجر بهذا القول الرابع حكاية مذهب الإمام البخاري – رحمه الله – فقد أنكر وقوع التحريف اللفظي فقال: وقال ابن عباس: "**تُحَرِّفُون** " **[النساء:46]** "يزيلون"، وليس أحد يزيل

[1]- ابن حجر، فتح الباري، ج 13، ص 523 – 524.بتصرف.

لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحرفونه، يتأولونه على غير تأويله" [1]، فالبخاري يرى أن تحريفهم الكتاب بمعنى تأويلهم إياه تأويلا فاسدا، وهذا ضرب من ضروب التحريف المعنوي .

وقد حكى الإمام ابن القيم تلك الأقوال وانتصر لقول ابن تيمية فقال :" اختلفت أقوال الناس في التوراة التي بأيديهم: هل هي مبدلة أم التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل ؟ على ثلاثة أقوال طرفين ووسط "، فأفرطت طائفة وزعمت أنها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة [2]، ليست التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض .

وغلا بعضهم فجوز الاستجمار بها من البول.

وقابلهم طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام، فقالوا: بل التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل.

وهذا مذهب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري " [3]. ثم أضاف:" وتوسطت طائفة ثالثة، وقالوا: زيد فيها، وغير ألفاظ يسيرة، ولكن أكثرها باق على ما أنزل عليه، والتبديل في يسير منها جدا وممن اختار هذا القول شيخنا في كتابه " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ".[4]

مناقشة تلك الأقوال

هذه أقوال العلماء في تحريف التوراة والإنجيل، والذي يظهر لي – والله أعلم – أن أولاها بالقبول ما اختاره ابن حجر مما حكاه من أقوال وهو **القول الثاني**: أي أن التوراة والإنجيل التي بأيدينا اليوم هي في معظمها كتب محرفة مبدلة، ولكن لا يزال فيها الكثير أيضا مما هو باق على

---

[1]– البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:"بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " البروج: 22، ج 9، ص1160.

[2]– هذا القول هو مجموع القول الأول والثاني في الفتح .

[3]– شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، **ابن قيم** الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف – الرياض ، (بدون طبعة) ، مج2 ، ص 351 – 352 .

[4]– المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 354 ، وينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج 2، ص 419 – 420.

أصله لم يحرف ولم يبدل، ومن ذلك قصة رجم اليهوديين، وآية الرجم [1]، ويؤيد هذا قوله تعالى : ﷻ

قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ **[آل عمران:93]**.

ثانيا– مناقشة القول الأول القائل بوقوع التحريف الكلي : هذا القول ظاهر البطلان، بدليل وصف القرآن لليهود والنصارى في مجموعة من الآيات بأنهم " أوتوا نصيبا من الكتاب " وبأنهم " نسوا حظا مما ذكروا به "، فالنصيب والحظ يطلق على البعض دون الكل، قال الشوكاني:" والمراد أنهم أوتوا نصيبا منه، لأنهم لم يعملوا بجميع ما فيه " [2]، وقال:" فنسوا حظا مما ذكروا به أي نسوا من الميثاق المأخوذ عليهم نصيبا وافرا عقب أخذه عليهم "[3] .

ثالثا– مناقشة القول بوقوع تحريف يسير (مذهب ابن تيمية و ابن القيم): وأما قول ابن تيمية الذي اختاره ابن القيم أيضا فهو يحتاج إلى تحليل وبيان يطول، وهذه مجموعة من الأمور الموضحة له:

الأول: أن قول ابن تيمية بقلة التحريف في الإنجيل والتوراة وارد في الألفاظ دون المعاني حيث قال:"ومنهم من يقول الذي بدلت ألفاظه قليل منهما وهذا أظهر "، وهو مع ذلك يورد قول من قال بالكثرة دون إنكار لقوله: "وفيهم –أي علماء المسلمين– من يجعل المبدل من التوراة والإنجيل كثيرا منهما وربما جعل بعضهم المبدل أكثرهما لاسيما الإنجيل، فإن الطعن فيه أكثر وأظهر منه في التوراة... بل كثير من الناس يقول هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلا القليل . والإنجيل الذي هو كلام الله ليس هو هذه الأناجيل"[4].

الثاني: أن ابن تيمية كان يركز في نقده لمصادر أهل الكتاب على مسألة " الترجمة " من حيث دقتها وصحة ألفاظها ومعانيها، قال في نقد أهل الكتاب فيما يدعونه من تخالف أخبار النبي صلى الله عليه وسلم مع أخبار غيره من الأنبياء :" وما يذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر

---

[1]– ينظر في بيان ذلك: القول الأول والثاني في فتح الباري، ج13، ص523– 524.

[2]– الشوكاني ، فتح القدير ، ج 1 ، ص 549 .

[3]– المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 26 .

[4]– ابن تيمية ، الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 420.

محمد – صلى الله عليه وسلم – فهو –عامته – مما حرفوا معناه وتأويله وقليل منه حرف لفظه، وأهل الكتاب –اليهود والنصارى– مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها، إما عمدا وإما خطأ في ترجمتها، وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها، وإنما تنازع الناس هل وقع التحريف في بعض ألفاظها... ؟.

وكل من احتج بنقل عن نبي، فلا بد له من هاتين المقدمتين: الإسناد والمتن، فلا بد له من ثبوت اللفظ، ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ، وإذا كان النقل ليس بلغة النبي، بل بلغة أخرى فلا بد من الترجمة الصحيحة ...

وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقول بالرومية والسريانية أو بالعربية، فإنه يحتاج مع إثبات النقل إلى إثبات الترجمة وصحتها، فإنهم كثيرا ما يضطربون في الترجمة وصحتها ويختلفون في معناها "[1].

فابن تيمية — من خلال هذا الكلام — يرجع التحريف في غالبه إلى الاضطراب في الترجمة وصحتها والاختلاف في معانيها . وتفسير كلام ابن تيمية على هذا الوجه يجعل قوله في التحريف قريبا من القول الثاني الذي اختاره ابن حجر وهو كون تلك الكتب مبدلة في معظمها . ذلك أن القول بتبديل التوراة والإنجيل في معظمها راجع إلى كثرة الاختلاف " في التراجم وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها "، أما قول ابن تيمية بعكس ذلك فهو راجع – ربما– إلى طبيعة النسخ التي تمكن من الاطلاع عليها، خصوصا وأن بينه وبين ابن حجر ما يربو على القرن من السنين (حوالي 124 عاما).

وقد كان ابن تيمية متميزا في نقده للتوارة والإنجيل حيث " برع في استخراج البشارات من الكتاب المقدس وفندها تفنيدا جيدا راعى فيه تفسير الألفاظ كما وردت في كتبهم مفرقا بين البشارات الخاصة بالمسيح عليه السلام، والبشارات الخاصة بنبي الإسلام — صلى الله عليه وسلم – على أنه قد جاء ببعض البشارات الغير موجودة الآن في الكتاب المقدس ولعلها كانت موجودة في الطبعة التي كانت موجودة بين يدي شيخ الإسلام "[2].

[1]– ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج 5، ص 123 – 125 .

[2]– الدسوقي ، جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر ، ص 4.

الثالث: أن قول ابن تيمية وابن القيم لا يفهم منه بحال الانتصار للتوارة والإنجيل، وإلا فإن عباراتهم في الشهود بتحريفها كثيرة مستفيضة : قال ابن القيم: "وأما التحريف فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في مواضع متعددة، وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه .

فهذه خمسة أمور: أحدها لبس الحق بالباطل وهو خلطه به.

ثانيها: كتمان الحق.

ثالثها: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

رابعها: تحريف الكلم عن مواضعه وهو نوعان تحريف لفظه، وتحريف معناه.

خامسها: لي اللسان به ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره " [1] . وقال أيضا:" وفي التوراة التي بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا تجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذو بصيرة"[2].

الرابع: أن ابن تيمية ذهب إلى القول بقلة التبديل الذي وقع في تلك الكتب بناء على ما ورد في القرآن الكريم من دعوة اليهود والنصارى إلى تحكيم الإنجيل والتوراة في مثل قوله تعالى :" وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ **[المائدة:43]**، وفي مثل قوله – جل وعلا –: وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ **[المائدة:47]** ، خصوصا على قراءة الجمهور التي جاءت بسكون اللام على جهة الأمر .

فقد عقد في " الجواب الصحيح " فصلا في :" دعوة أهل الكتاب إلى الحكم بما في كتبهم من الألفاظ الصحيحة " أورد فيه :" ولا يجوز أن يقال إن الله ينسخ بالكتاب الثاني جميع ما شرعه بالكتاب الأول وإنما المنسوخ قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والشرائع " [3]، ثم أضاف :"

---

[1]– شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ، **ابن قيم الجوزية** ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق : محمد أحمد الحاج ، دار القلم ، دار الشامية ـ جدة السعودية ، ط 1 : 1416 هـ – 1996 م ، ج 1 ، ص312 ، بتصرف يسير .

[2]– المصدر نفسه ، ج2 ، ص 416 .

[3]– ابن تيمية ، الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 440 .

إنهم يقولون إذا كان التبديل قد وقع في ألفاظ التوراة والإنجيل قبل مبعث محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يعلم الحق من الباطل فسقط الاحتجاج بهما ووجوب العمل بهما على أهل الكتاب ...وجواب ذلك أن ما وقع من التبديل قليل والأكثر لم يبدل والذي لم يبدل فيه ألفاظ صريحة تبين بها المقصود من غلط ما خالفها ولها شواهد ونظائر متعددة يصدق بعضها بعضا بخلاف المبدل، فإنه ألفاظ قليلة، وسائر نصوص الكتاب يناقضها، وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه إذا وقع في سنن أبي داوود والترمذي أو غيرهما أحاديث قليلة ضعيفة كان في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين ضعف ذلك"[1].

وفائدة القول في موقف ابن تيمية من تحريف مصادر أهل الكتاب أنه اختار القول بوقوعه في قدر يسير من ألفاظها رعاية للشبه الواردة على القرآن في حثه لليهود والنصارى على تحكيم الإنجيل والتوراة، إضافة إلى حمل الخلاف الواسع فيها على اختلاف تراجمها وما يتبع ذلك من اختلاف في التفسير والشرح والتأويل .

وبهذا يظهر وجه الجمع والفرق بين هذا القول، وقول من قال بوقوع التحريف في أكثر ألفاظها، فإن الأول محمول على النسخ الأصلية التي حظيت بترجمة صحيحة في الألفاظ والمعاني، أما الثاني فهو محمول على ما خالف ذلك .

رابعا– مناقشة القول بوقوع التحريف في المعاني دون الألفاظ (مذهب البخاري): أما القول الرابع الذي ذهب إليه البخاري وهو القول بوقوع التحريف في المعاني دون الألفاظ فهو قول مرجوح لمخالفته لواقع الإنجيل والتوراة قديما وحديثا، وقد أورد ابن حجر حجج القائلين بهذا القول ورد عليها، وهذا بيان تلك الردود :

احتج القائلون بهذا بمجموعة من الحجج منها :

1– قوله تعالى: **لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ [الأنعام:115].**

وهو معارض بقوله تعالى : **فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ [البقرة:181]**. فإذا كانت الآية الأولى نافية لوقوع التبديل فإن الثانية

[1]– ابن تيمية، الجواب الصحيح،، ج 2 ، ص 442 .

مثبتة له، ولذلك قال في الرد: "ولا يتعين الجمع بما ذكر من الحمل على اللفظ في النفي وعلى المعنى في الإثبات لجواز الحمل في النفي على الحكم، وفي الإثبات على ما هو أعم من اللفظ والمعنى " [1]، فالقول بوقوع التحريف في المعاني دون الألفاظ يستلزم اختصاص التبديل في الآية الأولى بالألفاظ، واختصاصه في الآية الثانية بالمعاني، وهو تخصيص معارض بجواز حمل غيره عليه، مما يوجب بطلانه ومن ثم بطلان القول الذي استند إليه .

2- كما احتجوا ب: "توافق نسخ التوراة في الشرق والغرب والشمال والجنوب، ومن المحال أن يقع التبديل فيتوارد النسخ بذلك على منهاج واح د". قال ابن حجر:" وهذا استدلال عجيب لأنه إذا جاز وقوع التبديل جاز إعدام المبدل والنسخ الموجودة الآن هي التي استقر عليها الأمر عندهم عند التبديل والأخبار بذلك طافحة "، ثم ذكر ما كان من شأن بختنصر في إعدام التوراة، وما كان من شأن الروم مع الإنجيل وأضاف :" وتحريفهم المعاني لا ينكر بل هو موجود عندهم بكثرة وإنما النزاع هل حرفت الألفاظ أم لا، وقد وجد في الكتابين ما لا يجوز أن يكون بهذه الألفاظ من عند الله عز وجل أصلا "[2] .

وقد اعترض ابن حزم على أصحاب هذا القول وشدد النكير عليهم فقال - فيما نقل عنه في الفتح-: "وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون أن التوراة والإنجيل اللتين بأيدي اليهود والنصارى محرفان والحامل لهم على ذلك قلة مبالاتهم بنصوص القرآن والسنة، وقد اشتملا على أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ... ويقال لهؤلاء المنكرين قد قال الله تعالى في صفة الصحابة ذلك مثلهم في التوارة... وليس بأيدي اليهود والنصارى شيء من هذا... ويقال لمن ادعى بأن نقلهم نقل متواتر قد اتفقوا على أن لا ذكر لمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتابين فإن صدقتموهم فيما بأيديهم لكونه نقل نقل المتواتر فصدقوهم فيما زعموه... وإلا فلا يجوز تصديق بعض وتكذيب بعض مع مجيئها مجيئا واحدا"[3].

---

[1]- ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص524.

[2]- ابن حجر، فتح الباري، ج 13، ص 524.

[3]-: المصدر نفسه، ج13، ص524، وكلام ابن حزم هذا موجود في كتابه الفصل في الملل " بلفظ قريب جدا : ج1 ، ص 159 – 160 ، وإنما تركت الأصل لورود ألفاظ لا تليق بالإمام البخاري – وإن لم يذكر بشخصه .

3- أما رواية البخاري التي جاء فيها تفسير التحريف بالإزالة وحمله على كونهم " يتأولونه على غير تأويله " فقد علق عليها صاحب الفتح بقوله :" قوله يحرفون يزيلون لم أر هذا موصولا من كلام ابن عباس من وجه ثابت مع أن الذي قبله من كلامه وكذا الذي بعده " وذكر أن الثابت عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ **[الرحمن:29]** غير هذا، أما قوله:" وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله"، فقد أورد كلاما لأحد الأئمة فيه وقال أنه يكاد يكون صريحا في حمل ذلك الكلام على كونه من كلام البخاري ذيل به رواية ابن عباس، وقال أنه يحتمل أن يكون بقية كلام ابن عباس [1]. فكلام ابن حجر على هذه الرواية التي اعتمد عليها البخاري في نفيه لوقوع التحريف اللفظي بالمرة يضعف ذلك القول ويجعله بعيدا عن مدلول الآيات والأحاديث التي جاءت صريحة في كونهم "حرفوا الكلم عن مواضعه "،" فنسوا حظا مما ذكروا به".

"وقصارى القول: إن التوراة الحالية – إلا فقرات قليلة منها – كالوصايا العشر ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام – كما ذكرنا سابقا – وإنما هي مجموعة من الأسفار كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمان متفاوتة، وبأيد متنوعة، وبأفكار مختلفة، وإن اليهود كتبوها انعكاسا لأخلاقهم وتاريخهم وآلامهم، وكان مقصدهم الأول من وراء ذلك إظهارهم الشعب الإسرائيلي بمظهر الشعب المقرب عند الله والمفضل على غيره، ولكثرة الأشخاص الذين اشتركوا في كتابتها امتلأت بالأخطاء والمفتريات والمتناقضات " [2]. وهذا النفي وارد على إنجيل النصارى أيضا، فإن النسخ المتواترة منه لدى العلماء تشهد بأنه ليس فيه من كلام الله إلا النذر اليسير .

تنبيه في موقفهم من قراءتها ومطالعتها

اختلف علماء الإسلام في جواز قراءة مصادر أهل الكتاب ومنها الإنجيل والتوراة، وخلافهم هذا مبني على الخلاف الأول: فمن قال بالتحريف المعنوي فقط ذهب إلى الجواز بناء على بقائها على أصلها من حيث اللفظ.ومن قال بالتحريف الكلي ذهب إلى عدم الجواز . وذهب القائلون

[1]- ينظر: ابن حجر، فتح الباري ، ج 13 ، ص 523 .

[2]- نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص54 .

بوقوع التحريف الجزئي (كثيره ويسيره) إلى جواز القراءة والمطالعة لمن كان عارفا متمكنا، قادرا على التفريق بين الحق والباطل، والخطإ والصواب .

جاء في فتح الباري :" الأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الراسخين في الإيمان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك بخلاف الراسخ فيجوز له ولاسيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديما وحديثا من التوراة وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بما يستخرجونه من كتابهم ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه "[1].

الفرع الثاني: جهودهم في نقدها

اهتم المسلمون قديما وحديثا على مر أزمانهم بنقد مصادر النصارى واليهود وبيان ما طرأ عليها من تبديل وتغيير، وإقامة الحجة على أهلها بما بقي فيها من غير تحريف .

وقد رأيت أن أركز في هذا الفرع على جهود الأقدمين لأمرين :

الأول: أن ما كتب حديثا يرجع في معظمه إلى جهودهم .

الثاني: التأكيد على ظهور ملكة نقد اليهود والنصارى في وقت مبكر عند المسلمين، وإظهار مدى قدرتهم على الفرز والتمييز . وهذه بعض كتبهم التي ألفوها بشأن ذلك :

1- المختار في الرد على النصارى للجاحظ (ت 255 هـ): ألف الجاحظ – رحمه الله- هذا الكتاب في الرد على النصارى ودفع شبهاتهم التي كانوا يومهون بها على ضعاف القلوب وذكر في مقدمته أنه كتبه استجابة لمن طلب منه ذلك، فناقش النصارى في كثير من عقائدهم الباطلة، محتجا عليهم بأفكارهم المنحرفة في شأن عيسى وغيرها من عقائد النصارى، فقال في موضع :" إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل وتضادها في كتبهم، واختلافهم في نفس المسيح، مع اختلاف شرائعهم، دليل على صحة قولنا فيهم وغفلتكم عنهم.

[1]- ابن حجر، فتح الباري، ج 13، ص 525 – 526 .

وما ينكر من مثل لوقش أن يقول باطلا، وليس من الحواريين ،وقد كان يهوديا قبل ذلك بأيام يسيرة ....."[1]

وكتاب الجاحظ هذا أقدم كتاب – فيما اطلعت عليه – كتب خصيصا للرد على أهل الكتاب.

2- كتب لأبي الحسن الأشعري في الرد على النصارى (ت 344 هـ): ذكر ابن عساكر في " تبيين كذب المفتري " أن الأشعري – رحمه الله – قد ألف كتابين حول النصارى، فقال ضمن عده لكتب الأشعري " وكتاب فيه بيان مذهب النصارى ... وكتاب فيه الكلام على النصارى مما يحتج به عليهم من سائر الكتب التي يعترفون بها " [2]. وإنما ذكرت هذا لأبين تسلسل كتابات المسلمين على مر العصور في الرد على أهل الكتاب .

3- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (ت 456 هـ): تناول ابن حزم في هذا الكتاب الرد على كثير من الفرق المخالفة للإسلام، وشغلت ردوده على اليهود والنصارى حيزا معتبرا من ذلك، بحيث يمكن اعتبار كتابه – بحق – مصدرا أساسا في الرد عليهم، فقد ضمنه فصولا مهمة في ذلك الشأن، منها :" الكلام على النصارى " و " الكلام على اليهود "، و "ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة "...وقد تطرق هذا البحث في سابق صفحاته إلى شيء من جهود ابن حزم في نقد أهل الكتاب من خلال كتابه هذا .

4- بذل المجهود في إفحام اليهود للسموأل (ت 570 هـ): صدر السموأل كتابه بترجمة له جاء فيها أنه فارسي الأصل، ولد من أبوين عبرانيين ثم أسلم، وأن اسمه " السموأل "، هو تعريب لأسمه الأصلي " شموائيل ". وقد أورد في كتابه فصولا مهمة حول مناقشة اليهود خاصة. و ساعده في ذلك معرفته الجيدة بالعربية والعبرانية معا، تحدث في بعضها عن: إلزامهم النسخ بنص كتابهم، وعن ذكر الآيات والعلامات التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، الشهير **بالجاحظ** ، المختار في الرد على النصارى ، تحقيق : د/ محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الجيل – بيروت ، ط 1 : 1411هـ – 1991 م ، ص 71 .

[2]- أبو القاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله المعروف **بابن عساكر** ، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 : 1404هـ، ص 135 .

المصطفى صلى الله عليه وسلم [1]، وغير ذلك من الفصول والنقول التي تدل على معرفة واسعة بأسفار أهل الكتاب وقدرة متميزة على نقدها وتفنيدها .

5- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل للهاشمي(ت 668 هـ): يعتبر هذا الكتاب مصدرا نفيسا في باب الرد على النصارى واليهود، ذكر المؤلف في مقدمته ما يدل على علو الهمة في مناقشة أهل الكتاب وسعة الاطلاع على مصادرهم فقال : " ودأبت في تحصيل ما لم أقف عليه من كتب القوم، ولم أقف على ما كان في يدي منها حتى استكملت التوراة الخمسة الأسفار ونيوة داوود، ونبوة أشعيا، ونبوة ميخا، .. ونبوة زكريا، ونبوة أرميا، ونبوة حزقيال، ونبوة دانيال، والأناجيل الأربعة ... ورسائل فولس الرسول وصلوت النصارى وشريعة إيمانهم الملقبة بالأمانة وسير الحواريين"[2].

وبعد هذا العد الطويل ذكر عمله فيها فقال:" فقلبتها ظهرا لبطن دفعات، فإذا ظواهرها مأولة"[3]، وكلماتها على غير النحو الذي صار إليه أربابها منزلة . فأجدت في تأويل ما أجراه النصارى على الظاهر، وبنيت بالدليل من التوراة والنبوات والإنجيل غلط الكافر، بعد أن قدرت صحة كتبهم وان كانت سقيمة وسلمت وجودها وإن كانت في حكم العديمة.." [4].

6- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (ت 728هـ) : تولى ابن تيمية في هذا الكتاب الرد على النصارى في كثير من العقائد والأفكار الباطلة، وكان له فيه اهتمام خاص باستخراج البشارات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم من مصادر أهل الكتاب، فأظهر

---

[1]- **السموأل** بن يحي بن عباس المغربي ، بذل المجهود في إفحام اليهود ، تحقيق : د/ محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الجيل- بيروت، ط 3 : 1410 هـ – 1990م ، ج 1 ، ص86 ، وج 1 ، ص 111.

[2]- أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري **الهاشمي** ، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ، تحقيق : محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان – الرياض، ط1: 1419 هـ– 1998م، ج1، ص92 – 101 .بتصرف.

[3]- مأولة: هكذا وجدتها ، والصحيح : مؤولة .

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص101 .

قدرة فائقة على ذلك[1]. وقد سبق الحديث في الفصل الأول من هذا البحث عن جهود ابن تيمية في هذا الباب من خلال ذلك الكتاب .

[1]- ينظر : ابن تيمية ، الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 30 ، ج3 ، ص 406.

7- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم(ت 751 هـ): ذكر ابن القيم في مقدمة هذا الكتاب أنه ألفه للرد على مجموعة من المسائل التي أوردها بعض الملحدين، ضمنه فصولا في الرد على شبهاتهم وتفنيدها، وسار ابن القيم على نهج شيخه ابن تيمية في استخراج العبارات المفيدة للتبشير بالنبي صلى الله عليه وسلم[1].

[1]- ينظر: ابن القيم، هداية الحيارى، ج1، ص 316، ج2، ص 350.

خلاصة المبحث

هده أهم النقاط التي خلص إليها المبحث :

– التوراة في اصطلاح اليهود خمسة أسفار يزعم اليهود أن موسى – عليه السلام – كتبها بيده، وهي واحدة من أهم مصادر التشريع عند اليهود .

–أما الإنجيل فهو في اصطلاح النصارى مجموع أربعة أناجيل، يدعي النصارى أنها مما كتب بالإلهام بعد عيسى – عليه السلام –، وهذه الأناجيل الأربعة مما اتفق بين النصارى على صحته، واجتمعت الكنيسة على اعتمادها دون سائر الأناجيل .

– يعترف القرآن الكريم بأن التوراة والإنجيل – في الأصل – كتابان سماويان، ويحث المسلمين على الإيمان بما جاء فيهما من حق، كما ينبه في الوقت نفسه على ما طرأ عليهما من تحريف وتبديل .

– اختلف المسلمون حول طبيعة التحريف الواقع في مصادر اليهود والنصارى، وفي مقداره: أهو معنوي فقط أم لفظي أيضا؟ أهو كلي أم جزئي؟ واختلفت آراؤهم تبعا لذلك في حكم قراءة تلك المصادر ومطالعتها .

– ويعتبر مذهب القائلين بوقوع التحريف الجزئي بنوعيه اللفظي والمعنوي من أكثر الآراء مطابقة لواقع التوارة والإنجيل في يومنا هذا، كما يعتبر القول بجواز مطالعتها للعارف المتمكن من أكثر الآراء تماشيا مع الجمع بين دلالات الأمر والنهي الواردة في شأنها.

– بناء على ذلك، بذل علماء المسلمين قديما وحديثا جهودا بارزة في نقد تلك المصادر وبيان صحيحها من باطلها، وقد ظهرت جهود الأوائل في مرحلة مبكرة معطية صورا لامعة عن قدرات المسلمين الجبارة في النقد والتمحيص .

المبحث الثاني: نقد الإنجيل والتوراة عند رشيد رضا

يدرس هذا المبحث أحد الجوانب التي تبرز موقف رشيد رضا من الإنجيل والتوراة وهو الجانب النقدي لتلك المصادر، حيث يتناول نقده لها في جانب العقيدة ، وفي جانب الثبوت. كما يتناول موقفه من تحريفها ويقدم بعضا من مواضع كشفه لذلك التحريف، في محاولة لإبراز جهود المنار المتميزة في المسيرة النقدية للمصادر اليهودية والنصرانية.

يتكون المبحث من مطلبين:

الأول: نقدها في جانب العقيدة والثبوت.

الثاني: مذهبه في مقدار تحريفها.

المطلب الأول: نقدها في جانب العقيدة والثبوت

الفرع الأول: نقدها في جانب الثبوت

أظهر رشيد رضا من خلال تفسيره للآيات الواردة في شأن أهل الكتاب اهتماما كبيرا بنقد تلك المصادر من حيث ثبوتها، وركز في نقده لها على أمور أهمه ا: انقطاع سندها والجهالة بتاريخ كتابتها. والثاني: اختلافهم في تراجمها ولغة كتابتها.

أولا– نقدها من جهة السند

أثبتت كتابات المسلمين وغيرهم حول مصادر اليهود والنصارى أنها منقطعة السند إلى من أسندت إليهم، وأن تاريخ كتابتها وتدوينها مجهول في معظم حلقاته. وقد أفاد رشيد رضا من تلك الكتابات في مواضع كثيرة من المنار بأسلوب واضح ومبسط. قال بخصوص ضياع التوراة الأصلية: " ومن المعلوم من التاريخ بالقطع عندنا وعندهم أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ووضعها في التابوت (صندوق العهد) وأخذ الميثاق على بني إسرائيل بحفظها... قد فقدت من الوجود... والتوراة الموجودة الآن يرجع أصلها إلى ما كتبه عزرا الكاهن... ولذلك تكثر فيه الألفاظ البابلية كثرة فاحشة".[1] وقال مفندا لدعوى الإلهام التي يدعيها الكتابيون في ذلك:" ويقول أهل الكتاب: إن (عزرا) كتبها كما كانت بوحي أو بإلهام من الله. وهذا ما لا يسلمه لهم غيرهم وعليه اعتراضات كثيرة مذكورة في مواضعها من كتبهم الخاصة بهذا الشأن حتى من تآليفهم..."[2]

ثم نقل عن صاحب إظهار الحق كلاما يثبت فيه تحريفهم وأضاف:" نكتفي بهذا البيان هنا ولنا فيه غرضان: (أحدهما)أن جميع أهل الكتاب مدينون لعزير هذا في مستند دينهم، وأصل كتبهم المقدسة عندهم. (وثانيهما) أن هذا المستند واهي البيان متداعي الأركان"[3].

---

[1]- رشيد رضا تفسير المنار، ج1، ص174.

[2]- المصدر نفسه، ج10، ص.284.

[3]- المصدر نفسه، ج10، ص286.

وقال في نفس السياق:" وقد ظهر تأويل علم موسى في بني إسرائيل فإنهم فسدوا وزاغوا بعده كما قال.وأضاعوا التوراة التي كتبها ثم كتبوا غيرها، ولا ندري عن أي شيء أخذوا ما كتبوه على أنه فقد أيضا".[1]

وقال عن أحد أسفارها:" سفر التكوين ليس من توراة موسى، وسفر التكوين هذا ليس حجة قطعية فيما ذكر فيه فضلا عما سكت عنه،... وجملة القول أنه ليس له سند إلى من كتبه، ولا يقوم دليل على أنه وحي من الله تعالى- ولكنه على كل حال أثر تاريخي قديم له قيمته". [2] ففي هذا المقام يعتبر رشيد رضا أسفار التوراة أثرا تاريخيا له قدره ووزنه في التعرف على تاريخ اليهود وسيرهم. وفي ذلك يقول أيضا:" وسفر التكوين غير مروي بالأسانيد المتصلة المتواترة، ولا دليل على أن أصله وحي من الله- تعالى -، ولكنه كتاب قديم التاريخ له قيمة لا تعصمه من الخطإ ".[3]

فالشيخ رشيد رضا يقرر بان التوراة التي بأيدينا اليوم ليست توراة موسى – عليه السلام-، ويفند ما يدعى من الإلهام في كتابتها، لكن يقر أيضا بأنها :"سند تاريخي له قيمته، و إن كانت تلك القيمة " لا تعصمه من الخطإ ".

وبمثل ذلك النقد والتمحيص توجه رشيد رضا إلى أناجيل النصارى، وركز بوجه أخص على الأناجيل القانونية عندهم. قال في أحد المواضع متحدثا عن تلك الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم:" وليس لهذه الكتب سند متصل عند أهلها، وهم مختلفون في تاريخ كتابتها على أقوال كثيرة... وأن خلافهم في سائر كتب العهد الجديد لأقوى وأشد". [4] وقال في اختلاف علماء الكنيسة في شأنها :" اختلف علماء الكنيسة وعلماء التاريخ في الأناجيل الأربعة التي اعتمدوها في القرن الرابع: من هم الذين كتبوها؟ ومتى كتبوها؟ وبأي لغة كتبت؟ وكيف فقدت نسخها

[1]- رشيد رضا تفسير المنار، ج3، ص130.

[2]- المصدر نفسه، ج12، ص86.

[3]- المصدر نفسه، ج12، ص211.

[4]- المصدر نفسه، ج3، ص 131-132.

الأصلية؟".[1] وقال عنها أيضا:" وما ظهرت هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم الآن إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح... وهذه الأناجيل عبارة عن تاريخ ناقص للمسيح، وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ".[2]

إذن فما اعتمده اليهود والنصارى من أناجيل وأسفار في أصول ديانتهم منقطعة السند، مجهولة التاريخ، وليس فيها ما هو دليل على كونها وحيا من الله تعالى، وإنما هي- في أعلى مراتبها- آثارا تاريخية لها قيمة لا تعصمها من الزلل.

ثانيا: نقدها من جهة الاختلاف في التراجم واللغات

يعد اختلاف مصادر أهل الكتاب في اللغات التي جاءت بها والتراجم التي نقلت إليها سببا مهما في نقدها وهذا ما اهتم به رشيد رضا في تفسيره. قال في إطار حديثه عن التوراة:" ولا تعرف اللغة التي كتبت بها التوراة أول مرة، ولا دليل على أن موسى – عليه السلام- كان يعرف اللغة العبرانية وإنما كانت لغته مصرية، فأين هي التوراة التي كتبها بتلك اللغة ومن ترجمها عنها؟" [3]، وقال عند حديثه عن ترجمة القرآن الكريم:" إذا ترجم القرآن فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من الخلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى، وقد رأينا ما استخرج منها من خلافات نحمد الله تعالى أن حفظ كتابنا من مثلها، فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا"[4].

وذكر رشيد رضا كلاما كثيرا مما كتبه رحمت الله الهندي عن مصادر اليهود والنصارى، ومن ذلك:" إن أهل الكتاب سلفا وخلفا عادتهم جارية بأنهم يترجمون غالبا الأسماء في تراجمهم، ويوردون بدلها معانيها، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد، وأنهم يزيدون تارة شيئا بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم، ولا يشيرون إلى الامتياز، وهذان الأمران بمنزلة الأمور العادية

[1]- المصدر نفسه، ج6، ص241..

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج6، ص238.

[3]- المصدر نفسه،ج3، ص219.

[4]- المصدر نفسه، ج9، ص279، بتصرف يسير.

عندهم".[1] فاختلاف مصادر أهل الكتاب في تراجمها ولغة كتابتها كان له أثر كبير فيما ظهر فيها من خلط وفساد.

الفرع الثاني: نقدها في جانب العقيدة

الثابت عندنا نحن المسلمين أن العقائد الأصلية للتوراة والإنجيل عقائد ربانية صحيحة، لكن اليهود والنصارى استبدلوا عقائدهم الصحيحة بعقائد فاسدة باطلة.

وفي سياق نقدي دقيق عميق: تعرض تفسير المنار لما طرأ على تلك العقائد من فساد في أكثر من مناسبة ومن ذلك قوله :" أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فكانوا يؤمنون بالوحي والرسل والبعث والجزاء، ولكن دخلت على أكثرهم الوثنية القديمة بجميع أصولها وفروعها".[2] وذلك لأنهم أضاعوا أصول ديانتهم وحرفوها.

وقد ذكر رشيد رضا أن النصارى كانوا أكثر حظا من اليهود في ذلك الجانب فقال :" لسنا في حاجة إلى تفصيل القول في ضياع حظ عظيم من كتب اليهود.. لأنه ليس بيننا وبين اليهود مناظرات دينية تقتضي ذلك، ولولا أن النصارى أقاموا بناء دينهم وكتبهم التي يسمونها (العهد الجديد) على أساس كتب اليهود التي يسمونها (العهد العتيق) لما زدنا في الكلام عن كتب اليهود على ما نثبت به ما وصفها به القرآن العزيز بالإجمال، وإنما الحاجة تدفعنا الى بعض التفصيل في إثبات نسيان النصارى وإضاعتهم حظا عظيما مما جاء به المسيح عليه السلام.... لأنهم أسرفوا في التعدي على الإسلام والطعن فيه".[3] ولا شك أن أعظم ما أضاعه النصارى هو عقيدة التوحيد التي استبدلوها بما يسمى عندهم بالتثليث . ونظرا لما ذكرته من كلام رشيد رضا، فإنني سأركز في هذا الفرع على نقده لعقائد النصارى الباطلة.

---

[1]- المصدر نفسه، ج9، ص211، وينظر موضع ذلك الكلام في (إظهار الحق)، ج4، ص 1097.

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص263.

[3]- المصدر نفسه، ج6، ص239.

أولا– عقيدة التثليث عند النصارى: يعتقد النصارى أن " طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم[1] متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس. فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير".[2]

فهم يعتقدون أن الآلهة تتركب من ثلاثة أجزاء، ويعتقدون في المسيح – عليه السلام– أنه جزء من تلك الآلهة– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا–.

ثانيا– عقيدة الصلب والفداء: يعتقد النصارى في المسيح أنه جاء ليخلص العالم من خطيئة أبيهم آدم – عليه السلام–، وأنه صلب فداء لتلك الخطيئة جمعا بين ما يقتضيه مبدأ العدل ومبدأ الرحمة.[3].ولا شك أن هذه العقائد باطلة عندنا نحن المسلمين، وهي – قبل ذلك– باطلة في نفسها وفي ذاتها، وقد كان قلم المنار حاضرا بقوة في الرد على تلك المعتقدات ونقدها ، وكان وقوف رشيد رضا طويلا عند كثير من الآيات التي تحدثت عن ذلك وهذه بعض النماذج:

عند تفسير قوله تعالى: يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ **[النساء:171]**، عقد فصلا في عقيدة التثليث جاء فيه:" إن هذه العقيدة و ثرية نقلها المتنصرون إلى النصرانية، وفسروا بعض الألفاظ الواردة في كتبهم اليهودية على أن تعطيهم شبهة يتكئون عليها في هذا التضليل، وأرغموها عليه بضرب من التحريف والتأويل، هدموا فيه آيات التوحيد القوية البنيان، العالية الأركان".[4]

---

[1]– الأقانيم:" جمع مفرده أقنوم، وهو لفظ يستعمله النصارى في تفسير عقيدة التثليث ولكنهم يضطربون في بيان المراد منه اضطرابا كبيرا، فيفسرونه تارة بالخواص وتارة بالأشخاص وتارة بالصفات". محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، ط1: 1405هـ-1985م، ج1، ص131.بتصرف.

[2]– أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ، ص100، نقلا عن قاموس الكتاب المقدس.

[3]– ينظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية ، ص107. وينظر: تفسير المنار: ج6، ص258.

[4]– رشيد رضا، تفسير المنار، ج6، ص73.

وذكر أن تلك العقيدة لم تكن موجودة في كتبهم الأولى، وإنما دخلت إليهم بالتدريج بعد تحريفهم وتحكمهم في معاني تلك الكتب فقال:" والحق أن العهد القديم، أي، كتب الأنبياء التي كانت قبل المسيح، ليس فيها شيء ظاهر ولا خفي في عقيدة التثليت، لأنها عقيدة وثنية محضة.... وإنما يصح أن يقال: إن التوحيد ظاهر جلي في العهد الجديد أيضا، والتثليت فيه هو الخفي، فإن العقيدة التي يدعوا إليها دعاة النصرانية، والعبارات التي يذكرونها في ألوهية المسيح والتثليث لا تفهم كلها من العهد الجديد، بل هناك عبارات يتحكمون في تفسيرها وشرحها كما يهوون على خلاف شهير بين متقدميهم ومتأخريهم".[1]

وعند تفسير قوله تعالى :فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ **[النساء:160]**، وضع عنوانا أسماه (عقيدة الصلب والفداء وثنية) جاء فيه:" اعترف أمامنا كثير من الذين قالوا: إنهم نصارى، بأن كلا من هذه العقيدة وعقيدة التثليث لا تعقل وأن العمدة عندهم النقل عن كتبهم المقدسة، فلما كانت الكتب ثابتة عندهم وجب عليهم أن يقبلوا جميع ما فيها، سواء عقل أم لم يعقل" [2]. وأكد رشيد رضا أنها عقيدة وثنية محضة سرت إلى النصارى من كتابات الوثنيين وطقوسهم ،كما عقد عنوانا آخر أسماه:(شبهات النصارى على إنكار الصلب)، عدد فيه مجموعة من الشبه التي يرد بها النصارى على من ينكرون صلب المسيح وأجاب عنها.[3]

ولما كانت ألوهية المسيح تمثل محور رئيسا في عقيدة النصارى المنحرفة، فقد كان رشيد رضا حريصا على دفعها بالأدلة النقلية والعقلية. قال مستدلا على بطلانها من إنجيل يوحنا:" لو لم يكن عندهم من النصوص في هذه العقيدة إلا ما رواه يوحنا في الفصل السابع عشر من إنجيله لكفى، وهو قوله عليه السلام: (3 وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) فبين أن الله – تعالى- هو الإله وحده وأنه هو رسوله، وهذا هو الذي دعا إليه القرآن، وكان يجب أن يكون أساس عقيدتهم، يرد إليه كل ما يوهم خلافه، ولو بالتأويل لأجل

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج6، ص255.

[2]- المصدر نفسه، ج6، ص27.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص28 وما بعدها.

المطابقة بين المعقول والمنقول".[1] وأورد من مثل ذلك الدليل نقولا مهمة من الأناجيل تدل على أن ذات المسيح – عليه السلام- مغايرة بالكلية لذات الله جل وعلا.

[1] المصدر نفسه، ج6، ص78.

المطلب الثاني: موقفه من تحريفها

الفرع الأول: أقواله في إثبات التحريف

تحدث رشيد رضا في مواضع كثيرة من المنار على تحريف اليهود والنصارى لمصادرهم، وناقش في مناسبات عدة ما ذهب إليه بعض العلماء من القول بعكس ذلك.

قال في تعريف التحريف:" التحريف: إمالة الشيء عن موضعه إلى أي جانب من جوانب ذلك الموضع". ثم عدد وجوهه فقال:" وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الألفاظ بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والنقصان وبتحريف المعاني بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له"[1].

ففي هذا الموضع ذكر رشيد رضا خمسة وجوه للتحريف اللفظي وهي: التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، والنقصان. وذكر التحريف المعنوي واختيار بعض العلماء له في تفسير قوله تعالى: فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ **[المائدة: 13]**، وقرر أن: "التحقيق الذي عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم واطلعوا على كتبهم التي يسمونها التوارة وغيرها (وكذا كتب النصارى) هو أن التحريف اللفظي والمعنوي كلاهما واقع في تلك الكتب، ماله من دافع، وأنها كتب غير متواترة" [2]، وأكد على ذلك بقوله:" وفسر النسيان بعض العلماء بترك العمل، كأن هؤلاء استبعدوا نسيان شيء من أصل كتاب القوم، وإضاعته، لتوهمهم أنه كان

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج6، ص234.

[2]- المصدر نفسه، ج6، ص234.

متواترا، والحق أنهم أضاعوا كتابهم وفقدوه.....ثم جمعوا ما حفظوه من التوراة، ووعوه بالعمل به، أو ذكروه في بعض مكتوباتهم لنحو الاستشهاد به، ونسوا الباقي".[1]

فالشيخ رشيد رضا يقر بوجود التحريف بنوعيه اللفظي والمعنوي في مصادر اليهود والنصارى ويؤكد عليه، كما هو مذهب جمهور العلماء، ويقول منتقد ا من قال غير ذلك:"ومن الغرائب أن بعض المفسرين فهم من هيمنة القرآن على الكتب التي قبله أنه يشهد لها بالحفظ من التحريف والتبديل واللفظ لا يدل على هذا المعنى.... وحسبهم أنه قال في هذه السورة نفسها في كل من أهل التوراة والإنجيل أنهم نسوا حظا مما ذكروا به، كما قال في سورة النساء قبلها إنهم " أوتوا نصيبا من الكتاب"، وقال فيهما جميعا أنهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه"[2].

وتحسن الإشارة في موقف رشيد رضا من تحريف مصادر أهل الكتاب إلى أمور عدة منها:

الأمر الأول: - فرق رشيد رضا في موقفه من التحريف بين فترتي ما قبل الإسلام وما بعده، حيث حصر التحريف اللفظي في الفترة الأولى فقال:" من المعلوم أن ما كان من التحريف اللفظي في التوراة من نقص وزيادة وغلط قد كان قبل الإسلام، ولم يكن بعده إلا التحريف المعنوي"[3].

وقد كان لهذا القول – عند رشيد رضا- أثر كبير في نقده لمسلمي أهل الكتاب، إن لم يكن نقدهم هو الدافع له على القول بذلك. وعلى كل؛ فإن رشيد رضا قد أورد في تفسيره ما يضعف رأيه ذلك، حيث نقل عن رحمت الله الهندي قوله:" الحق أن التحريف القصدي بالتبديل بالزيادة والنقصان من خصالهم كلهم أجمعين، فبعض ما ينقله علماء الإسلام كالإمام القرطبي وغيره إذا لم يكن موافقا في بعض ألفاظه للتراجم المشهورة الآن فسببه غالبا هذا التغيير المقصود، لأن نقل أولائك العلماء كان عن الترجمة العربية التي كانت رائجة في عهدهم، وبعد زمانهم وقع الإصلاح بالتغيير في تلك الترجمة، ويحتمل أن يكون السبب في ذلك هو اختلاف التراجم، لكن الأول (أي

[1]- المصدر نفسه، ج6، ص234- 235، بتصرف يسير.

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج6، ص340.

[3]- المصدر نفسه، ج9، ص165.

التغيير المقصود) هو المعتمد، فهذه العادة جارية إلى الآن في تراجمهم ورسائلهم". [1] والمعنى أن ما نقله علماء الإسلام الأوائل من مصادر اليهود والنصارى مخالفا لما وجد بعدهم من نسخ مرده- على المعتمد- إلى التحريف القصدي في تلك التراجم وليس فقط إلى اختلافها. أي أن التحريف اللفظي لتلك المصادر ولو في الترجمة وحدها- قد وقع بعد الإسلام أيضا.

الأمر الثاني: أقر رشيد رضا بكثرة التحريف الموجود في التوراة والإنجيل فقال:" أن ما نسوه وأضاعوه منه كثير، وما أوتوه وحفظوه كثير أيضا ". [2] ثم أضاف :" لسنا في حاجة إلى تفصيل القول في ضياع حظ عظيم من كتب اليهود... وإنما الحاجة تدفعنا إلى بعض التفصيل في إثبات نسيان النصارى وإضاعتهم حظا عظيما مما جاء به المسيح عليه السلام".[3]

لكنه فرق بين تحريف الإنجيل وتحريف التوراة فقال:" وقد أخبرنا تعالى أن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به كاليهود، وهم أجدر بذلك، فإن التوراة كتبت في زمن نزولها، وكان الألوف من الناس يعملون بها، ثم فقدت، والكثير من أحكامها محفوظ معروف، ولا ثقة بقول بعض علماء الإفرنج: أن الكتابة لم تكن معروفة في زمن موسى- عليه السلام- وأما كتب النصارى فلم تعرف وتشهر إلا في القرن الرابع للمسيح، لأن أتباع المسيح كانوا مضطهدين بين اليهود والرومان، فلما أمنوا باعتناق الملك قسطنطين النصرانية سياسة ظهرت كتبهم ومنها تواريخ المسيح المشتملة على بعض كلامه الذي هو إنجيله، وكانت كثيرة فتحكم فيها الرؤساء حتى اتفقوا على هذه الأربعة". [4] " وقد بينا حقيقة إنجيل المسيح، وكون هذه الكتب لم تحو إلا قليلا منه... وهذا القليل من الإنجيل قد دخله التناقض والتحريف"[5].

أي أن الظروف التاريخية قد ساعدت اليهود على حفظ الكثير من أحكام التوراة ثم تدوينها بعد ضياع النسخة الأصلية منها. أما النصارى فإن تلك الظروف لم تتهيأ لهم لمثل ذلك الحفظ،

---

[1]- المصدر نفسه، ج9، ص215.بتصرف يسير. وينظر ذلك القول في أصله (إظهار الحق)، ج 4 ، ص1111.

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج6، ص238.

[3]- المصدر نفسه، ج6، ص239.

[4]- المصدر نفسه، ج6، ص132.

[5]- المصدر نفسه، ج6، ص238.

مما ساعد على ضياع الكثير من حقائق الإنجيل، وقد ذكر ابن تيمية ذلك المعنى في كتابه " الجواب الصحيح."[1]

الفرع الثاني: نماذج من وقوفه على ذلك التحريف

سخر رشيد رضا قلم المنار لإبراز كثير من التحاريف التي سطرها اليهود والنصارى في كتبهم وهذه بعض النماذج من جهوده:

أولا– إظهار ما كتمه النصارى من عقيدة التوحيد : نقل المنار عدة نصوص من أناجيل النصارى تفند عقيدة التثليث وتأليه المسيح، وتظهر جانب الكتمان والتغيير الذي أدخلوه على توحيد المسيح – عليه السلام– الذي هو العقيدة المشتركة بين سائر الأنبياء والرسل ومن ذلك:

1. ما رواه يوحنا في إنجيله (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته). فقول المسيح هذا " كان يجب أن يكون أساس عقيدتهم، يرد إليه كل ما يوهم خلاله، ولو بالتأويل، لأجل المطابقة بين المعقول والمنقول".

2. ما نقله مرقس من إنجيله أن أحد الكتبة سأل عيسى عن أول الوصايا فأجابه: (أول الوصايا: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد... فقال له الكاتب: جيدا يا معلم بالحق قلت، لأنه واحد وليس آخر سواه.. فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لست بعيدا عن ملكوت السماوات).

3. ما رووه عن المسيح في شأن رؤية الله جل وعلا: حيث روى يوحنا أن الله (لم يره أحد قط) وأن (الله لم ينظره أحد قط)، وجاء في رسالة بولس أن الله (لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه). قال رشيد: وقد رأى الناس المسيح وروح القدس.

4. ما رواه مرقس في شأن الساعة (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الآب). " فلو كان الابن عين الآب لكان يعلم كل ما يعلمه الآب".

فهذه أناجيل النصارى القانونية ناطقة بالتوحيد الخالص فلماذا تواطؤوا على كتمانه وإخفائه؟.

[1]– ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج2، ص420.

5. أشار رشيد رضا الى أن إنجيل برنابا- غير القانوني عند النصارى- يحوي كثيرا من نصوص المسيح الدالة على التوحيد ومن ذلك قوله (فإني بشر منظور، وكتلة من طين تمشي على الأرض، وفان كسائر البشر،وإنه كان لي بداية، وسيكون لي نهاية، وإني لا أقتدر أن أبتدع خلق ذبابة)".[1]

فعقيدة التوحيد ظاهرة في أناجيل النصارى القانونية الذي كان محل تلك النصوص منها هو التحريف والتأويل، وهو أظهر منه في بعض الأناجيل غير القانونية التي حرمت مجامعهم الأولى قراءتها، وأغرت الأتباع بحرقها وإتلافها إلا ما سلم منها من ذلك.

ثانيا – تبرئة الأنبياء والرسل : عرفت مصادر أهل الكتاب بنسبة ما لا يليق إلى أنبياء الله ورسله في مناسبات كثيرة، دونما مراعاة لمقام الأدب معهم، ومن أولئك الذين نسب إليهم ما لا يليق بمقامهم نبي الله هارون – عليه السلام- فقد نسبوا إليه صناعة العجل بدلا من السامري زورا وبهتانا . وبذلك الخصوص نقل إلينا رشيد رضا من سفر الخروج قولهم: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب مع هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا.... فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتوني بها(3).....فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل، وصنعه عجلا مسبوكا" فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر...".

نقل رشيد رضا تلك الفقرة بعد أن صدرها بنقد طويل جاء فيه:" وهذا من أهم المواضع التي هيمن بها – أي القرآن- على كتب الأنبياء التي في أيدي أهل الكتاب فصحح أغلاط محرفيها، وهو يحثو التراب في أفواه الطاعنين فيه، وفيمن جاء به".[2]

ثالثا – الاهتمام بالبشارات الواردة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم:

تواطأ اليهود والنصارى- على حد سواء- على إخفاء ما ورد في كتبهم من دلائل تدل على التبشير بالنبي الخاتم عليه السلام- وقد سار رشيد رضا على نهج كثير من العلماء الذين كان لهم اهتمام خاص بإبراز تلك البشارات وإظهارها في مواضع عديدة من تفسيره، ومنها:

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج6، ص78-79، وفيهما ذكرت تلك الروايات كلها.

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص181.

1- ما جاء في إنجيل يوحنا بشأن سؤال اليهود له من أنت؟ 20 (فاعترف – أي يوحنا- ولم ينكر وأقر إني لست أنا المسيح) 21 (فسألوه: إذاً ماذا أنت إيليا؟ فقال: أنا لست إيليا، فسألوه: أنت النبي؟) فأجاب: لا)..... 25 (فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمد إذا كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟).

قال رشيد رضا معلقا: والألف واللام في لفظ النبي الواقع في الآية 21، 25 للعهد، والمراد النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه السلام "[1].

وأضاف بعد صفحات فاضحا لتحريفات اليهود والنصارى:" ادعاء أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيا آخر غير المسيح وإيليا ادعاء باطل لا أصل له، بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضا لما علمت من سؤال اليهود ليحي وإيليا- عليهما السلام-....أنت النبي؟ أي النبي المعهود الذي أخبر به موسى فعلم أن هذا النبي كان منتظرا مثل المسيح وإيليا، وكان مشهورا بحيث ما كان محتاجا إلى ذكر الاسم بل الإشارة إليه كانت كافية".[2]

2- ما جاء في إنجيل برنابا أن المسيح عليه السلام – أخبر القوم بأنه سينصرف عن العالم، فبكوا لذلك فأجابهم (8 لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا 9 لأني لست أنا الذي خلقكم، بل الله الذي خلقكم يحميكم 10 أما من خصوصي فقد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم.....على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم)" [3]. وقد كان تظليل الغمام من صفات نبينا محمد – عله السلام-.

3- ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان عيسى – عليه السلام- من بشارته بالبارقليط الذي سوف يأتي ويبكت العالم على الخطيئة وعلى البر والحساب.[4]

والبارقليط هو اسم النبي صلى وسلم في نسخ الإنجيل اليونانية والعربية القديمة ثم غيروه في التراجم الأخيرة ووضعوا بدله اسم العزى.[1]

---

[1]- رشيد رضا ، تفسير المنار، ج9، ص200.

[2]- المصدر نفسه، ج9، ص203، بتصرف يسير.

[3]- المصدر نفسه، ج9، ص250.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص71.

فهذه المواضع وغيرها من تفسير المنار تعطينا نماذج من وقوف رشيد رضا على تحريف الإنجيل والتوراة وعمله على كشفها وإبرازها، وقد جاءت جهوده تلك في إطار مسيرة علمية متواصلة لعلماء المسلمين في نقد مصادر اليهود والنصارى وتمحيصها. وما كتبه رشيد رضا لا يخرج – في غالبه– عن كونه إعادة صياغة لما كتب قبله في القديم أو إعادة تأكيد لما كتبه الدكتور رحمت الله الهندي على وجه الخصوص، إلا أن قيمته العلمية تكمن فيما ميزه من وضوح المعنى وبساطة العبارة في لغة عصرية قريبة ومتناولة . ولهذا فإن ما حواه المنار من انتقادات لمصادر اليهود والنصارى يمكن اعتباره مصدرا عصريا رئيسا في هذا الباب.

ومع هذه المعطيات كلها؛ فإن رشيد رضا لم يمتنع من إيراد نقولات كثيرة من الإنجيل والتوراة وغيرها من أسفار أهل الكتاب تحت مناسبات متعددة وأغراض متنوعة . وهذا ما سنتعرف عليه أكثر في المباحث القادمة من هذه المذكرة.

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ج10، ص340.

ملخص المبحث

خلص المبحث إلى ما يلي:

- بذل رشيد رضا جهودا بارزة في نقد مصادر اليهود والنصارى سواء على المستوى العقدي، أم على مستوى الثبوت، أم على غيرها من المستويات المتعلقة بها. وأثبت بالأدلة القاطعة أنها منحرفة العقائد، منقطعة السند، متعارضة في لغاتها وتراجمها .

- قرر رشيد رضا أن التحريف اللفظي والمعنوي كليهما موجود في تلك المصادر، لكنه قصر التحريف اللفظي على مرحلة ما قبل الإسلام، أما مرحلة ما بعد الإسلام فلم ي قرر فيها إلا التحريف المعنوي.

المبحث الثالث: روايات الإنجيل والتوراة في المنار وأثرها في تفسير القرآن ورد الحديث

قطع رشيد رضا شوطاً كبيراً في نقد مصادر أهل الكتاب، إلا أن ذلك النقد الوجيه لم يمنعه من إيراد كثير من الروايات الإنجيلية والتوراتية على وجه النقد والمقارنة، مما كان له بالغ الأثر على بعض أقواله في التفسير والحديث. وهذا ما سيعالجه المبحث في مطلبين:

الأول: استدلاله بالتوراة والإنجيل في تفسير القرآن الكريم.

الثاني: أثر ذلك الاستدلال في رد الحديث النبوي الصحيح.

المطلب الأول: استدلاله بالتوارة والإنجيل في تفسير القرآن الكريم

الفرع الأول: تفسير مبهمات القرآن

أعرب رشيد رضا – كما سلف – عن رفضه الشديد للخوض في مبهمات القرآن ومجملاته، لكنه استعان بكثير من النصوص الواردة في مصادر أهل الكتاب لذلك الغرض، وهذه بعض النماذج من ذلك:

1- عند تعرضه لقصة ابني آدم من سورة المائدة استعان بسفر التكوين لتعيين اسميهما فقال:" والجمهور على أن هذين الابنين هما ابنا آدم من صلبه، وعن الحسن، أنهما من بني إسرائيل، وفي سفر التكوين، أنهما أول أولاد آدم، اسم احدهما قاين أو قايين، وهو البكر، ويقول علماء التفسير والتاريخ منا: قابيل – وهو القاتل- واسم الثاني هابيل بالاتفاق"[1].

2- وقال في تعيين عمر إبراهيم وزوجه سارة عند تبشير الملائكة لهما بالولد: " في سفر التكوين أن إبراهيم كان عمره يومئذ مائة سنة، وأن زوجه سارة هذه كانت ابنت تسعين سنة ومثلها لا يلد"[2].

3- وعند تفسير سورة يوسف قال بشأن(القائل منهم): " قال قائل منهم) أبهمه القران لأن تعيينه بتسميته لا فائدة منها في عبرة و لا حكمة، وإنما الفائدة في وصفه بأنه منهم، وهي أنهم لم يجمعوا على جناية قتله، وقال السدي: إنه يهوذا، وفي سفر التكوين أنه رأوبين"[3].

ففي مثل هذه المواضع وغيرها كان رشيد رضا يورد بعضا من الأسماء والتفاصيل المجملة في القرآن الكريم بناء على ما هي عليه في أسفار أهل الكتاب، يوردها أحيانا في سياق الإثبات، وأحيانا في سياق المقارنة بما في كتب التفسير والتاريخ، وأحيانا أخرى في سياقات متنوعة. وقد كان

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج6، ص282.

[2]- المصدر نفسه، ج12، ص107.

[3]- المصدر نفسه، ج12، ص217.

هذا الاقتباس معروفا ومقبولا عند جل المفسرين، إلا أن رشيد رضا أعلن موقفه السابق من تفسير المبهمات، فكان صنيعه هذا مخالفة منه لذلك المنهج الذي ارتضاه.

ومما يستقبح في تفسير المنار أنه كان يعقد وقفات طويلة – في أحيان كثيرة – لتعيين ما أبهم أو تفصيل ما أجمل، ومن ذلك صنيعه في قصة شعيب حيث قال في تعيين اسمه:" هو من أنبياء العرب المرسلين واسمه مرتجل، وقيل: مصغر شعب بفتح المعجمة أو كسرها، وما قيل من حظر تصغير الأسماء لا يدخل فيه الوضع الأول، بل المراد به تصغير الاسم المعروف بما يوهم الاحتقار".

ثم نقل عن ابن عساكر أقوالا في ذلك الاسم وعقب عليها بقوله:" وأقول: إن اليهود كانوا يغشون المسلمين فيما يروون لهم من كتبهم، والذي في توراتهم أن حمى موسى كان يدعى رعوئيل كما في سفر الخروج (18:2) وسفر العدد (29:10) وقالوا: إن "رعو" معناه صديق فمعنى رعوئيل (صديق الله) أي الصادق في عبادته، وفي (1:3خروج) أن اسمه يثرون بالمثلثة والنون..... ويرجح أن يثرون كان لقبا لوظيفته، و أنه كان من نسل إبراهيم وقطورة" [1] ، ففي هذا النقل وحده ذكر رشيد رضا ما جاء في سفر الخروج، وما جاء في سفر العدد، وما جاء في قاموس الكتاب المقدس، كما ذكر بعض التراجم أيضا.

وبعد ذلك انتقل لتحقيق اسم مدين فقال فيه نقلا عن سفر التكوين : " أن زوجة إبراهيم قطورة ولدت له ستة أولاد منهم مدان ومدين، وأهل الكتاب يكسرون ميم مدين، وبعضهم يقول مديان، والمدينيون عرب، والعرب تفتح ميم الكلمة، وفي قاموس بوست أن معناها خصام". [2]
وعلى هذا فمدين عند أهل الكتاب ابن لقطورة زوجة إبراهيم عليه السلام. ولم يكتف بذلك، بل ذكر أقوالا للمسلمين في معنى تلك اللفظة وعقب عليها بقوله:" ومما تقدم تعلم أن الراجح من هذه الثلاثة الأقوال هو الأول"[3]، أي ما ذكر في سفر التكوين.

تكرر هذا الوقوف الطويل من تفسير المنار في مواضع عدة لمثل ذلك الغرض، وتكرر معه ذلك الترجيح من أسفار أهل الكتاب، وهذا العمل من رشيد رضا مخالف لما سطره من قواعد في

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج8، ص466.
[2]- المصدر نفسه، ج8، ص467..
[3]- المصدر نفسه، ج8، ص467.

التعامل مع مبهمات القرآن من جهة، وهو مخالف لقواعد الترجيح من جهة أخرى، لأن أسفار أهل الكتاب حتى باعتبارها (أثرا تاريخيا له قيمته) لا تصلح للترجيح المطلق ، لأن تلك القيمة التاريخية (لا تعصمها من الخط إ) -كما جاء في المنار -، ولأن "عادة أهل الكتاب جارية على ترجمة الأسماء- غالبا- في تراجمهم، وإعطاء معانيها بدلا منها، بل وزيادة أشياء على وجه التفسير دونما إشارة إلى تلك الأمور، مما جعل تلك التراجم مدعاة للخبط العظيم ومنشأ للفساد" [1]، كما جاء في المنار أيضا نقلا عن صاحب إظهار الحق.[2]

وأيا يكن تلك الأقوال أصح فإن مكانها الصحيح هو كتب السير والتاريخ، أما تفسير القرآن الكريم فهو موضع للعبرة والعظة من تلك القصص وليس محلا لذلك التوسع في الأسماء أو غيرها من المبهمات.

الفرع الثاني: إيرادها على وجه المقارنة في قصص الأنبياء

أظهر رشيد اهتماما خاصا بالنقل من مصادر أهل الكتاب على وجه المقارنة، وظهر ذلك جليا عند تفسيره لقصص الأنبياء، ومن ذلك:

1- قصة نوح – عليه السلام-: فعند تفسير آية هود: تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ **[هود:49]** وما قبلها من الآيات الواردة في قصة نوح قام بوضع مقارنة لحادثة الطوفان تحت عنوان : (حادثة الطوفان في القرآن والتوراة والتاريخ القديم)، تحدث فيه عن (قصة نوح في سفر التكوين)، جاء فيه: "وأما قصة نوح في سفر التكوين... فهي قصة تاريخية وردت في سياق أنساب ذرية آدم وتسلسلها في السنين المعدودة... وهذا التاريخ نقضه من أساسه علم الجيولوجية وما كشف من آثار الإنسان المتحجرة وغيرها".[3] وأضاف:" وأما قصة نوح – عليه السلام- فاستغرقت فيه أربعة فصول... وفي أول السادس بيان سبب الطوفان، وهو بمعنى ما في القرآن إلا أنه بأسلوب تلك الكتب التي تشبه

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج9، ص211.بتصرف.

[2]- ينظر: رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ج4، ص1097.

[3]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج12، ص84.

الله – تعالى- بالإنسان في الصورة والمعنى .." ثم قال:" وهذا ما يعنينا في هذا السفر من قصة نوح.

(**6:5** ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه.

7 فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت عليهم أني عملتهم..."[1] .

واصل رشيد رضا ملخص القصة من سفر التكوين ثم قال:" هذه خلاصة قصة نوح في سفر التكوين، وليس فيها أنه كان رسولا ولا أنه دعا قومه إلى الله،....ولكنه يوافق القرآن في أن سبب الطوفان غضب الله على البشر بفسادهم وظلمهم، ولكن بأسلوبه المشبه لله سبحانه بالإنسان في صفاته الباطنة كصورته الظاهرة"[2]. وتعرض بعد ذلك إلى موافقة سفر التكوين للقرآن في عمر نوح، وختم تلك المقارنات باعتبار سفر التكوين ليس من توراة موسى، وأنه ليس حجة قطعية فيما ذكر فيه فضلا عما سكت عنه.[3]

فالقارئ لقصة نوح في تفسير المنار يرى اهتمام رشيد رضا بمبد إ المقارنة بين القرآن وأسفار أهل الكتاب واضحا، ويرى بجلاء – أيضا- أن تلك المقارنة قد أقحمت في تفسير كتاب الله، وأنها أشبه بالسرد التاريخي البعيد عن روح القرآن وتفسيره.

2– قصة آدم عليه السلام: عند تفسيره لقصة آدم الواردة في قوله تعالى: وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ **[الأعراف:19]** قال: " وتعريف الشجرة كتعريف الجنة، وهي مشار إليها في الآية بما يعين شخصها، ولم يبين في القرآن نوعها ولا وصفها.... وفي الفصل الثاني من سفر التكوين أول أسفار

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج12، ص85.

[2]- المصدر نفسه، ج12، ص86.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ج12، ص86.

التوراة ما نصه " 8 وغرس الرب الإله جنة من عدن شرقا ووضع هناك آدم الذي جبله 9 وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر" ثم قال " 15 وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها 16 وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا 17 وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت" [1] اهـ. ثم قال رشيد رضا معلقا:" وقد أكل آدم من الشجرة ولم يمت يوم أكلها والقرآن قد علل النهي بأنه يترتب على مخالفته أن يكونا من الظالمين لأنفسهما، أي بفعلهما ما يعاقبان عليه ولو بالحرمان من ذلك الرغد في العيش وما يعقبه من تعب في المعيشة".[2]

كان ذلكم هو الاعتراض الوحيد من رشيد رضا على ذلك النقل الذي خالف القرآن في جزئية مهمة من جزئيات القصة، وهي أن الله – جل وعلا- لم يدخل آدم الجنة " ليعملها ويحفظها" كما جاء في ذلك السفر، وإنما ليعيش بها حياة رغد وراحة وهناء، ولذلك علل الله تحذيره لآدم من خروج الجنة بالشقاء في الدنيا بقوله تعالى: **فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧** **[طه:117]**، أي: " إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعب وتعيى وتشقى في طلب رزقك، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء بلا كلفة ولا مشقة". [3] وقد ترتبت تلك المخالفة التوراتية على مبدإ شنيع وهي إنكار أسفارهم للجزاء والحساب ومحاولة تحريف كل ما من شأنه أن يدل عليهما.

ومما يؤسف له أن قول التوراة ذلك قد كان له أثره فيما ذهب إليه رشيد رضا من القول بأن الجنة التي أدخلها آدم وأخرج منها هي مجرد بستان من بساتين الدنيا نعم فيه آدم وزوجه إلى حين، خلافا لرأي الجمهور.[4]

وفي قوله:" وتعريف الشجرة كتعريف الجنة، وهي مشار إليها في الآية بما يعين شخصها" دلالة على أن " ال" التعريف للعهد ولي ست للجنس، وهذا بعض متعلق الجمهور في كونها جنة

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج8، ص 308-309.

[2]- المصدر نفسه، ج8، ص309.

[3]- ابن كثير، تفسير القرآن، ج5، ص282.

[4]- ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص230.

الخلد التي هي في السماء، وهو ما خالف فيه رشيد رضا جمهور المفسرين، ووافق سفر التكوين وبعض من شذ من علماء المسلمين.

3- قصة التيه: وقف رشيد رضا عند دعاء موسى – عليه السلام- على قومه في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ **[المائدة:25]**.

وقال:" الفرق: الفلق والفصل بين الشيئين أو الأشياء...ويطلق على القضاء وفصل الخصومات، وذلك قسمان حسي ومعنوي، ومعنى الجملة هنا: فافصل بيننا- يعني نفسه وأخاه- وبين الفاسقين عن الطاعة، وهم جماعة بني إسرائيل، بقضاء تقضيه بيننا... وقيل معناها: إذا أخذتهم بالعقاب على فسوقهم، فلا تعاقبنا معهم في الدنيا، وقيل الآخرة، والأول هو المختار الموافق لقوله" قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض". [1] وألحق ذلك التفسير بشاهد له من سفر العدد جاء فيه:"11وقال الرب لموسى: حتى متى يهينني هذا الشعب؟
وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟ 12 أني اضربهم بالوباء وأبيدهم، وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم، فشفع موسى فيهم لئلا يشمت بهم المصريون وبه، فقبل الرب شفاعته، ثم قال (22 إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية، وجربوني الآن عشر مرات، ولم يسمعوا قولي 23 لن يروا الأرض التي خلقت لآبائهم،وجميع الذين أهانوني لا يرونها..."[2] .

واصل رشيد رضا الاستشهاد بذلك السفر بما فيه من العبارات الركيكة ومنها (يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني، ومنها (أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هنا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي)، وعلق عليه بقوله :" لا نبحث هنا في هذه العبارات التي أثبتناها، ولا في ترك ما تركناه من الفصل في موضوعها، لا من حيث التكرار، ولا من حيث الاختلاف والتعارض، ولا

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار ، ج6، ص277.

[2]- المصدر نفسه، ج6، ص 277-278.

من حيث تنزيه الرب تعالى ولا نبحث عن كاتب هذه الأسفار بعد سبي بني إسرائيل، وإنما نكتفي بما ذكرناه شاهدا، ونقول كلمة في هذا العقاب، تبصرة وذكرى لأولي الألباب..."[1]

التعقيب: أورد رشيد رضا ذلك الكلام من سفر العدد تدليلا على كون المقصود من دعاء موسى – عليه السلام- هو عقاب الدنيا وليس عقاب الآخرة، ويستدرك على هذا بأمور عدة منها:

1- القول بأن ذلك الدعاء بخصوص عقاب الدنيا هو قول كثير من المفسرين، والتحقيق أن تعلق ذلك المطلب بالدنيا لا يقتضي إبعاد طلب ذلك بشأن الآخرة،بل هو أشد وآكد.

2- إن أسفار أهل الكتاب تستبعد الحديث عن الآخرة وعن الجزاء والعقاب فيها، والاستشهاد بأسفارها في مثل هاته المواضع محل شبهة . وليس الإشكال في ترجيح وقوع العذاب في الدنيا على وقوعه في الآخرة، إنما الإشكال كامن في إيراد عبارة سفر لا يعترف بالآخرة أصلا تدليلا على كون ذلك الأمر واقعا في الدنيا. وقد كان من الممكن أن يكون ذلك التدليل مقبولا من السفر باعتباره سندا و أثر تاريخيا يمكن من خلاله فهم بعض أحداث بني إسرائيل في موضع غير هذا لكن الأمر غير مقبول بالمرة هنا مادام أنه لا يعترف بالآخرة داراً للثواب والعقاب.

3- المفسر عليه مسؤولية فيما يكتبه وفيما ينقله من تلك الأسفار، ومن غير اللائق بمفسر القرآن أن يغض الطرف عما يرد فيها من مخالفات. ولا يدرى أكان ذلك الاستشهاد والاعتذار من رشيد رضا حبا في التوراة وأسفارها؟ ، أم ضعفا في الحجة والبيان؟ . أيهما كان الأمر فإنه من الخطورة بمكان.

أورد رشيد رضا بعض المقارنات على سبيل النقد والتفنيد ومن ذلك ما أورده في مجادلة إبراهيم عليه السلام للملائكة عند قوله تعالى: **فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ [هود: 74-75]**، تحكي هذه

[1]- المصدر نفسه، ج6، ص278.

الآيات قصة إبراهيم مع ملائكة العذاب الذين بعثهم الله جل وعلا لإهلاك قوم لوط، حيث أخذ إبراهيم يجادلهم في شأن ذلك الإهلاك ويستعطفهم، لكن التوراة حرفت ذلك.

قال رشيد رضا على وجه المقارنة:" وهذه المجادلة المشار إليها هنا المجملة في سورة العنكبوت مفصلة في الفصل الثامن عشر من سفر التكوين من أوله إلى آخره، وجعلت فيه مجادلة للرب سبحانه لرسله، ففي أوله أن الرب ظهر لإبراهيم وهو جالس في باب الخيمة فظهر له ثلاثة رجال...وأن امرأته سارة سمعت فضحكت وتعجبت...(13 فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة هل يستحيل على الرب شيء؟) الخ. ثم نقل ما يخص تلك المراجعة من إبراهيم لربه وختمها بقوله:" 33 وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم إلى مكانه" اهـ. وعلق على تلك العبارات بقوله:" فتأمل الفرق بين عبارات القرآن الوجيزة المفيدة المنزهة للرب –تعالى– عن مشابهة الخلق، وعبارات ما يسمونها التوراة في تشبيه الله بعباده وتطويلها غير المفيد".[1]

ولو أن الشيخ رشيد رضا اكتفى بهذا التعليق ومثله واستغنى به عن تلك النقول الطويلة لكان أجدر به وأحسن.ذلك أن حشو المنار بها يجعل القارئ لقصص الأنبياء فيه أشبه بقارئ لسفر من التوراة أو الإنجيل، ولو تعلق الأمر بما سكتت عنه نصوص الشرع لكان هينا، ولكنه تعدى في أحيان كثيرة إلى مخالفات عقدية خفية تلحق ذلك النقل والاستشهاد بباب الحظر وعدم الجواز.

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار ، ج12، ص109.

المطلب الثاني: أثر ذلك الاستدلال في رد الحديث النبوي الصحيح

رد الحديث النبوي الصحيح هو أحد الآثار التي خلفها استشهاد المنار بمصادر أهل الكتاب. وفي هذا المطلب دراسة لحديث من أحاديث أبي هريرة الذي سلك معه رشيد رضا ذلك المسلك.

الفرع الأول: طرق حديث أبي هريرة:" كل بني آدم يمسه الشيطان" الحديث

أولا– لفظ الحديث

جاء في صحيح البخاري:" قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما من بني آدم مولود إلا **يمسه** الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان، غير مريم وابنها" ثم يقول أبو هريرة: "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ **[آل عمران:36]**[1].

مفاد هذا الحديث أن الشيطان يتعرض بالمس لكل مولود من بني آدم، إلا مريم وعيسى – عليهما السلام– فقد منعا من ذلك ببركة دعاء زوجة آل عمران – عليهما السلام–.

ثانيا– طرقه في الصحيحين

ورد هذا الحديث عن أبي هريرة بطرق مختلفة في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث والتفسير، وهذه طرقه في الصحيحين:

[1]– البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:" واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا" (مريم: 16)، رقم3431، ج4، ص164.

طرقه في صحيح البخاري: رواه البخاري في أبواب متعددة من كتابه، حيث:

1 ـ رواه عن أبي هريرة من طريق سعيد بن المسيب باللفظ المذكور أعلاه.

2 ـ ورواه بسند آخر من طريق ابن المسيب أيضا، بلفظ قريب من الأول.[1]

3 ـ ورواه بلفظ آخر وسند جديد من طريق الأعرج، ولفظه:" كل بني آدم **يطعن** الشيطان في جنبيه بأصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب".[2]

طرقه في صحيح مسلم: رواه مسلم هذا الحديث بطرق مختلفة أيضا حيث:

1 ـ رواه عنه من طريق سعيد بن المسيب بلفظ:" ما من مولود يولد إلا **نخسه** الشيطان فيستهل صارخا من نسخة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه"...الحديث.

2 ـ ورواه من طريق الزهري بلفظ:" **يمسه** حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه".

3 ـ رواه من طريق أبي يونس سليم (مولى أبي هريرة) بلفظ:" كل بني آدم **يمسه** الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها".[3].

4 ـ ورواه من طريق العلاء عن أبيه بلفظ جاء فيه:" كل إنسان تلده أمه **يلكزه** الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها".[4]

---

[1]- ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن ، باب (و إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (آل عمران: 36)، رقم4548، ج6، ص34.

[2]- المصدر نفسه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم3286، ج4، ص125.

[3]- مسلم ، الصحيح ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، رقم2366، ج4 ، ص1838 .

[4]- المصدر نفسه ، كتاب الفضائل ، معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم2658، ج 4 ، ص2048 .

فألفاظ البخاري ومسلم جاءت بلفظ المس، والطعن، والنخس، واللكز. وهذه الألفاظ كلها تدل على فعل محسوس يتعرض له الجنين عند ولادته، حيث يقوم الشيطان بمسه وطعنه فيصرخ الصبي لما يجد من الألم لذلك الفعل من الشيطان.[1]

أما المسيح وأمه، فقد عصمهما الله – جلا وعلا- من ذلك الأذى ببركة دعاء أم مريم "إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". حيث قصد الشيطان إلى ذلك الفعل فمنع منه وجعل الله لهما حجابا أصابه الطعن فلم ينفذ إليهما منه شيء.[2] وهذا الأمر – على غرابته- ليس بعيدا عن الشيطان، والحفظ منه بمثل ذلك الحجاب ليس بعيدا عن الله القادر على ما يشاء.

الفرع الثاني: احتجاجات رشيد رضا على الحديث ومناقشتها

أولا- احتجاجاته على الحديث

اعترض رشيد رضا على ثبوت ذلك الحديث بمجموعة من الاحتجاجات يمكن إبرازها في النقاط التالية:

1- اضطرب رشيد رضا في ذلك الحديث بين مبد إ التأويل الذي ذهب إليه شيخه، وبين مبدإ التفويض الذي قال أنه مذهب السلف في ذلك الحديث.

فقال في تأويله:" فسر البيضاوي المس هنا: بالطمع في الإغواء، وقال الأستاذ الإمام: إذا صح الحديث فهو من باب التمثيل لا من باب الحقيقة، ولعل البيضاوي يرمي إلى ذلك، والحديث صحيح الإسناد بلا خلاف، ويشهد له من وجه حديث شق الصدر وغسل القلب بع د استخراج حظ الشيطان منه، وهو أظهر في التمثيل"[3].

وقال في تفويضه: " ومذهب السلف في هذه الأحاديث تفويض العلم بكيفيتها إلى الله – تعالى- فلا نتكلم في كيفية مس الشيطان".[4]

---

[1]- ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص470.

[2]- ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين **القرطبي** ،الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة ط2، 1384هـ-1964م، ج4 ، ص68.

[3]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج3، ص238.

[4]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج3، ص240.

2- اعتبر ذلك الحديث حديث آحاد متعلق بأمر غيبي لا يؤخذ فيه بالظن مما يسقط تكليف الإيمان بمضمونه لأنه من قسم العقيدة.

3- أقر بأن الحديث يثبت اختصاص عيسى وأمه عليهما السلام- بتلك المزية التي " لا تقتضي وحدها أن يكون كل واحد منهم أفضل من سائر عباد الله المخلصين، إذ قد يوجد في المفضول من المزايا ما لا يوجد في الفاضل".

4- استشهد بنص من إنجيل لوقا يثبت تعرض الشيطان لعيسى – عليه السلام - دفعا لما شاغب به دعاة النصارى على عوام المسلمين- كما قال- جاء فيه:" أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس وكان يقتاد بالروح في البرية (2) أربعين يوما يجرب من إبليس، ولم يأكل شيئا في تلك الأيام ولما تمت جاع أخيرا (3) وقال له إبليس إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا [4] فأجابه يسوع قائلا مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من الله".

واستمر إبليس في محاولة إغراء عيسى – عليه السلام- الذي مكنه من الاستمرار في دفع ذلك الإغراء، إلى أن قال (صاحب السفر):" ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين".

قال رشيد رضا معلقا:" فهذا صريح كان يوسوس للمسيح – عليه السلام- حتى يحمله ويأخذه من مكان إلى مكان، وقصارى الأمر أنه لم يكن يطيعه فيما أمر به من السجود له، ومن امتحان الرب إلهه (أي إله المسيح) وقوله: (لا تجرب الرب إلهك) يراد به ما ورد في سفر التثنية آخر أسفار التوراة (6: 16) ومثله قوله: (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) وقوله (للرب ألهك تسجد) الخ، وذلك مما يدل على أنه كان متبعا للتوراة".[1]

بهذا النص الإنجيلي وحده أثبت رشيد رضا أن الشيطان كان يوسوس لعيسى، وقصارى الأمر أن المسيح – عليه السلام- لم يطعه في السجود له لأنه كان متبعا للتوراة. وقد اختار رشيد رضا القول بذلك الرأي دفعا لمشاغبات النصارى على المسلمين.

[1]- المصدر نفسه، ج3، ص239-240.

ثانيا: مناقشته في تلك الاحتجاجات

يمكن مناقشة رشيد رضا فيما احتج به على حديث أبي هريرة في نقاط عديدة، هذه أهمها:

1- مناقشته في تأويل الحديث: قول الأستاذ الإمام :" إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة"، تأويل يحتاج إلى دليل يستند إليه أو قرينة تدعو إليه. وحديث البخاري في الطعن صريح في أن ذلك المس حسي، ومثله حديث مسلم في النخس، وحديثه الآخر في اللكز. وتفسير البيضاوي للمس بالطمع في الإغواء هو ضرب من التأويل، ، بـوفي ذلك يقول في معنى الحديث:" أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود يتأثر منه إلا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة".[1]

لكن البيضاوي – رحمه الله- إنما قال بتأويل المس عن حقيقته إلى مجرد " الطمع في الإغواء" لأنه على مذهب الزمخشري في ذلك، ومذهب الزمخشري هو مذهب المعتزلة" من أن الجن لا تسلط لها على الإنسان إلا بالوسوسة و الإغواء" وقد كان قول البيضاوي بهذا أثرا من آثار اختصاره لتفسير الكشاف.[2]

أما قول رشيد رضا أن " التفويض في كيفية ذلك المس هو مذهب السلف" فلا يدرى أي سلف أولئك الذين يتحدث عنهم؟ ، أهم رواة الصحيحين البخاري ومسلم، أم شراحه أمثال النووي وابن حجر العسقلاني، أم غيرهم من رواة الحديث وشراحه، أم من عداهم من علماء التفسير وغيره ؟.

إن إنكار وقوع ذلك المس هو مذهب المعتزلة، ولذلك فـإن صاحب الكشاف اعترض على الحديث بقوله:" وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، ولو سلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه" [3]. وأوله بالطمع في الإغواء

---

[1]- أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي **البيضاوي**، أنوار التنزيل وأسرار التاويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1418هـ، ج2، ص14.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص12 (مقدمة المحقق).

[3]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص.357

لقوله تعالى: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: 82-83].

وقد أورد الحافظ ابن حجر شبه الزمخشري وأجاب عنها فقال:" وكلامه متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين وأما قوله لو ملك إبليس الخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع أن يستمر ذلك في حق كل أحد".[1]

والمعنى أن الحديث لا يتعارض مع ما ورد في القرآن في قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ [الحجر: 42]، وفي آية ص السابقة.

فالسلامة من مس الشيطان عند الولادة هو وجه اختصاص المسيح وأمه – عليهما السلام، وذلك لا يقتضي تسلطه على غيرهما من عباد الله المخلصين.

"فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها ولا يلزم من ذلك النخس إضلال الممسوس وإغواءه بل هذا ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء لكن الله عصمهم".[2]

إذن فتأويل الحديث صرف لحقيقته عن وجهها دون دليل أو قرينة، وأما تفويضه وعدم الخوض في معناه فهو ساقط بما ورد في رواية البخاري من الطعن، وبما ورد في روايتي مسلم من النخس واللكز.

2- مناقشته في رد الحديث بشبهة الرواية عن الآحاد : حديث أبي هريرة هذا هو في أصله حديث آحاد، لكن رواياته عن أبي هريرة قد بلغت من الكثرة حد الشهرة والاستفاضة.[3] ولو

[1]- ابن حجر ، فتح الباري، ج8، ص212.

[2]- القرطبي، أحكام القرآن، ج4، ص68.بتصرف.

[3]- ينظر في رواته عن أبي هريرة: ابن كثير، تفسير القرآن، ج2، ص29.

كان فيه ما يطعن في باب العقيدة ما قبل روايته عنه كبار التابعين أمثال سعيد بن المسيب والزهري وغيرهما. وقد تأصلت شبهة رواية الآحاد عند صاحب المنار ليرد بها الكثير من صحيح الروايات . وهذا المنهج- بلا شك- مخالف لما سلكه علماء الأمة تجاه الروايات والأحاديث[1].

ولما كانت شبهة إرسال أبي هريرة قوية الورود عند رشيد رضا، فقد حاولت تتبع الروايات التي تنفي تلك الشبهة، فحصل لي ثلاث روايات صرح فيها أبو هريرة بالسماع من النبي - صلى الله عليه وسلم -.

الأولى: رواية البخاري السابق ذكرها (الحديث الأول).

الثانية: أوردها الطبراني بسنده إلى أبي هريرة وهذا لفظها:" سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" ما من مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها"، الحديث[2].

الثالثة: أوردها البغوي في شرح السنة وهذا لفظها:" قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من الشيطان غير مريم وابنها" الحديث[3].

فهذه ثلاث روايات على الأقل تثبت سماع أبي هريرة لذلك الحديث من النبي عليه السلام.

3- مناقشته في الاستشهاد بنص الإنجيل : أورد رشيد رضا نصا من الإنجيل يجعلنا أمام تساؤلين: ما هو الدافع عند رشيد رضا لدفع دلالة الحديث بنص من إنجيل لوقا ؟ أهو رفضه لمعنى المس الوارد فيه؟ أم هو تحفظه على اختصاص عيسى – عليه السلام- بتلك المزية؟ ، لعل الأمرين معا كان لهما أثر معتبر في توجيه موقفه ذلك.

---

[1]- ينظر في بسط موقفه من الآحاد: شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، ص271.

[2]- أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، **الطبراني**، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1405هـ- 1984م، ج4، ص167.

[3]-أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي**، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2: 1403هـ- 1983م، ج14، ص406.

أما تأويله لمعنى المس فقد سبق الكلام عليه. وأما ما أورده من الإنجيل – إن كان صحيحا غير محرف– فهو لا يناقض الحديث ولا يسقط تلك المزية للمسيح وأمه، فالحديث يتكلم عن سلامة عيسى عليه السلام من المس عند الولادة، أما ما في الإنجيل فهو صريح في تجربته بعد ذلك، والحديث خص الكلام بالنخس والمس لحظة الولادة وإلا" فمريم وابنها وإن عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته والله أعلم"[1].

وما في الإصحاح صريح أيضا في استعصاء المسيح على الشيطان عند إرادته إياه. وهذا دليل من دلائل العصمة، لكن رشيد رضا استصغر ذلك الاستعصاء بقوله:" وقصارى الأمر أنه لم يكن يطيعه فيما أمر به من السجود له"، واعتبره نتيجة لاتباع المسيح للتوراة، والمعنى أن سلامة عيسى من تسلط الشيطان عليه حينئذ لم يكن نتاجا للعصمة ومستلزماتها، وإنما هو دليل– فقط– على اتباعه وامتثاله لشرائع التوراة.

تبدو عبارة المنار في صورة المدح لعيسى – عليه السلام– على الطاعة والامتثال، لكنها تحمل في مضمونها ما يخدش مقام عصمته، ذلك أن دفع ما كان محل مشاغبة من النصارى على عوام المسلمين جعل رشيد رضا يستنبط من ذلك النص الإنجيلي أن عيسى النبي لم يعصم بحفظ إلهي رباني خارج عن ذاته وقدرات نفسه وإنما عصم – فقط– لفرط طاعته وشدة امتثاله للتوراة، وهذا الأمر قد يشترك فيه الكثير ممن هم دون الرسل والأنبياء . بمعنى أن الأمر أصبح نتاج رياضة نفسية إيمانية تخضع لتحديات البشر وقدراتهم على مواجهة الشيطان ونزاوته . وفي هذا من الإلغاء لمعنى العصمة الربانية للأنبياء شيء كثير.

إن معالجة رشيد رضا لتلك الشبهة بذلك الأسلوب مشعر بتحرجه من اختصاص عيسى عليه السلام بتلك المزية وان لم يفصح، وقد كان الأولى أن يوجه ذلك الحديث بما يناسب مقام تواضع نبينا محمد– عليه السلام–، ويظهر منزلة الأنبياء عنده فقد جاء في حديث أبي هريرة مرفوعا قوله– عليه السلام– :" أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة

[1]– القرطبي، أحكام القرآن، ج4، ص68.

لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد." [1]ومعنى الحديث أن:" نبينا- صلى الله عليه وسلم- أخص الناس بنبي الله عيسى لأنه بشر به، أو لقرب العهد بينهما، وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع شرائعهم".[2]

[1]- البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (واذكر في الكتب مريم إذ انتبذت من أهلها)[مريم:16]، رقم3443، ج4، ص167.

[2]-ابن حجر، فتح الباري ، ج6، ص489. بتصرف. والعلات:الضرائر، والإخوة لعلات: الإخوة من أب.(المصدر نفسه).

خاتمة المبحث

خلص المبحث إلى النقاط التالية:

– أورد رشيد رضا كثيرا من روايات الإنجيل والتوراة في إطار تفسيره لمبهمات القرآن، وبسط ما أجمل فيه من قصص الأنبياء مما يظهر بوضوح أن رشيد رضا يعتبر تلك الروايات مصدرا مقبولا في التفسير.

– أورد المنار بعضا من تلك النقول على سبيل النقد للحديث النبوي الشريف ولم يجد مانعا من رد بعض الروايات الواردة في الصحيح.

– أعرب ذلك السلوك عن تذبذب بين في موقف رشيد رضا من مصادر النصارى واليهود، وأبان عن انعدام المنهجية العلمية السليمة في الاقتباس منها، وكان هدما لمبدإ النقد الذي تناولها به في كثير من صفحات المنار، فبات عمله ذاك أشبه بالتي "نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا".

المبحث الرابع: إقحامها في نقد الإسرائيليات والتفسير المأثور

يتناول هذا المبحث إحدى الظواهر التي عرفها تفسير المنار في استشهاداته بروايات الإنجيل والتوراة والمتمثلة في تحكيم تلك الروايات في نقد التفسير المأثور وما ورد فيه من إسرائيليات.

ويتضمن مطلبين:

الأول: قصة بقرة بني إسرائيل.

الثاني: ما حرم من الطعام على بني إسرائيل.

المطلب الأول: قصة بقرة بني إسرائيل

الفرع الأول: القصة بين المنار وكتب التفسير

قال تعالى في شأن تلك القصة: وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ **[البقرة: 67]**.

إلى أن قال جل وعلا: وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ **[البقرة: 72-73]**.

تحكي هذه الآيات قصة وقعت في بني إسرائيل، ومفادها أن رجلا من أغنيائهم لم يكن له وارث فاستعجل ابن أخ له ميراثه فقتله وكتم أمره وتظاهر بالبحث عن قاتله، وعندئذ أمر الله نبيه موسى – عليه السلام– أن يأمر قومه بذبح بقرة ففعلوا بعد مراجعة وعناد طويل، ثم أمرهم – جل وعلا– أن يضربوه بجزء منها ففعلوا فأحياه الله فأخبرهم بالقاتل ثم مات من حينه، وكان ذلك معجزة أيد الله بها نبيه موسى وفضح بها قاتل بني إسرائيل[1].

لكن رشيد رضا يرى–تبعا لمحمد عبده– أن الآيات السابقة تحكي تشريعا كان معروفا عند بني إسرائيل، ولا دخل لها بباب التحدي والإعجاز. فنقل عن الأستاذ قوله: " يقول أهل الشبهات في القرآن: إن بني إسرائيل لا يعرفون هذه القصة، إذ لا وجود لها في التوراة، فمن أين جاء بها القرآن؟ ونقول: إن القرآن جاء بها من عند الله الذي يقول في بني إسرائيل المتأخرين: إنهم نسوا حظا مما ذكروا به، وأنهم لم يؤتوا إلا نصيبا من الكتاب، على أن الحكم منصوص في التوراة".[2]

[1]– ينظر تفصيل القصة في كتب التفسير، وينظر أيضا: ابن حجر، فتح الباري، ج6 ، ص440.

[2]– رشيد رضا، تفسير المنار،ج1، ص287.

ثم أضاف رشيد رضا في نقل طويل عن التوراة:" وأقول: إن ما أشار إليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقرة هو في أول الفصل الحادي والعشرين من سفر الاشتراع ونصه:

(1) إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعا في الحقل لا يعلم من قتله.

(2) يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل.

(3) فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير.....

(6) ويغسل جميع تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي.

(7) ويصرحون ويقولون: أيدينا لم تسفك هذا الدم، وأعيننا لم تبصر.

(8) اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب، ولا تجعل دم بري في وسط شعبك إسرائيل، فيغفر لهم الدم اهـ"[1].

وعقب على ذلك بقوله :" فعلم من هذا أن الأمر بذبح البقرة كان لفصل النزاع في واقعة قتل" ، وهكذا كان سفر التوراة مصدرا عند رشيد رضا- لتفسير تلك القصة، وكانت النتيجة أن تلك الآيات تحكي تشريعا معروفا عند بني إسرائيل !!

الفرع الثاني: احتجاجات المنار في تأويل القصة ومناقشتها

أورد رشيد رضا مجموعة من الاحتجاجات على الروايات الواردة فيها، تظهر فيما يأتي:

1- أوّل معنى الضرب الوارد في الآية واعترض على ما ورد فيه من روايات فقال:" و أما قوله: (فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ) فهو بيان لإخراج ما يكتمون. ويروون في هذا الضرب روايات كثيرة....والآية ليست نصا في مجمله فكيف بتفصيله؟ والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل....."[2].

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص288.

[2]- المصدر نفسه، ج1،ص290-291.

والمعنى أن الآية لا تعتبر نصا في مجمل الضرب فضلا عما ورد فيه من روايات. بل الظاهر- عنده حسب التوراة- أن الآية تحكي نصا تشريعيا لا واقعا إعجازيا.

2-أوّل معنى الإحياء بحفظ الدماء واستبقاء الأمم، فقال في ذلك :" ومعنى إحياء الموتى – على هذا- حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك، بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي يحييها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حد قوله – تعالى- :" (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ) (5: 32) وقوله (وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ) (2: 179) فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين".

3- أبعد الوجه الإعجازي عن قوله تعالى: (وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ) حيث صرف تلك الآيات عن تعلقها بإحياء ميت أنطق ليفضح قاتله، إلى تعلقها بحكم تشريعي فقال:"(وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ) بما يفصل في الخصومات.....وأكثر ما يستعمل هذا التعبير في آيات الله في خلقه الدالة على صدق رسله، وليس عندي شيء عن شيخنا في تفسير هذه الجملة، ولكنه قال في تعليلها ما يرجح القول الأول وهو (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أي تفقهون أسرار الأحكام، وفائدة الخضوع للشريعة".[1]

مناقشة: يمكن مناقشة هذه التأويلات التي أخذ بها رشيد رضا في تفسير الآية من وجوه متعددة منها:

1- استدلاله بالتوراة: النص الذي أورده من التوراة شاهد على تحريفها، والقرآن حجة عليه وليس العكس، وكان الأحرى بصاحب المنار أن يلتزم بما سطره بشأن تلك الأسفار من أنها" ليست حجة عندنا حتى نعتد بالتعارض بينها وبين ظواهر القرآن، بل القرآن هو المهيمن على ما

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص291.

قبله، نصدق ما صدقه ونكذب ما كذبه، ونلزم الوقف فيما سكت عنه حتى يدل عليه دليل صحيح "[1]. لكن العكس هو الذي وقع.

2- قوله أن الآية ليست نصا في مجمل الضرب: نصت الآية القرآنية بحروفها على الأمر بالضرب، وألفاظ اللغة نص في معانيها إن لم تصرف عن ذلك بدليل، ولا دليل هنا ، والظاهر أن مراد رشيد رضا من النص ما أصطلح عليه جمهور الفقهاء والأصوليين وهو:" ما يقابل الظاهر بمعنى ما يحتمل التأويل، فالنص ما لا يحتمل التأويل أصلا.. والنص ما دلالته قطعية"[2]، ولا شك أن فعل الأمر (اضربوه) صريح في معناه اللغوي الذي و ضع له فهو ضمن ما يعرف بالمنطوق الصريح[3]، فدلالته على المراد منه وهو الضرب دلالة قطعية، وصرف ذلك المراد عن وجهه بغير دليل أو قرينة سائغة لا يجوز.

أما ما ورد في تفصيل ذلك الضرب من روايات فهي داخلة تحت ما يروى من أخبار بني إسرائيل التي لا تصدق ولا تكذب ولذلك قال ابن كثير فيها:" والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، لكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم"[4]. واعتبر الرازي تلك الروايات مما يجب السكوت عنه فقال:"واختلفوا في البعض الذي ضرب به القتيل... ولا شك أن القرآن لا يدل عليه فإن ورد خبر صحيح قبل وإلا وجب السكوت عنه".[5]

فإذا كانت روايات المفسرين ليست نصا في تفصيل ذلك الأمر، فإن لفظ الضرب غير قاصر عن بيان معناه.

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج7، ص774، بتصر ف يسير.

[2]- يعقوب بن عبد الوهاب **الباحسين**، التخريج عند الفقهاء والأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية تأصيلة)، مكتبة الرشد- الرياض، عام النشر:1414 هـ ، (بدون طبعة)، ص190.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص192.

[4]- ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج1 ، ص 193 .

[5]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص553.

3- تأويله لمعنى الإحياء : *أول رشيد رضا قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ)*، ففسر الإحياء باستبقاء النفوس قياسا على قوله تعالى : وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ **[البقرة: 179]** .

وردت آية البقرة: (وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ) في سياق الحكم والتشريع، ولذلك صدرت بقوله تعالى:يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ **[البقرة:178]**.

أما آية المائدة: مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ **[المائدة: 32]**، فهي بيان لعاقبة الحفاظ على النفوس ومراعاة حرمتها ، "والمراد بهذا التشبيه في جانب القتل تهويل أمر القتل وتعظيم أمره في النفوس حتى ينزجر عنه أهل الجرأة والجسارة".[1]

فآية البقرة هاته لم تأت بيانا لحكم شرعي كان معروفا عند اليهود، ولم تأت تشبيها لأمر بآخر من باب المبالغة والتعظيم، وإنما وردت حكاية لواقعة حقيقية تحكي قصة رجل من بني إسرائيل قتل وهدر دمه في تخف وكتمان، فكان الأمر من الله – جل وعلا- بذبح البقرة وضرب المقتول ببعضها لينطق بقاتله معجزة من معجزات موسى – عليه السلام- ، وذكر البقرة، والأمر بالضرب، أمور حسية تشعر بوقوع الأمر حقيقة ، وتأويله بمعنى الاستبقاء وحفظ الدماء لا يناسب ذلك التصوير القرآني الملموس.

4- قصر الإعجاز الوارد في الآية على الجانب التشريعي: في قوله تعالى (وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ) إشارة إلى تلك المعجزة الحسية الظاهرة وهي إحياء الميت بعد ضربه بجزء من البقرة، وربط لفظ الآية بهذا الوجه الإعجازي أظهر من قصرها على الإعجاز التشريعي، وإن كان هذا الأخير

[1]- الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص40.

داخلا في معنى الآية، باعتبار الأمر بالضرب أمرا تشريعيا أمروا بالامتثال له، فلما أتو به ترتب عليه أمر كوني جاء على وجه الإعجاز تأييدا لنبي الله موسى، وفضحا لعناد بني إسرائيل.

فالآية مسوقة في أصلها لإظهار ذلك الوجه الإعجازي المحسوس وليس لبيان حكم تشريعي كان معروفا عند بني إسرائيل – كما قال صاحب المنار تبعا للتوراة-.

ونظير تلك الآية قوله تعالى :"وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ **[يس: 33]**، فإحياء الموتى – أيا كان شكله – معجزة من المعجزات الحسية الدالة على قدرة الله جل وعلا.

وعليه فإن ما قال به رشيد رضا في تأويل تلك الآية هو كله وقوع في شرك التوراة وتحريفاتها، وهو سلوك غريب جدا من مفسر عاب على سابقيه الرجوع إلى مصادر أهل الكتاب فيما هو أقل خطبا من ذلك، بل مفسر يعتبر ما كتبه في تفسيره حول نقد تلك المصادر من أهم ما يرجع إليه ويعتمد عليه.

المطلب الثاني:ما حرم على بني إسرائيل من الطعام

الفرع الأول: الآية وتأويلها عند المفسرين

قال تعالى متحدثا عما حرم على بني إسرائيل: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ **[آل عمران: 93]**.

تتحدث هذه الآية عن حكم شرعي يتعلق باليهود فيما حرم عليهم من الطعام، وقد اختلف العلماء في تأويلها من وجوه:

أولا– أقوالهم في نزول ذلك التحريم في التوراة

اختلف العلماء في تحريم ما حرم على بني إسرائيل، هل نزل في التوراة أم لا؟. ذكر الطبري في ذلك ثلاثة أقوال للعلماء :

الأول: أن الله تعالى لما أنزل التوراة حرم عليهم فيها ما حرموه على أنفسهم من قبل ، ومعنى الآية على هذا القول أن الله لم يحرم شيئا من الأطعمة على بني إسرائيل في التوراة إلا ما حرمه إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة وتبعه أبناؤه في تحريمه، فأتوا أيها اليهود المنكرون لنزول ذلك في التوراة قائلين إنكم إنما تحرمونه بالتبع لأبيكم فقط لا لنزوله عليكم، ائتوا بالتوراة واقرءوها إن كنتم صادقين، وكانت اليهود قد قالت إنما نحرم ما حرم إسرائيل على نفسه. بمعنى أن التحريم إنما وقع منهم أتباعا لأبيهم، ولم ينص عليه في التوراة من باب العقاب[1].

الثاني: وقال آخرون بعكس ذلك القول، أي أن الله لم يحرم عليهم شيئا لا قبل نزول التوراة ولا بعدها، وإنما حرموا هم على أنفسهم ما حرمه أبوهم يعقوب على نفسه، ثم نسبوا ذلك التحريم للتوراة، فقل لهم يا محمد: ائتوا بالتوراة فاتلوها حتى يتبين كذبهم فيما نسبوه إلى التوراة من

[1]– ينظر: الطبري، جامع البيان، ج6، ص7-8.

التحريم، ومعنى هذا القول أن الله كذب اليهود فيما قالوه من تحريم ما حرم عليهم بنص التوراة، وإنما حرموا ما حرموه بأنفسهم تبعا لأبيهم يعقوب فيما حرمه على نفسه.[1]

الثالث: أن كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل قبل نزول التوراة، وإنما حرم عليهم بتحريم أبيهم، من غير أن يكون الله حرمه على واحد منهم، والمعنى أنهم كاذبون في نسبة ذلك التحريم إلى التوراة.[2]

ورجح الطبري ماجاء في قول ابن عباس الذي رواه جماعة منهم الطبري في تفسيره والحاكم في مستدركه وهذا لفظه عنده:" عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن إسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت وله زقاء، قال: فجعل إن شفاه الله أن لا يأكل لحما فيه عروق قال فحرمته اليهود" فنزلت ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ **[آل عمران: 93]** إن هذا كان قبل التوراة". وذكر الحاكم أن الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص[3].

ثانيا– أقوالهم في الذي حرمه يعقوب على نفسه: ذاك ما ذكره الطبري فيما يخص نزول ذلك التحريم في التوراة من عدمه، ثم ذكر بعد ذلك أقوال العلماء في الشيء الذي حرمه يعقوب على نفسه فحكى أقوالا هذا أولها :

القول الأول: كان الذي حرمه إسرائيل على نفسه هو العروق أي عروق اللحم، فكانت اليهود تتبع عروق اللحم فتنزعها.

القول الثاني: أن الذي حرمه على نفسه هو لحوم الإبل وألبانها.

---

[1]- ينظر: الطبري، جامع البيان ، ج6، ص8.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ج6، ص9-10.

[3]- ينظر: الحاكم ، المستدرك ،كتاب التفسير، ومن سورة آل عمران، ج2 ، ص 320. والحديث هنا موقوف على ابن عباس، وقد سبق تخريجه مرفوعا.

ورجح الطبري ما رواه ابن عباس من طريق الأعمش أنه: العروق ولحم الإبل، لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمها، كما كان عليه من ذلك أوائلها".

ثم ذكر رواية أخرى لابن عباس تسند هذا القول فيها ذكر لحوم الإبل وألبانها [1]. والمعنى أن الطبري يرجح أن الذي حرمه يعقوب على نفسه هو عروق اللحم عامة ولحوم الإبل وألبانها.

وذكر الرازي أن هذه الآية وردت للرد على شبهات اليهود، وحكى في توجيهها آراء:

الأول: أن فيها ردا على اليهود في إنكارهم لوقوع النسخ بين الشرائع، وهو ما كانوا يعولون عليه في إنكار شرع النبي صلى الله عليه وسلم فأبطل الله عليهم شبهتهم بأن ما حرمه إسرائيل على نفسه فصار حراما عليه وعلى أولاده بعد أن كان حلالا لهم جميعا قد حصل به النسخ، ثم أنهم زعموا بعد ما قرر عليهم ذلك الأمر أن التحريم كان من لدن آدم – عليه السلام-.[2]

الثاني: طعن اليهود في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه على ملة أبيه إبراهيم – عليه السلام- حيث قالوا:" إنك تدعي أنك على ملة إبراهيم، فلو كان الأمر كذلك فكيف تأكل لحوم الإبل وألبانها مع أن ذلك كان حراما في دين إبراهيم"؟.

فأجابهم النبي – صلى الله عليه وسلم- عن هذه الشبهة بأن ما حرمه إسرائيل على نفسه وحرم بالتبع على أولاده كان حلا لإبراهيم وبنيه – عليهم السلام- من قبل ذلك التحريم من يعقوب – عليه السلام-، فأنكر اليهود ذلك الجواب من النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمرهم بإحضار التوراة فظهر منها أنهم كانوا كاذبين فيما أدعوه من حرمة تلك الأشياء على إبراهيم عليه السلام.[3]

الثالث: أن الله حكى في قوله :فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ **[النساء: 160]** وفي قوله جل وعلا :" قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ

[1]- ينظر: الطبري، جامع البيان، ج6، ص11-15.

[2]- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص290.

[3]- المصدر نفسه، ج8، ص291.

بَغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ **[الأنعام: 164]**، وفي هذا فضح لليهود حيث أخبرت الآيتان أن ما حرم عليهم كان بسبب بغيهم وظلمهم، أما آية (كل الطعام) فأخبرت أن يعقوب إنما حرم طعاما واحدا، فشق هذا على اليهود من وجهين، أحدهما :أن ذلك يدل على وقوع التحريم بعد الإباحة، وهو يقتضي وقوع النسخ الذي ينكرونه. وثانيهما: أن في ذلك دلالة على ما وصفوا به من قبيح الأفعال والصفات فلما تحقق عليهم هذا من الوجهين ادعوا أن تلك الأشياء كانت محرمة أبدا، فدعوا إلى التوراة فأكذبتهم فافتضحوا.[1]

ذكر الرازي تلك الوجوه وعقب عليها بقوله:" فهذا وجه الكلام في تفسير هذه الآية وكله حسن مستقيم".[2]

الفرع الثاني: اعتراضات رشيد رضا والرد عليها

أولا–اعتراضاته

أورد رشيد رضا مجموعة من الاعتراضات على ما قال به المفسرون من تحريم يعقوب لبعض الطيبات على نفسه هذا بيانها.

1- نقل عن الأستاذ الإمام قوله:"ولكن الجلال وكثيرا من المفسرين يقررون الشبهة ولا يبينون وجه دفعها بيانا مقنعا، إذ يعترفون بأن بعض الطيبات كانت محرمة على إسرائيل، والصواب ما قصه الله تعالى علينا في هذه الآيات وغيرها من الآيات التي توضحها، وهي أن كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ولإبراهيم من قبل بالأولى، ثم حرم الله عليهم بعض الطيبات في التوراة عقوبة لهم وتأديبا، كما قال: فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ (160:4) الآية، فالمراد بإسرائيل شعب إسرائيل كما هو مستعمل عندهم، لا يعقوب نفسه، ومعنى تحريم الشعب ذلك على نفسه أنه ارتكب الظلم واجترح السيئات التي كانت سبب التحريم، كما صرحت الآية ".

[1]-ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص291.

[2]- المصدر نفسه، ج8، ص291.

ثم أضاف الأستاذ توضيحا لمراده :" كأنه يقول: إذا كان الأصل في الأطعمة الحل، وكان تحريم ما حرم على إسرائيل تأديبا على جرائم أصابوها، وكان النبي وأمته لم يجترحوا تلك السيئات، فلم تحرم عليهم الطيبات ؟ ثم قال مبينا تقرير ال دفع وسنده: قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين في قولكم، لا تخافون أن تكذبكم نصوصها "[1].

فالشيخ رشيد رضا وأستاذه يعترضان على القول بأن يعقوب حرم بعض الطيبات على نفسه وحرمها أبناؤه كذلك متابعة لتحريم أبيهم، ويقولون بأن يعقوب وأبناءه لم يحرموا شيئا على أنفسهم من الحلال، وإنما حرم عليهم نزل كله بنص التوراة عقوبة لهم وتأديبا .

وغرضهم من هذا هو دفع شبهة اليهود الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم:" إذا كنت يا محمد على ملة إبراهيم والنبيين من بعده – كما تدعي، فكيف تستحل ما كان محرما عليه وعليهم كلحم الإبل؟ أما وقد استبحت ما كان محرما عليهم فلا ينبغي لك أن تدعي أنك مصدق لهم وموافق في الدين، ولا أن تخص إبراهيم بالذكر، وتقول: إنك أولى الناس به ".

ولما كان نص الآية صريحا في تحريم يعقوب بعض الحلال على نفسه فقد لجأ المنار إلى تأويل لفظة إسرائيل الدالة على شخصه إلى شعب إسرائيل أخذا بعرف التوراة، " ولو أريد بإسرائيل يعقوب نفسه لما كان هناك حاجة إلى قوله من قبل أن تنزل التوراة لأن زمن يعقوب سابق على زمن نزول التوراة سبقا لا يشتبه فيه فيحترس عنه "[2].

2- استدل رشيد رضا وأستاذه على عدم تحريم يعقوب لشيء من الطيبات على نفسه بنص من سفر التكوين جاء فيه :"أن يعقوب التقى في بعض أسفاره بالرب في الطريق فتصارعا إلى الصباح، وكاد يعقوب يغلبه، ولكن اعتراه عرق النسا "، " ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه (26) وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني (27) فقال له ما اسمك، فقال يعقوب (28) فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت... (30) فدعا يعقوب باسم

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج4، ص4.

[2]- المصدر نفسه، ج4، ص5.

المكان فنيئيل قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي (31) وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه (32) لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا "[1].

3- استشهد رشيد رضا بتلك العبارة وجعلها حكما على أقوال المفسرين فقال:" وليس فيه أنه نذر شيئا ولا حرم شيئا ".

وهكذا فسرت الآية في المنار على أن إسرائيل لم يحرم شيئا على نفسه، وأن المقصود بلفظ إسرائيل هو شعبه، بمعنى أن كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرموه على أنفسهم بسبب ظلمهم وطغيانهم.

ثانيا: المناقشة

1- ما قال به السيوطي وكثير من المفسرين من تحريم يعقوب عليه السلام لبعض الطيبات على نفسه مؤيد بمجموعة من الروايات الواردة عن ابن عباس في ذلك، وروايات ابن عباس مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرقها، ومنها ما رواه عنه أحمد في مسنده [2]، والطبراني في المعجم الكبير[3]، ومفاده أن مجموعة من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور يختبرون بها نبوته، فكان من ذلك أنهم سألوا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ فأخبرهم بأن يعقوب عليه السلام " مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر نذرا لين عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها ".

2- حمل لفظة إسرائيل الواردة في الآية على " شعب إسرائيل " ليس له من يسنده إلا استعمال اليهود لتلك الكلمة بمعنى " إسرائيل "، والقول بهذا فيه حمل لألفاظ القرآن على عرف اليهود، وهذا مخالف لقواعد تفسير القرآن، وقد أنكر المنار استعمال المعاني العرفية لألفاظ القرآن

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج4، ص 4-5.

[2]- ينظر: ابن حنبل، المسند، ج3، ص 123، وقد ذكر سابقا.

[3]- ينظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي **الطبراني**، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2: (بدون تاريخ)، رقم13012، ج12، ص 246.

بديلا لها عن مدلولاتها اللغوية، فكيف ساغ لهم أن يستبدلوا مدلول ذلك اللفظ القرآني بما هو معروف من أسفار اليهود ؟.

قال رشيد رضا منتقدا للرازي في موضع من تفسيره :" ومنشأ هذا الخط إ الغفلة عن مدلول ألفاظ القرآن في اللغة العربية، واستعمالها بلوازم معناها العرفية "[1]، كان ذلك تعقيبا منه على تفسير الرازي لمعنى الإله في قوله تعالى : قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ **[الأعراف:140]**.

ثم قرر أن :" عبارة طلاب الأصنام من بني إسرائيل لم تنقل إلينا بنصها في لغتهم، فنبحث فيها قطعا"، وشدد النكير على الرازي في حجاج طويل قال فيه :" وجملة القول: أن هذا القول الذي قاله الرازي من أظهر هفواته الكثيرة بطلانا، وسببه امتلاء دماغه – عفا الله عنه – بنظريات الكلام، وجدل الاصطلاحات الحادثة، وغفلته عن معنى الإله في أصل اللغة"[2] .

إذا كان هذا كلام رشيد رضا في مدلولات الألفاظ في أصل اللغة، فلماذا عدل عن ذلك المعنى في لفظة " إسرائيل " الواردة في الآية ؟ ، ولماذا اختار عرف التوراة ومصطلح اليهود على عرف القرآن ولغته ؟، بل كيف يفسر قوله تعالى:أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ **[مريم: 58]**؟، فإن هذه الآية تتحدث عن مجموع الأنبياء الذين بعثوا قبل نبينا عليه السلام، وقد قال الطبري في تفسيرها:" فالذي عنى من ذرية آدم إدريس، والذي عنى من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكرياء وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكر أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس، وإدريس جد نوح "[3].

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص 98.

[2]- المصدر نفسه ، ج9، ص 99 .

[3]- الطبري، جامع البيان، ج18، ص 214.

وذكر ابن كثير أن هذه الآيات واردة في جنس الأنبياء، وليست فيمن ذكروا في هذه السورة فقط [1]، والأمر غير فارق بالنسبة لورود كل نبي باسمه أو لقبه الذي يدل عليه، والمعلوم عند المفسرين أن " إسرائيل " اسم أو لقب ليعقوب عليه السلام، ومن غير اللائق هنا استبداله "بشعب إسرائيل" فإنه مناف لسياق الآية الواردة في ذكر أسماء الأنبياء، وإلا لم يكن هناك معنى لورود كلمة " ذرية " قبله.

ومن لطائف ما يستدل به على بطلان ذلك الإطلاق ورود جملة "وممن هدينا واجتبينا"، في الآية معطوفة على لفظة "إسرائيل" مباشرة وعلى ما قبلها، والمعروف في القرآن أن بني إسرائيل ليسوا ممن هدوا واجتبوا، وإنما هم ممن ضلوا وأضلوا.

يستغرب هذا التأويل من رشيد رضا مع إنكاره الشديد على الرازي، ومع ما ذكره في مقدمة تفسيره من كلام ابن تيمية في حديث له عن الجهتين التي يقع الخطأ بسببهما في التفسير جاء فيه: "إحداهما حمل ألفاظ القرآن على معان اعتقدوها لتأييدها به— أقول: كجميع مقلدة الفرق... فإنهم قد جعلوا مذاهبهم أصولا والقرآن فرعا لها يحمل عليها، وهذا شر أنواع البدع وتفسير القرآن بالرأي المذموم في الحديث"[2].

والحقيقة أن ما حشا به رشيد رضا تفسيره من ألفاظ التوراة والإنجيل ومعانيها كان أثرا من آثار تقليده للشيخ محمد عبده حتى فيما أخطأ فيه، وكانت تلك النقول بدعا من الرأي المذموم في التفسير .

وقوله تعالى " من قبل أن التوراة " لم يؤت به احتراسا من شبهة التداخل بين زمن يعقوب عليه السلام، وزمن نزول التوراة في عهد موسى، وإنما جيء به لإقامة الحجة على بني إسرائيل فيما ادعوه وزعموه .

[1]- ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج5 ، ص 214 .

[2]- رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج1 ، ص9. وينظر : ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير، ج1 ، ص 33.

3- النص الذي جاء به من التوراة محرف تحريفا ظاهرا من وجوه عدة: منها نسبة ما لا يليق إلى الله – جل وعلا – من التشبيه والتجسيم والعجز والجهل، فهو يصور رب يعقوب في صورة مصارع كاد أن يغلب ، ليس له قدرة على خصمه... ، ومنها ذكر ما يخالف عقيدة المسلمين في كون الله " لا تدركه الأبصار"، وذلك بقول يعقوب - في زعمهم - " نظرت الله وجها لوجه "، ومنها تصوير نبي الله يعقوب في صورة رجل لا أدب له ولا أخلاق.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: كيف استجاز رشيد رضا أن يجعل ذلك النص التوراتي الظاهر التحريف حكما على أقوال المفسرين وروايات المحدثين ؟. إن تلك الأقوال - مهما جانبت الصواب - فلن تصل إلى الحد الذي وصل إليه هذا النص من سوء الأدب مع الله - جل وعلا- ومع أنبيائه - عليهم السلام -. ووصف تلك الرويات بكونها دسيسة إسرائيلية هو أكثر انطباقا على ما ورد في ذلك السفر المحرف، ويكفي أن محمد عبده لم يتم عبارته وقال فيها " الخ ما حرفوه"، فلم أتم رشيد رضا تلك العبارة ولم يجد حرجا في تسطيرها؟. إن استدلالا مثل ذلك يدفع على كثير من الريبة في مراد رشيد رضا من عبارات التوراة والإنجيل التي ملأت تفسيره . ومهما حاولنا من تغليب حسن الظن على مراده فإننا لا نستطيع إعفاءه – غفر الله له - من تبعة نصوص محرفة فسر على ضوئها كتاب الله جل وعلا، وكانت وحدها حكما على اجتهادات المفسرين وروايات المحدثين.

خاتمة المبحث: تناول هذا المبحث مجموعة من النقاط هذا ملخصها:

– استعان رشيد رضا بالإنجيل والتوراة في نقد التفسير المأثور، خاصة ما ورد فيه من روايات أهل الكتاب.

– كان لاستدلاله بروايات الإنجيل والتوراة أثر كبير في تأويل الكثير من القصص الوارد في القرآن تأويلا لا يستند لشيء سوى تلك الروايات.

– حملت الاقول التي استشهد بها كثيرا من المخالفات في جوانب متعددة، لم يسلم منها حتى الجانب العقدي .

– تثير طبيعة تلك الروايات شبها متعددة حول غرض رشيد رضا من إيرادها وتسطيرها، وتطرح إشكالا حقيقيا حول موقفه من مصادر أهل الكتاب.

الـخـــاتـــــمـــــــة

الخاتمة

تلخص هذه الدراسة في مجموعة من النتائج أهمها:

– يعتبر الشيخ رشيد رضا رجل دعوة وإصلاح، عاش شطرا من حياته سالكا متصوفا، ثم انتقل إلى نهج شيخيه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الذي كان له بالغ الأثر على آرائه في تفسير المنار الذي أقامه على مجموعة من الأسس من أبرزها تحذيره الشديد من الروايات الإسرائيلية وأعلامها، ورفضه الحازم للاستعانة بها في تفسير كلام الله – جل وعلا –، وهو ما أضفى على المنار سمة إيجابية بإبعاده لكثير من الروايات الباطلة التي كانت محل رفض من جهة الشرع أو موقع استنكار من طرف العقل. وقد بذل جهودا كبيرة في نقدها وتفنيدها لكنه لم يصل في ذلك النقد إلى مستوى التأصيل العلمي الصحيح لأنه لم ينطلق – في الأساس – وفق مبادئ علمية مدروسة، بل كان موقفه من تلك الروايات متسما بالتحامل الشديد والمبالغة والتهويل، وهو ما أفقد جهوده النقدية " عامل الموضوعية " الذي هو أساس في مبدإ النقد والتحليل .

– ارتبط منهج رشيد رضا في التعامل مع الروايات الإسرائيلية بمجموعة كبيرة من الآثار التفسيرية التي انفرد بها تفسير المنار من أهمها:موقفه السلبي من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم احتجاجا بشبهة الرواية عن بني إسرائيل، ورفضه لمعظم الروايات الواردة في أشراط الساعة وفي بعض معجزات الأنبياء، ونقده الشديد للتفسير بالمأثور ورفضه لكثير من أقوال المفسرين، في حين وقوعه في تأويل كثير من الآيات وصرفها عن وجهها تماشيا مع المنهج الذي سار عليه .

– بدا جانب التحيز واضحا في موقف رشيد رضا من الإسرائيليات، وظهر ذلك جليا في تحليله لكثير من أقوال العلماء التي كان يستدل بها على مواقفه، وتفسير ما سبق – والله أعلم – أن رشيد رضا كان متحمسا – إلى حد كبير– في موقفه من الإسرائيليات، مما أفقده جانب الدقة العلمية في نقل الأقوال وتحليلها، ودفع به إلى التسرع المفرط في حمل تلك الأقوال على غير محملها، والاستشهاد بها في غير محلها، وفي هذا تنبيه لقارئ المنار وتحذير له مما ينسب للعلماء من أقوال في ذلك التفسير.

– جمع رشيد رضا بين نقده للروايات الإسرائيلية المبثوثة في كتب التفسير وفي غيرها، وبين نقده للمصادر المقدسة عند النصارى واليهود، فبذل جهودا تذكر له في نقد الإنجيل والتوارة وما ألحق بهما، وكتب مباحث قيمة تكشف عوار تراثهم الفكر والديني وتدعوهم إلى المناقشة والحوار، مما يظهر بوضوح أن رشيد رضا كان رجل عصره، متفطنا يقظا لاحتياجاته وقضاياه، فقد بلغ خطر التنصير آنذاك ذروته في مصر وفي غيرها من بلاد المسلمين بسبب سيطرة الغرب المسيحي على تلك البلاد، فكان لما كتبه رشيد رضا أثر فاعل في دحض كثير من شبهات اليهود والنصارى التي كانوا يُومهون بها على عوام المسلمين، وقد كان صنيعه ذلك مواصلة لمسيرة علمية نقدية بدأها علماء المسلمين في وقت مبكر من التاريخ .

– لكن رشيد رضا لم يتحرج – على ما ذكر له من جهود – من ملء تفسير المنار بروايات كثيرة من مصادر أهل الكتاب وأسفارهم، بل كان في كثير من عباراته داعيا للرجوع إليها والاحتكام لما فيها، وكان صنيعه ذلك أكثر دلالة على " غياب النضج الفكري " لديه في تعامله مع تلك الروايات حيث جمع بين المبدإ ونقيضه وبين الفكرة وما يعاكسها، وأقصد " بالنضج الفكري " استقرار المفكر أو العالم على فكرته وعدم التذبذب في طرحها أو الجمع بينها وبين ما يناقضها، وهو ما نفتقده كثيرا في معالجة رشيد رضا لتلك الروايات حيث بدا تذبذبه واضحا في رفضها حينا وقبولها أحيانا أخرى .

– أفرز استشهاد رشيد رضا براوايات الإنجيل والتوارة نقاطا خطيرة تضمنها تفسيره، أذكر من أهمها :

– وقوعه في تحريف ظاهر القرآن، واستبداله بتأويل يتماشى مع تلك الأسفار.

– تردده في قبول الحديث الصحيح احتجاجا بمخالفته للأخبار الواردة فيها.

– إيراد نصوص تخالف عقيدة المسلمين وتظهر سوء الأدب مع الله – جل وعلا – ومع أنبيائه – عليهم السلام –.

وقد كان ذلك في مجمله نتيجة حتمية لافتتان رشيد رضا الشديد بآراء أستاذه محمد عبده، وعدم القدرة على مخالفتها أو العدول عنها إلى ما هو أصوب منها.

الخاتمة

وهذه مجموعة التوصيات التي خلص البحث إليها:

1. الاستفادة من المادة العلمية القيمة التي تضمنها تفسير المنار في مجال حديثه عن الديانتين اليهودية والنصرانية، والخروج من ذلك ببحوث تبرز جهود رشيد رضا في نقد الأديان.

2. إعادة النظر بعمق في روايات المنار المتعلقة بأسفار أهل الكتاب وإخضاعها للدراسة والتحليل، وبيان المغالطات التي وردت فيها، والمخاطر التي انطوت عليها خصوصا ما مس منها جانب العقيدة والإيمان.

3. حوى تفسير المنار عددا معتبرا من أقوال العلماء وتحليلاتها، وقد ثبت لي من خلال هذه الدراسة – في أكثر من موضع – أن استشهاد رشيد رضا بتلك الأقوال وتحليله لها لم يلق من الدقة العلمية المستوى المطلوب، وفي هذا الصدد يوصى بإعادة النظر في استدلالات المنار بآراء العلماء وإعادة تمحيصها حفظا للأمانة العلمية وحرصا على نسبة كل رأي إلى قائله.

وفي الأخير أجدد شكري الجزيل لله ذي المنة لما أولاني به من عون على تذليل صعوبات هذا البحث وتخطي عقباته.

وأشكر اللجنة العلمية التي سهرت على مناقشة هذه المذكرة وتهذيبها. كما أجدد شكري للأستاذ المشرف ولجامعة أدرار بكافة أساتذتها وعمالها وموظفيها.

وأسأل الله – جل وعلا – أن يجعل من هذه الدراسة لبنة صالحة في مجال الدراسات القرآنية والإسلامية، وأن ينفعني بها دنيا وآخرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- فهرس الآيات القرآنية

- فهرس الأحاديث

- فهرس الآثار

- فهرس الألفاظ الغريبة

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات

الآية أو جزء منها	السورة	الرقم	الصفحة
أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ	البقرة	19	56
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا	البقرة	36	87
وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ	البقرة	45	121
وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ	البقرة	50	163
فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ	البقرة	55	97
ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ	البقرة	58	109
وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ	البقرة	60	188
وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ	البقرة	67	254
وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَا	البقرة	72	254
فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا	البقرة	73	255
كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ	البقرة	73	258
وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ	البقرة	73	256

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ	البقرة	178	258
وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ	البقرة	179	256
			258
فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ	البقرة	181	211
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ	البقرة	243	92
			97
أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ	البقرة	259	97
وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ	البقرة	260	107
فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ	البقرة	260	164
نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ	**آل عمران**	3	202
وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ	آل عمران	36	243
وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ	آل عمران	81	137
كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	آل عمران	93	260
			261
قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ	آل عمران	93	207

وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ	آل عمران	123	167
وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ	آل عمران	126	167
ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ	آل عمران	183	180
قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ	آل عمران	183	189
وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ	آل عمران	187	204
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ	**النساء**	01	20
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ	النساء	44	204
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ	النساء	46	204
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا	النساء	126	14
وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ	النساء	127	16
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	النساء	136	203
فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ	النساء	160	225
			262
			263

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ	النساء	171	224
تُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ	**المائدة**	13	226
وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَـٰقَهُمۡ	المائدة	14	204
قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ	المائدة	22	61
فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ	المائدة	25	250
وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا	المائدة	32	256 258
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ	المائدة	41	204
وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ	المائدة	43	210
إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ	المائدة	44	202
وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ	المائدة	46	202
وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ	المائدة	47	210
وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ	المائدة	48	70
قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ	المائدة	68	203

وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ	**الأنعام**	04	168
فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ	الأنعام	05	168
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ	الأنعام	76	59
لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ	الأنعام	115	211
هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ	الأنعام	158	125
قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ	الأنعام	164	262
وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ	**الأعراف**	19	238
وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ	الأعراف	57	57
قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا	الأعراف	140	266
ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ	الأعراف	157	137
وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗا	الأعراف	160	197
وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا	الأعراف	175	62
يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ	الأعراف	187	134

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ	**الأنفال**	09	178
وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ	الأنفال	10	173
وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ	الأنفال	10	172
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ	الأنفال	12	169 173 175 178
وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ	الأنفال	48	108
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ	يونس	63	146
وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ	هود	34	129
تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ	هود	49	247
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ	هود	74	251
فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا	هود	82	194
وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ	يوسف	53	16
رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ	يوسف	101	16

إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ	الحجر	42	248
وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ	الإسراء	36	19
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ	الكهف	21	97
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ	مريم	58	266
وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا	طه	40	190
فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ	طه	117	248
وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ	الأنبياء	84	97
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا	النور	43	58
فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ	الروم	48	58
وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا	يس	33	259
فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	ص	82	248
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ	الأحقاف	10	33
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً	محمد	18	125

وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ	النجم	53	187
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	الرحمن	29	212
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا	الحديد	27	202
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	الصف	06	199
قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَـٰذَا	التحريم	03	142

الحديث أو جزء منه	راويه	مخرجه	الصفحة
أتدرون لم جمعتكم	فاطمة بنت قيس	مسلم	132
إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم	أحمد	أبو نملة الأنصاري	37
اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا	حذيفة بن أسيد	مسلم	153
الطاعون رجس أرسل على طائفة	أسامة بن زيد	البخاري	96
أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم	أبو هريرة	البخاري	250
إن الدجال يخرج و إن معه ماء ونارا	حذيفة بن اليمان	مسلم	155
إنما أنا بشر	رافع بن خديج	مسلم	142
إنما ظننت ظنا	موسى بن طلحة عن أبيه	مسلم	142
إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم	أنس بن مالك	البخاري	125
أن عمر بن الخطاب انطلق مع	عبد الله بن عمر	مسلم	132
إن من عباد الله من لو أقسم على الله	أنس بن مالك	البخاري	174
إني سمعت عمر يحلف	جابر بن عبد الله	البخاري	140
بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم	عائشة	مسلم	182
بلغوا عني ولو آية	عبد الله بن عمرو	البخاري	32
بينما موسى في ملإ من بني إسرائيل	ابن عباس	البخاري	32

جاء إبليس يوم بدر	ابن عباس	الطبري	108
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم	أبو سعيد الخدري	البخاري	152
حدثني عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر	ابن عباس	البخاري	177
حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	عبد الله بن عمرو	البخاري	40
			98
حضرت عصابة من اليهود رسول الله	ابن عباس	أحمد	29
ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم الدجال	النواس بن سمعان	مسلم	153
غزا نبي من الأنبياء	أبو هريرة	البخاري	183
قام رسول الله صلى عليه وسلم في الناس	عبد الله بن عمر	البخاري	131
قام فينا رسول الله صلى الله عليه قائما	حذيفة	أبو داوود	164
قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا	أبو هريرة	البخاري	109
كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان	أبو هريرة	مسلم	244
كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه	أبو هريرة	البخاري	244

كل بني آدم يمسه الشيطان	أبو هريرة	مسلم	244
كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله	عبد الله بن عمرو	أحمد	39
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	أبو هريرة	البخاري	34 ، 81
ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان	أبو هريرة	البخاري	243
ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان	أبو هريرة	البغوي	249
ما من مولود إلا يمسه الشيطان	أبو هريرة	الطبراني	249
ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان	أبو هريرة	مسلم	253
هذا جبريل آخذ برأس فرسه	ابن عباس	البخاري	177
وجعل بين أظهرهم حجرا مربعا	ابن عباس	النسائي	190
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله	أبو هريرة	مسلم	181
يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين	عبد الله بن عمرو	مسلم	154
يمسه حين يولد	أبو هريرة	مسلم	244

الأثر أو جزء منه	رواه	أورده	الصفحة
أن إسرائيل أخذه عرق النسا	ابن عباس	الحاكم	261
إن عند ابن الحميرية لعلما	أبو الدرداء	ابن سعد	47
إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين	معاوية	البخاري	71
ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء	معاوية	ابن سعد	47
بدل من قبله فوقع في الكذب	ابن عباس	ابن حجر	71
خالطتك يهودية يا ابن اليهودية	عمر	ابن تيمية	77
فلما كان في جوف الليل	ابن عباس	ابن أبي حاتم	186
قطع أجنحتهن أرباعا	ابن عباس	سعيد بن منصور	166
كان الرجل يتصدق	ابن عباس	الطبري	180
كذب عدو الله	ابن عباس	البخاري	39
لتتركن الإخبار	عمر	ابن كثير	78
لنبلو عليه الكذب	معاوية	البخاري	65 71
ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق	علي وابن عباس	ابن كثير	137
ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله	العباس	ابن سعد	47
وقال ملك فأهوى	حذيفة بن اليمان	ابن أبي شيبة	186
يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب	ابن عباس	البخاري	33

الكلمة	معناها	الصفحة
إخوة لعلات	العلات:الضرائر، والإخوة لعلات: الإخوة من أب.	251
أطم بني مغالة	الأطم : البناء المرتفع ويطلق على الحصن وجمعه آطام، وأطم بني مغالة حصنها .	132
أقانيم	الأقانيم : جمع مفرده أقنوم، وهو لفظ يستعمله النصارى في تفسير عقيدة التثليث عندهم ، ولكنهم يضطربون في بيان المراد منه اضطرابا كبيرا، فيفسرونه تارة بالخواص وتارة بالأشخاص وتارة بالصفات .	223
الدخ	هو الدخان.	132
الدير	مبنى معد لسكنى الرهبان والراهبات النصارى ، وهو مفرد جمعه أديار وأديرة وديورة.	133
السامرة	السامرة أو السامريون : هم طائفة من المتهودين من غير بني إسرائيل سكنوا جبال القدس، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون دون من جاء بعدهم.	82
المخراق	ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا .	57
النقشبندية	طريقة صوفية تنسب إلى بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (618 - 691هـ) ، انتشرت في بلاد فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.	07
بختية	البخت: جمال طوال الأعناق، يطلق على الأنثى منها لفظ (بختية) وعلى الذكر (بختى)، وتجمع على بخت وبخات .	88
بمخصرته	المخصرة : ما أمسكه الإنسان من عصا أو عكازة ونحوها .	133
حجزته	الحجزة: هي الثوب الذي يشد الإنسان به وسطه.	62
خلفات	الخلفات: جمع مفرده خلفة وهي الناقة الحامل.	183
دابة أهلب	الأهلب: غليظ الشعر كثيفه.	133

شناخيبها	الشناخيب: جمع مفرده شنخوب وهو القطعة العالية من الجبل .	58
قطط	شديد جعودة الشعر.	153
قللها	القلل: جمع قلة بالضم، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه .	58

القرآن الكريم برواية حفص

أولا– كتب التفسير والدراسات القرآنية

1 أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف **بالخازن**، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1:1415 هـ.

2 أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن **تيمية**، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة –بيروت، ط:1490هـ-1980م.

3 أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير**، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط1 : 1419 هـ .

4 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الزمخشري** جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3: 1407هـ.

5 **أبو بكر جابر** بن موسى بن عبد القادر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، مكتبة العلوم والحكم _ المدينة المنورة، ط3 :1424 هـ- 2003م.

6 أبو بكر محمد بن إبراهيم **بن المنذر**، كتاب تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد، دار المآثر –المدينة المنورة، ط1: 1423 هـ- 2002 م .

7 أبو جعفر محمد بن جرير **الطبري**، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ-2000م.

8 أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر محمد الشيرازي ا **لبيضاوي**، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 1: 1418هـ.

9 -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين **القرطبي**، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية _ القاهرة، ط 2: 1384هـ-1964م.

10 -أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسن **الرازي**، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3 : 1420هـ .

11 -أبو عثمان **سعيد بن منصور** بن شعبة، التفسير من سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق: د.سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعي، ط 1: 1417هـ - 1997 م.

12 -أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، **بن أبي حاتم**، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، ط3 : 1419هـ.

13 -جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي**، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر- بيروت، (بدون طبعة).

14 -جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي**، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 : 1394هـ - 1974م .

15 -خليل إسماعيل إلياس، كعب الأحبار وأثره في التفسير، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1: 1428هـ- 2009م .(الكتاب في أصله عبارة عن رسالة دكتوراه للمؤلف).

16 -رمزي **نعناعة**، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم _ دمشق، ودار الضياء _ بيروت، ط1: 1390هـ - 1970م.

17 -**سيد قطب** إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق _ بيروت، القاهرة، ط17 :1412هـ.

18 –**صبحي الصالح**، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين – بيروت، ط 24: 2000م.

19 –محمد بن علي بن محمد ا **لشوكاني**، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب – بيروت، ط1: 1414 هـ.

20 –محمد بن محمد **أبو شبهة** ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم – القاهرة، ط4: 1408هـ.

21 –محمد **حسين الذهبي**، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة – القاهرة، (بدون طبعة) .

22 –محمد **حسين الذهبي**، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة – القاهرة، (بدون طبعة).

23 –محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام النشر:1990م، (بدون طبعة).

24 –محمد عبد العظيم **الزرقاني** ، مناهل العرفان في علوم القرآن، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط3 : (بدون تاريخ).

25 –د/ محمد علي الحسن، : المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، قدم له: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1: 1421 هـ - 2000 م.

26 – مساعد بن سليمان بن نَاصِر **الطيار**،شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، دار ابن الجوزي ، ط2: 1428 هـ.

27 –مناع بن خليل **القطان**، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط4 :1421هـ -2000م.

ثانيا – كتب الحديث والدراسات الحديثية

28 –أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب المعروف **بابن دقيق العيد** ، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، تحقيق: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر – سوريا، ط 2 : 1430هـ - 2009م.

29 -أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير**، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر - بيروت، ط2: 1429هـ- 2008م.

30 -أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير**، مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أقواله على أبواب العلم، تحقيق: إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح- مصر، ط1: 1430هـ-2009م.

31 -أبو الفضل أحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح وإشراف : محب الدين الخطيب، دار المعرفة -بيروت، عام النشر: 1379هـ، (بدون طبعة).

32 -أبو الفضل أحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية -المدينة المنورة، ط1 : 1404هـ -1984م .

33 -أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني**، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط2: (بدون تاريخ).

34 -أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني**، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: 1405هـ-1984م .

35 -أبو بكر أحمد بن علي ثابت بن أحمد بن مهدي **الخطيب البغدادي**، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د/محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، (بدون طبعة) .

36 -أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم **بن أبي شيبة**، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط1: 1409هـ.

37 -أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف **النووي**، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط2: 1392هـ.

38 -أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، **النسائي**، السنن الكبرى، تحقيق: حسين عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1: 1421هـ- 2001م.

39 -أبو عبد الله **الحاكم** محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1: 1411هـ-1990م.

40 -أبو عبد الله محمد بن أحمد **بن حنبل** الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1: 1421هـ- 2001م.

41 -أبو عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري**، الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 142هـ .

42 -أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد **بن عبد البر**، التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر:1387هـ، (بدون طبعة) .

43 -أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف **بابن الصلاح**، معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق : عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (بدون سنة) .

44 -أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء **البغوي**، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 2: 1403هـ، 1983م.

45 -جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي**، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق : أبو قتيبة الفاريابي، دار طيبة، (بدون طبعة).

46 –شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد **الطيبي**، الخلاصة في معرفة الحديث، تحقيق: أبو عاصم الشوامي بن الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع – الرواد للإعلام والنشر، ط1: 1430هـ -2009م.

47 –محمد بن إسماعيل الأمير الحسني **الصنعاني**، توضيح الأفكار في تنقيح الأنظار، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية – المدينة المنورة، (بدون طبعة).

48 –محمد بن محمد **أبو شبهة**، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، مكتبة السنة – الدار السلفية لنشر العلم – القاهرة، ط1: 1989م.

49 –**مسلم** بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون طبعة).

ثالثا – كتب العقيدة

50 –أبو العوف شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم **السفاريني**، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبها –دمشق، ط2: 1402هـ- 1982م.

51 –أبو القاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله المعروف **بابن عساكر**، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3: 1404هـ.

52 –أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد **بن حزم** الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي– القاهرة، (بدون طبعة).

53 -أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد **بن قدامة** المقدسي، لمعة الاعتقاد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط 2: 1420هـ-2000م .

54 -**الندوة العالمية** للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4: 1420هـ.

55 -صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد **ابن أبي العز** ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1: 1417هـ -1997 م.

56 -عبد الله بن سليمان **الغفيلي**، أشراط الساعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1: 1422هـ .

57 -محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، ط1: 1405هـ-1985م

رابعا– كتب في الرد على اليهود والنصارى

58 -أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري **الهاشمي**، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تحقيق : محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان -الرياض، ط1: 1419هـ- 1998م.

59 -أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية**، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون -دار العاصمة-السعودية، ط2: 1429هـ-1999م.

60 -أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الشهير **بالجاحظ**، المختار في الرد على النصارى، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل -بيروت، ط 1: 1411هـ-1991م .

61 -**السموأل** بن يحي بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل -بيروت، ط3 : 1410هـ- 1990م .

62 – سعود بن عبد العزيز **الخلف** ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف -الرياض، ط4 : 1425هـ -2004م .

63 -شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، **ابن قيم الجوزية**، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق : محمد أحمد الحاج، دار القلم – دار الشامية – جدة، ط1 : 1416هـ-1996م .

64 -محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف **بأبي زهرة**، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي -القاهرة، ط3: 1381هـ-1966م.

65 -محمد بن **رحمت الله** بن خليل الرحمن الكيراوني العثماني **الهندي** الحنفي، إظهار الحق، دراسة وتحقيق وتعليق :د/محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ،المملكة العربية السعودية، ط 1: 1410هـ- 1989م .

خامسا:– كتب أصول الفقه و القواعد الفقهة

66 -يعقوب بن عبد الوهاب **الباحسين** ، التخريج عند الفقهاء و الأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية تأصيلية)، مكتبة الرشد- الرياض، عام النشر: 1414هـ، (بدون طبعة).

سادسا– كتب التراجم والطبقات

67 -أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي **بن الجوزي**، الضعفاء والمتروكون، تحقيق : عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1 : 1406هـ.

68 -أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف **بابن عساكر** ، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، عام النشر : 1415هـ-1995م.

69 -أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد **بن حبان** ، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي -حلب، ط1 : 1396هـ.

70 -أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد **بن حبان**، الثقات، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: د/محمد عبد المعيد، دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد، ط1: 1393هـ-1973م.

71 -أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف **النووي**، تهذيب الأسماء واللغات، نشر وتحقيق : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنبرية، (بدون طبعة) .

72 -أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي **النسائي**، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار الوعي-حلب، ط1: 1396هـ.

73 -أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي**، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، تحقيق: د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1: 2003م.

74 -أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي**، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3: 1405هـ-1985م.

75 -أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي**، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق : علي محمد بجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر -بيروت، ط1: 1382هـ-1963م.

76 -أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان **الذهبي**، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1: 1419هـ-1998م .

77 -أبو عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري**، الضعفاء، تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، ط1: 1426هـ-2005م .

78 –أبو عبد الله محمد **بن سعد** منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1 :1410هـ-1990م.

79 –أبو محمد جمال الدين ابن الزكي **المزي**، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د/بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط1: 1400هـ- 1980م.

80 –أبو يعلى **الخليلي** خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: د/محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد – الرياض، ط1: 1409هـ.

81 –خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس **الزركلي** الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين –بيروت، ط15: 2002 م .

سابعا– كتب الغريب والمعاجم

82 –أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد **ابن الأثير**، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد طناحي، المكتبة العلمية– بيروت، (بدون طبعة)، عام النشر: 1399هـ-1979م.

83 –أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي **بن الجوزي**، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1: 1405هـ-1985م.

84 –أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ، **ابن منظور** الأنصاري، لسان العرب، دار صادر –بيروت، ط3 : 1414هـ.

85 –أبو الفضل **عياض** بن موسى بن عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العريقة ودار التراث، (بدون طبعة).

86 –أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب **بمرتضى الزبيدي**، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بدون طبعة).

87 –أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الزمخشري** جار الله، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق:علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان، ط2:(بدون تاريخ).

88 –أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت،ط1: 1987هـ.

89 –أبو عبد الرحمن **الخليل بن أحمد** بن عمرو الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق : د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال .(بدون طبعة) .

90 –أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله **الحميدي**، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق:د/ زبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة – القاهرة، ط 1: 1415هـ- 1995م.

91 –أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله **الهروي**، غريب الحديث، تحقيق: د/محمد عبد المعيد خان، مطبعة دار المعارف العثمانية-الدكن، ط1: 1384هـ، 1964م.

92 –أبو محمد عبد الله بن مسلم **بن قتيبة**، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مكتبة العاني- بيروت، ط1: 1397هـ.

93 –أبو منصور محمد بن أحمد بن ا **لأزهري** الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1: 2001م.

94 –أبوموسى محمد بن عمر بن أحمد **الأصبهاني**، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع– جدة، ط1:ج 1 (1406 هـ - 1986م)، ج 2 و ج 3 (1408 هـ - 1988 م).

95 -د/أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1: 1429هـ، 2008م.

96 -مجد الدين محمد بن يعقوب **الفيروز آبادي**، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط8: 1426هـ-2005 م .

ثامنا- كتب متفرقة

97 -أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية**، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، عام النشر: 1416هـ-1995م، (بدون طبعة) .

98 -أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير** (774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1 : 1408هـ-1988م.

99 -أبو الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير**، النهاية في الفتن و الملاحم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل- بيروت، ط1: 1408هـ-1998م.

100 - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر **القرطبي**، التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة، تحقيق و دراسة: د/ الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج - الرياض، ط1: 1425هـ.

101 - شمس الدين بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، **ابن قيم الجوزية** ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، (بدون طبعة).

تاسعا– كتب ودراسات حول مدرسة المنار ورشيد رضا

102 – د/ إبراهيم **العدوي**، رشيد رضا الإمام المجاهد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر –الدار المصرية للتأليف والترجمة، (بدون طبعة) .

103 – السيد محمد **رشيد رضا** ، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار الفضيلة –القاهرة، ط2: 1427هـ –2006م .

104 – تامر محمد محمود **متولي**، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، دار ماجد عسيري –جدة، ط 1 : 1425هـ–2004م .(هذا الكتاب في أصله عبارة عن رسالة علمية) .

105 – شفيق بن عبد بن عبد الله **شقير**، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف –دراسة تطبيقية على تفسير المنار– المكتب الإسلامي –بيروت، ط :1419هـ –1998م. (أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد الباكستان).

106 – شكيب **أرسلان**، محمد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، دار الفضيلة – القاهرة، (بدون طبعة) .

107 – فهد بن عبد الرحمن بن سليمان **الرومي**، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –المملكة العربية السعودية، ط1: 1407 هـ–1986 م. (هذا الكتاب في أصله عبارة عن رسالة دكتوراه).

108 – فهد بن عبد الرحمن بن سليمان **الرومي**، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –المملكة العربية السعودية، ط2: 1403هـ–1993م.

109 – محمد بن رمضان **رمضاني**، آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار – دراسة تحليلية نقدية، مجلة البيان – الرياض، ط 1: 1434هـ. (هذا

الكتاب في أصله رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسم الكتاب والسنة/2010-2011م).

عاشرا– الرسائل الجامعية (العلمية)

110 – رمضان مصطفى **الدسوقي** حسنين، جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر (عرض ونقد)، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة –جامعة الأزهر –فرع المنصورة (1424هـ-2004م). إشراف: أ.د/ عمارة نجيب محمد موسى .

111 –كمال **معزي**، أثر الإسرائيليات في الفكر العقدي الإسلامي، ماجستير في مقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة. إشراف: د/بشير بوجنانة .1413هـ-1993م.

112 –يوسف محمد **العامري**، كعب الأحبار مروياته وأقواله في التفسير بالمأثور جمعا ودراسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، إشراف: د/محمد بن صالح العتيق، سنة: 1412هـ-1992 م .

حادي عشر– صحف ومجلات

113 –الموافقات، مجلة دورية أكاديمية يصدرها المعهد الوطني العالي لأصول الدين– الخروبة، العدد الثالث، ذو الحجة 1414هـ- جوان 1994م.

114 –محمد رشيد رضا، مجلة المنار.أنشأت سنة1315هـ .

المحتوى	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	
مدخل: رشيد رضا وتفسيره المعروف بالمنار	**01**
أولا– رشيد رضا: حياته وآثاره	**03**
اسمه ونسبه	**03**
موله ونشأته	**04**
رحلته العلمية في الشام	**05**
تأثره بالغزالي وكتابه "الإحياء"	**06**
بداية تعلقه بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده	**08**
رحلته إلى مصر والتقاؤه بمحمد عبده فيها	**08**
أهم أعماله وإنجازاته	**09**
مؤلفاته	**12**
وفاته– رحمه الله–	**13**
ثانيا– تفسير المنار: الطريقة والأسس والأهداف	**14**

بداية تأليفه	**14**
الطريقة التي سار عليها	**14**
الهدف من إنشائه	**17**
الأسس التي قام عليها	**17**
ملخص المدخل	**23**
الفصل الأول: موقف رشيد رضا من الروايات الإسرائيلية	**24**
تمهيد	**26**
المبحث الأول: الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير	**27**
المطلب الأول: التعريف بالإسرائيليات وأقسامها	**28**
الفرع الأول: تعريف الإسرائيليات	**28**
أولا- تعريفها اللغوي	**28**
ثانيا- تعريفها الاصطلاحي	**30**
ثالثا- المناسبة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي	**31**
الفرع الثاني- أقسامها	**32**
القسم الأول	**32**

القسم الثاني	**33**
القسم الثالث	**34**
المطلب الثاني: موقف الصحابة والتابعين من روايتها	**35**
الفرع الأول: بيان موقفهم	**35**
الفرع الثاني- الشبهات المثارة حول موقف الصحابة وردود العلماء عليها	**36**
أولا – عرض الشبهات	**36**
ثانيا- ردود العلماء عليها	**38**
المطلب الثالث: تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير وموقف المفسرين منها	**42**
الفرع الأول: تسربها إلى كتب التفسير	**42**
الفرع الثاني: موقف المفسرين منها	**44**
المطلب الرابع: أهم أعلامها من مسلمي أهل الكتاب	**46**
الفرع الأول: كعب الأحبار	**46**
أولا- التعريف بكعب	**46**
ثانيا- علم كعب ومكانته	**47**
ثالثا- أثره في تفسير القران الكريم	**49**

الفرع الثاني : وهب بن منبه	**51**
أولا- التعريف بوهب	**51**
ثانيا- ثناء العلماء عليه	**51**
خلاصة المبحث	**53**
المبحث الثاني: نقد الإسرائيليات عند رشيد رضا	**55**
المطلب الأول: رأي رشيد رضا في الإسرائيليات ورواتها	**56**
الفرع الأول: رأيه في الإسرائيليات	**56**
أولا- إعراضه عنها في تفسير الظواهر الكونية	**56**
ثانيا- إعراضه عنها في تفسير قصص الأنبياء	**59**
ثالثا- إعراضه عنها في تفسير أخبار السابقين.	**61**
الفرع الثاني: رأيه في أعلامها من مسلمي أهل الكتاب (كعب الأحبار ووهب بن منبه)	**63**
أولا – القول بكذب كعب ووهب وتخطئة رجال الجرح والتعديل في توثيقهم	**64**
ثانيا– القول بمخالفته لجمهور في توثيقهما	**65**
ثالثا– القول باغترار الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين بمروياتهم	**66**
المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا فيما ذهب إليه	**68**
الفرع الأول: مناقشته في موقفه العام من الإسرائيليات	**69**

الفرع الثاني:مناقشته في تجريح كعب الأحبار ووهب بن منبه	**70**
أولا– مناقشته في حديث معاوية	**71**
ثانيا:– مناقشته في متابعته للفلاس على تضعيف وهب	**72**
الفرع الثالث: مناقشته في الاستناد إلى أقوال ابن تيمية	**74**
أولا– موقف ابن تيمية من الإسرائيليات	**74**
ثانيا – موقفهمن رواتها	**76**
الفرع الرابع: مناقشته في تخطئة رجال الجرح والتعديل في شأن وهب وكعب الأحبار	**77**
الفرع الخامس: مناقشة قولهم باغترار علماء الإسلام بالإسرائيليات لعدم اطلاعهم على مصادر أهل الكتاب	**80**
أولا – اطلاع ابن حزم – رحمه الله –	**80**
ثانيا – اطلاع ابن تيمية – رحمه الله –	**82**
ثالثا – اطلاع ابن كثير – رحمه الله–	**83**
المطلب الثالث: دراسة نموذجين من الإسرائيليات المنتقدة في تفسير المنار	**85**
النموذج الأول:نقد المنار للإسرائيليات الواردة في قصة –آدم عليه السلام –	**85**
الفرع الأول:أقوال رشيد رضا في نقد روايات القصة	**85**

الفرع الثاني:دراسة نموذجية لرواية الحية في تفسير الطبري	**87**
النموذج الثاني: نقد المنار للإسرائيليات الواردة في قصة "الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت	**92**
الفرع الأول: عرض أقوال المنار وتحليلها	**92**
الفرع الثاني: مناقشة تلك الأقوال	**95**
أولا– مناقشته في القول باقتصار السيوطي على رواية السدي الصغير	**95**
ثانيا– مناقشته في غمز المفسرين والتعريض بهم	**96**
خلاصة المبحث	**100**
الفصل الثاني: أثر نقد الإسرائيليات ورواتها عند رشيد رضا في قضايا متنوعة من تفسير المنار	**101**
تمهيد	**103**
المبحث الأول: موقف رشيد رضا من مراسيل الصحابة وموقوفاتهم	**104**
المطلب الأول: منزلة مرسل الصحابي وموقوفه في تفسير المنار	**105**
الفرع الأول: حجية مرسل الصحابي وموقوفه عند المحدثين	**105**
أولا– مرسل الصحابي	**105**

ثانيا- موقوف الصحابي	**106**
الفرع الثاني: تحفظ رشيد رضا على مراسيل الصحابة وموقوفاتهم	**106**
الفرع الثالث: دراسة نماذج من مرويات الصحابة المردودة بحجة الوقف أو الإرسال	**108**
أولا- حديث تمثل الشيطان في صورة سراقة بن مالك	**108**
ثانيا- حديث أبي هريرة الوارد في بعض مخالفات بني إسرائيل	**109**
المطلب الثاني: مناقشة رشيد رضا في ذلك الرأي	**111**
الفرع الأول: مناقشة عدم الاحتجاج بمرسل الصحابي وموقوفه	**111**
أولا- مناقشته في رد مراسيل الصحابة	**111**
ثانيا- مناقشته في رد الحديث الموقوف	**112**
الفرع الثاني: مناقشة رده للحديثين السابقين	**116**
أولا- حديث ابن عباس: " تمثل الشيطان في صورة سراقة "	**116**
ثانيا- حديث أبي هريرة: " حبة في شعيرة "	**117**
خاتمة المبحث	**122**
المبحث الثاني: موقف المنار من أشراط الساعة	**123**
المطلب الأول: الموقف العام لرشيد رضا من أشراط الساعة	**124**
الفرع الأول: أشراط الساعة عند العلماء	**124**

أولا- تعريفها وأقسامها	**124**
ثانيا- الأدلة على ثبوتها	**125**
الفرع الثاني: أشراط الساعة عند رشيد رضا وما يستشكله عليها	**127**
الفرع الثالث: ما يرد به على تلك الإشكالات	**129**
المطلب الثاني: دراسة نموذج- روايات المسيح الدجال –	**131**
الفرع الأول: إشكالات المنار على روايات المسيح الدجال	**131**
الإشكالات العامة	**131**
مسألة ابن صياد	**132**
قصة الجساسة	**132**
الفرع الثاني: الرد على تلك الإشكالات	**135**
أولا- الجواب على وجوه الإشكالات الخمس	**135**
ثانيا- الجواب بالتفصيل على تعارض تلك الروايات ووجه الجمع بينها	**139**
ثالثا- الجواب على القول بعدم تواتر الروايات الواردة في حديث الجساسة	**140**
رابعا- الجواب على تجريحه لتميم الداري الصحابي الجليل	**141**
الفرع الثالث: ما قاله في مسألة العصمة و الجواب عليه	**141**
أولا- ما استشكله في مسألة العصمة	**141**
ثانيا- الجواب على استدلاله بقول ابن حمدان وابن عقيل من عبارة السفاريني	**143**

ثالثا–الجواب على استدلاله بتصديق النبي – عليه السلام– لبعض المنافقين ولبعض من أخطأ من أزواجه.	**144**
رابعا– الجواب على استدلاله بحادثة التأبير الواردة في روايتي مسلم	**144**
خامسا– الجواب على استدلاله بقول ابن دقيق العيد	**145**
الفرع الرابع: الجواب على نفيه لصفة الوحي عن النبي –عليه السلام – في تلك الروايات	**146**
أولا– أقواله بذلك الخصوص	**146**
ثانيا– الجواب عليها	**146**
لفرع الخامس: الرد على شبهة الدسائس الإسرائيلية	**151**
أولا– الرد على أصل تلك الشبهة ثانيا– الرد على شبهة الإرسال	**151**
خاتمة المبحث	**156**
المبحث الثالث: موقف رشيد رضا من معجزات الأنبياء	**157**
المطلب الأول: حجية المعجزة عند رشيد رضا	**158**
الفرع الأول: المعجزة وحجيتها عند العلماء	**158**
أولا– تعريفها	**158**
ثانيا– حجيتها	**159**

الفرع الثاني: منزلة المعجزات في تفسير المنار	**159**
أولا- تعريف رشيد رضا للمعجزة ومميزاتها عنده	**159**
ثانيا – حصره لمعجزة النبي- عليه السلام- في القرآن	**161**
ثالثا – موقفه من معجزات الأنبياء	**162**
المطلب الثاني: نموذج من رفض بعض معجزات النبي: " قتال الملائكة يوم بدر "	**167**
الفرع الأول: أقوال رشيد رضا في رفض تلك المعجزة	**167**
أولا- التأويل اللغوي للقصة	**167**
ثانيا- نقد رواياتها	**170**
الفرع الثاني: مناقشة تلك الأقوال	**171**
أولا- مناقشته في قصر عمل الملائكة على الجانب الروحاني	**171**
ثانيا- مناقشته في الاستدلال بأقوال الطبري	**174**
ثالثا- مناقشة اعتراضه على الروايات الواردة فيها	**177**
المطلب الثالث: نماذج من رفضه لمعجزات الأنبياء	**180**
الفرع الأول: القربان الذي تأكله النار	**180**
أولا- المراد منه	**180**
ثانيا- رأي رشيد رضا فيه	**181**

ثالثا- المناقشة	**181**
الفرع الثاني: رفع جبريل لقوم لوط عليه السلام	**185**
أولا- رأي رشيد رضا في القصة	**185**
ثانيا- المناقشة	**186**
الفرع الثالث :بعض أوصاف حجر موسى عليه السلام	**188**
أولا – عرض القصة ورأي رشيد رضا فيها	**188**
ثانيا- المناقشة	**190**
خاتمة المبحث	**192**
الفصل الثالث: موقف رشيد رضا من الإنجيل والتوراة	**193**
تمهيد	**195**
المبحث الأول: التوراة والإنجيل في مفهوم اليهود والنصارى والمسلمين.	**196**
المطلب الأول: التوراة والإنجيل وموقف القرآن منهما.	**197**
الفرع الأول: تعريفهما	**197**
أولا- تعريف التوراة	**197**
ثانيا- تعريف الإنجيل	**198**

ثالثا- مكانتهم ا ضمن المصادر اليهودية والنصرانية	**199**
رابعا- علاقة العهد الجديد بالعهد القديم	**201**
الفرع الثاني: موقف القرآن منهما	**202**
أولا- حديث القرآن عن هما باعتبارهما كتابين سماويين (مرحلة ما قبل التحريف)	**202**
ثانيا- حديث القرآن عنهما باعتبارهما كتابين محرفين (مرحلة ما بعد التحريف)	**203**
المطلب الثاني: موقف علماء الإسلام من تحريفها وجهودهم في نقدها	**206**
الفرع الأول: أقوالهم في أنواع التحريف ومقداره	**206**
أولا- عرض أقوالهم	**206**
ثانيا- مناقشة القول الأول القائل بوقوع التحريف الكلي	**207**
ثالثا- مناقشة القول بوقوع تحريف يسير (مذهب ابن تيمية و ابن القيم)	**208**
رابعا- مناقشة القول بوقوع التحريف في المعاني دون الألفاظ (مذهب البخاري)	**211**
تنبيه في موقفهم من قراءتها ومطالعتها	**213**
الفرع الثاني: جهودهم في نقدها	**214**
خاتمة المبحث	**218**
المبحث الثاني: نقد التوراة والإنجيل عند رشيد رضا	**219**

المطلب الأول: نقدها في جانب العقيدة والثبوت	**220**
الفرع الأول: نقدها في جانب الثبوت	**220**
أولا- نقدها من جهة السند	**220**
ثانيا: نقدها من جهة الاختلاف في التراجم واللغات	**222**
الفرع الثاني: نقدها في جانب العقيدة	**223**
أولا- عقيدة التثليث عند النصارى	**223**
ثانيا- عقيدة الصلب والفداء	**224**

المطلب الثاني: موقفه من تحريفها	**226**
الفرع الأول: أقواله في إثبات التحريف	**226**
الفرع الثاني: نماذج من وقوفه على ذلك التحريف	**229**
أولا- إظهار ما كتمه النصارى من عقيدة التوحيد	**229**
ثانيا – تبرئة الأنبياء والرسل	**230**
ثالثا – الاهتمام بالبشارات الواردة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم	**230**
ملخص المبحث	**233**
المبحث الثالث: روايات الإنجيل والتوراة في المنار وأثرها في تفسير القرآن ورد الحديث	**234**

المطلب الأول: استدلاله بالتوراة والإنجيل في تفسير القرآن الكريم	**235**
الفرع الأول: تفسير مبهمات القرآن	**235**
الفرع الثاني: إيرادها على وجه المقارنة في قصص الأنبياء	**237**
المطلب الثاني: أثر ذلك الاستدلال في رد الحديث النبوي الصحيح	**243**
الفرع الأول: حديث أبي هريرة :" كل بني آدم يمسه الشيطان .." الحديث	**243**
أولا- لفظ الحديث	**243**
ثانيا- طرقه في الصحيحين	**243**
الفرع الثاني: احتجاجات رشيد رضا على الحديث ومناقشتها	**245**
أولا- احتجاجاته على الحديث	**245**
ثانيا: مناقشته في تلك الاحتجاجات	**247**
خاتمة البحث	**252**
المبحث الرابع: إقحامها في نقد الإسرائيليات والتفسير المأثور	**253**
المطلب الأول: قصة بقرة بني إسرائيل	**254**
الفرع الأول: القصة بين المنار وكتب التفسير	**254**
الفرع الثاني: احتجاجات المنار في تأويل القصة ومناقشتها	**255**
المطلب الثاني: ما حرم على بني إسرائيل من الطعام	**260**
الفرع الأول: الآية وتأويلها عند المفسرين	**260**

أولا- أقوالهم في نزول ذلك التحريم في التوراة	**260**
ثانيا- أقوالهم في الذي حرمه يعقوب على نفسه	**261**
الفرع الثاني: اعتراضات رشيد رضا	**263**
أولا – اعتراضاته	**263**
ثانيا – المناقشة	**265**
خاتمة المبحث	**269**
الخاتمة	**270**
الفهارس العامة	**274**
فهرس الآيات القرآنية	**275**
فهرس الأحاديث	**283**
فهرس الآثار	**286**
فهرس الألفاظ الغريبة	**287**
فهرس المصادر والمراجع	**289**
فهرس الموضوعات	**303**

ملخص الدراسة

أسس الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله – تفسير المنار وفق أسس وأهداف ميزته عن غيره من التفاسير، ومن أهم تلك الأسس نقد الروايات الإسرائيلية والإعراض عنها في تفسيره لكلام الله – جل وعلا – ، وقد كان ذلك المبدأ محمودا – في أصله – ، لكن الشيخ رشيد رضا – غفر الله له – تجاوزه إلى حد كبير من المبالغة والإجحاف، الشئ الذي أبعد تفسير المنار عن الموضوعية والاعتدال في ذلك الجانب من مبادئ التفسير، وربطه بمجموعة من الآراء التي اتسمت – في مجموعها – بالشذوذ ومخالفة ما هو متعارف عليه.

يضاف إلى ذلك ما قام به الشيخ رشيد رضا من حشد لعدد كبير من روايات واردة في مصادر اليهود والنصارى، واتخاذها– بمفردها – مصدرا صحيحا يرجع إليه في المقارنة والنقد والتحليل.

وبذلك ظهر جليا أن الشيخ رشيد رضا قد جمع بين زاويتين متناقضتين في تفسيره، وربط بين جانبين متعاكسين لا يمكن اجتماعهما إلا في غياب التأصيل الصحيح للأسس و المبادئ والأفكار.

ABSTRACT

Shikh Mohamed Rashid Reda founded the translation of 'El Manar' on distinct basics unlike the other translations. He criticized the Israeli method in translating God 'Allah'messages. However, that method was approved by all previous translators, but Shikh Rashid Reda denied it which made the translation of 'el Manar' far away from the basics of translation, and associated it with a set of bizarre opinions that differs from what's known.

In addition, shikh Rachid Reda gathered a group of Christian and jewish resources and used them as authentic source to rely on in comparison, criticism and analysis.

As a matter of fact, it is obvious that Shikh Rachid reda combined two contradicted points of view in his translationand attached two opposed sides of that cannot be linked only in the absence of logical consolidation of the principales and ideas.